سفير الأدباء

وديع فلسطين

د. حسين على محمد

الطبعة الثالثة

النــــاشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
ت: ٥٣٥٤٤٣٨ - اسكندرية

الإهداء

إلى كل من علّمني حرفاً في مسيرتي الأدبية والعلمية

سفير الأدبـــــاء

وديـــع فلسطيـــن

سفير الأدباء وديع فلسطين

د. حسين على محمد

كمبيوتر : (دار الوفاء)

الطباعة : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

شارع ملك حفنى قبلى السكة الحديد

بجوار مساكن دربالة أمام بلوك رقم ٣

الرقم البريدى : ٢١٤١١ - اسكندرية

رقم الإيداع : ٩٩٧٠ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى: 4 - 073 - 327 - 977

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول النبي الأمي الأمين وآله وصحبه، وبعد:

فهذه هي الطبعة الثالثة من كتاب "سفير الأدباء: وديع فلسطين" مزيدة ومنقحة، بعد أن نفدت الطبعة الأولى في أقل من عام، وأصدرنا الطبعة الثانية التي لاقت قبولا حسنا عن الطبعة الأولى بدون إضافات.

وقد زيدت بعض الموضوعات والشخصيات والقضايا في هذه الطبعة، فصارت الشخصيات التي تناولناها بالتعريف من خلال أقوال وديع فلسطين في رسائله اثنتين وعشرين شخصية بعد أن كانت في الطبعة الأولى اثنتي عشرة شخصية.

وقد زيدت فقرة من عدة صفحات عن رأيه في المجلات الأدبية، كما زيد فصل كامل عن الجريدة التي عمل بها، وهي جريدة "المقطم" التي عمل بها السنوات الثماني الأخيرة من عمرها، وهو فصل يفيد الباحثين الذين يريدون تناول هذه الجريدة بالدراسة.

ومازال الكتاب محافظا على هدفه الذي صدر من أجله، وهو التعريف بكاتب من كبار كتاب العربية المعاصرين. وقد اتخذنا له منهجا فريدا غير مسبوق، وهو التأريخ للرجل، وكتاباته، والقضايا التي أثارها من خلال الرسائل الأدبية الشخصية.

وكان قد قال لي (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٤/٢٨م) بالحرف الواحد:

"أنت تسألني عن رسائل الأدباء، ولم لا أنشرها خدمة للأدب، ولا سيما إذا تناولت موضوعات عامة لا خاصة. وأحب أن أوضح لك أن تاريخ الأدب لا

يهمني، فلست مؤرّخاً للأدب ولا مسؤولاً عن أموره. والذين كانوا يكتبون إليّ، والذين مازالوا يكرمونني بثقتهم فيكتبون إليّ، قد اطمأنوا إلى جانبي، وصاروا يفتحون لي قلوبهم، ويُسِرُّون إليّ بما لا يُحبون لغيري أن يعرفه. فكيف أخون هذه الثقة وأُبادر إلى نشر رسائلهم إنصافاً للتاريخ الأدبي المزعوم؟ ... **وإن كنتُ في قرارة نفسي أرجو أن يأتي وقت ـــ ولو بعد ألف سنة ـــ يقوم فيه نبّاش مُنقِّب بالبحث عن رسائلي، وهي آلاف في أيدي الناس، وينشرها على الملأ، ليعرف الناس أنني حين ضاقت أمامي أبواب المُجاهرة بالرأي في الصحف وفي الكتب، قد "فضفضت" عمّا في صدري في رسائلي، وقلت ما شئت في أنظمة الطواغيت وفي سفّاحي الفكر، وأنني أبيت أن أُنافق في مواكب البهلوانات مؤثراً كرامة الكبرياء مع الصمت، على ذلة الخنوع مع الجعجعة والنجاح".**

ويقع الكتاب في طبعته الثالثة في سبعة فصول جاءت على النحو التالي:

-الفصل الأول: وديع فلسطين: حياته وأعماله الفكرية.

-الفصل الثاني: مدرسته الصحفية.

-الفصل الثالث: آراؤه الأدبية من رسائله.

-الفصل الرابع: آراؤه في بعض معاصريه.

-الفصل الخامس: هكذا تحدث وديع فلسطين.

-الفصل السادس: وديع فلسطين في عيون الشعراء.

-الفصل السابع: شهادات.

وسيلحظ القارئ الذي طالع الطبعة الأولى أنني أضفت في فصل الشهادات ماكتبه الدكتور **حلمي محمد القاعود** والأستاذ **عنتر مخيمر** عن الطبعة الأولى من هذا الكتاب، كما نقلت حوار الأستاذ **سعد العتيبي** إلى القسم الثاني من الفصل الخامس، وأضفت إلى الفصل الأخير "شهادات" مقالة بعنوان **"قضايا الفكر في الأدب**

المعاصر" للدكتور **زكي المحاسني**، كان قد نشرها في مجلة "المجلة" المحتجبة، السنة الرابعة، العدد (٣٨)، شعبان ١٣٧٩هـ-فبراير ١٩٦٠م.

وبعد؛

فإني أتوجه بالشكر لوزارة التعليم المصرية التي جعلت الكتاب في طبعتيه الأولى والثانية من قائمة مشترياتها للعام الدراسي ١٩٩٨/١٩٩٩م، كما أتوجه بالشكر لعمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض التي حرصت على اقتناء الكتاب في طبعتيه الأولى والثانية.

وأرجو الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن تلقي طبعته الثالثة من حفاوة القراء ما لقيته الطبعتان الأولى والثانية.

وصلى الله على محمد وآله.

د. حسين علي محمد

الرياض في ٢١ من ذي الحجة ١٤١٩هـ

٧ من أبريل ١٩٩٩م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ابن عبدالله، صلّى الله عليه وعلى آله، وبعد:

فحينما فكرتُ في إصدار مجموعة من كتب التكريم عن سلسلة **"أصوات معاصرة"** كان أول اسم تبادر إلى ذهني هو اسم الكاتب الكبير **وديع فلسطين**، الذي عرفته الحياة الأدبية كاتباً متميزاً من بداية الأربعينيات، ولا يزال بعد خمس وخمسين سنة متوهج الفكر، رائع الأسلوب، ثر العطاء.

وقد كتب وديع فلسطين مئات المقالات في النقد التطبيقي، وقضايا الأدب، كما كتب فصولاً ممتعة عن الأدباء الذين عرفهم في مسيرته الأدبية على امتداد أكثر من نصف قرن.

ومن عجب أن هذا الرجل الذي يحاول أن ينصف المغبونين لم تنصفه حياتنا الأدبية! فلم يصدر عنه ملف بأقلام عارفي فضله ودارسيه في هذه المجلة أو تلك — من التي تصدر ملفات عن الشداة والمبتدئين — ولم يُكرّم في مهرجان من المهرجانات التي يُقيمها المجلس الأعلى للثقافة، أو الثقافة الجماهيرية لزيد أوعبيد من أصحاب هذه "الشلة" أوتلك، ولم يفز بجائزة من جوائز الدولة التي توزّع على المرضيِّ عنهم والمحظوظين.

وكان علينا إذن أن نقوم بما ينبغي أن تقومَ به الدولةُ ومؤسساتُها، وأن نكرِّم الرجل وهو حيٌّ بيننا — أطال الله عمرَه وحفظه — وأن نقدِّم طرفاً من سيرته وأدبه في كتاب، عسانا نفي ببعض المطلوب منا تقديمه له لقاء ما قدّمَهُ من أيادٍ بيضٍ للحركة الأدبية المُعاصرة في مصر والبلاد العربية.

وكان علينا أن نرجع لما كتبه الرجل ــ وهو كثير ــ وأن نرجع لعشـــــرات الفصول التي كتبت عنه منذ عام ١٩٥٠ إلى اليوم، وهي مبثوثة في صحف ومجلات الوصول إليها صعب، والحصول عليها عسير.

وقد جمعت كثيرا من هذه الفصول، لمراجعتها والاستعانة بها والاختيارمنـــها، وكان علي أن أعد هذ الكتاب في حجم يتناسب مع حجـــم سلســـلة "**أصـــوات معاصرة**"، وهو حوالي مئة صفحة من القطع المتوسط.

وقد استقر قراري على إعداد كتاب عن الأستاذ **وديع فلسطين** يحقق **ثلاثـــة أشياء:**

الأول: أن يضم آراء وكتابات للأستاذ **وديع فلسطين** في الأدب والنقد، وأن تكون هذه الكتابات على امتداد مسيرته، وليست نقلاعن مرحلته الأولى أو الأخيرة فقط، وألا تكتفي بالمنشور فحسب، وإنما تعتمد ــ بالإضافة إلى مـــــاهو منشـــور مشهور ــ على ثلاثة حوارات منشورة معه أجراها المؤلف، كما تعتمـــد علــــى رسائله الأدبية التي أرسلها للمؤلف، وهذا لون جديد من التوثيق الأدبي في حياتنـــا المعاصرة.

الثاني: أننا حرصنا على أن نطلع القارئ على آراء للكاتب الكبير، قد يختلف معها القارئ أو يتفق، ومن ثم نشرنا بعض آرائه في القضايا الأدبية التي تشغلـــه، أو تشير إلى قناعاته الأدبية، أو تكوينه الأدبي، وحرصنا كذلك على أن ننقل من رسائله الأدبية ما يعين على رسم صورة صحيحة أو مقاربة عن **وديع فلســـطين** الأديـــب الناقد.

الثالث: أننا رجعنا لقصائد كبار الشعراء ومقالات الكتاب الذين كتبوا عـــن الأستاذ **وديع فلسطين**، لنرى صورته في عيون معاصريه.

وقد وقع الكتاب في خمسة فصول:

في **الفصل الأول** وعنوانه "**وديع فلسطين: حياته وأعماله الأدبية**" تنـــاولت ميلاده ، ونشأته، وثقافته، ومؤلفاته، ومقالاته، ورأي أدباء عصره فيه.

والفصل الثاني بعنوان "**آراؤه الأدبية من رسائله**" قدمت عددا مـــن آرائـــه الأدبية في تلك الرسائل التي أرسلها لي على امتداد اثنين وعشرين عاما (١٩٧٥ ــ ١٩٩٧)، ويصعب الإلمام بجميع القضايا التي أثيرت في رسائله، لكنني اخترت بعضها الذي يثري حياتنا الأدبية، ويكشف الستار عن زوايا مجهولـــة في حيـــاة الأدبـــاء، أويثيرقضايا حيوية تحتاج إلى النقاش وإعادة النظر.

والفصل الثالث بعنوان:"ثلاثة حوارات مع **وديع فلسطين**"، ويضـــم ثلاثـــة حوارات أجراها معه المؤلف:

ــ الحوار الأول نشر **في مجلة "صوت الشرق" (القاهرة) في عددي مـــايو ، ويونيو ١٩٧٦.**

ــ والحوار الثاني **نشر في مجلة "الإخاء" الإيرانية ، العدد (٤٥١) الصادر في ١٩٧٦/٩/٢٥.**

ــ والحوار الثالث **نشر في مجلة "الرافعي"** (طنطـــا)، **العـــدد (٣)، الســـنة الرابعة، أغسطس ١٩٨٧ .**

والفصل الرابع بعنوان "**وديع فلسطين في عيون الشعراء**"، ويضم عددا من القصائد التي كتبها شعراء عصرنا **في وديع فلسطين**، ومنهم: **جورج صيدح، ومحمد عبدالغني حسن، وزكي قنصل، ومحمود أبو الوفا، وإبراهيم السامرائي، ونعمـــه الحاج** ... وغيرهم.

وفي **الفصل الخامس** وعنوانه: "**شهادات**" نشرنا تسع مقالات:

-المقالة **الأولى** كتبها رائد جماعة **أبولو** الشاعر الدكتور **أحمد زكي أبو شادي** ونشرها في جريدة "**الهـــدى**" (نيويـــورك) ، الســـنة (٥٣ط) ، العـــدد (١٤٤) ، في

١٩٥٠/٩/١٨ . في سلسلة أحاديث كان يزمع **أبو شادي** كتابتها عن "**الأدباء الأقباط**" (وقد كتب منها ثلاث حلقات فحسب عن **وديع فلسطين**، **ومكرم عبيد باشا**، **وسلامة موسى** ... ثم عاجله الموت) . ومقالته هذه كانت هي الحلقة الأولى، ونشرت في الجريدة تحت عنوان " الأدباء الأقباط : ١- **وديع فلسطين**".

-والمقالة **الثانية** بعنوان "**مع وديع فلسطين في محيط أدبه**" للأستاذة **جميلة العلايلي**، وقد نشرتها في مجلة "**العلوم**" اللبنانية، السنة السادسة، العدد ١٢ — ديسمبر ١٩٦١م.

-والمقالة **الثالثة** بعنوان: "وديع فلسطين السهل الممتنع" للأستاذة **صافي ناز كاظم**، وقد نشرتها بمجلة "الهلال"، عدد أكتوبر ١٩٩٧، ص ص ٤٨-٥٧.

-والمقالة الرابعة بعنوان "**قضايا الفكر في الأدب المعاصر**" للأستاذ الأديب **محمد سعيد العامودي**، وقد نشرها في مجلة "المنهل"، السنة (٢٦)،في عددي المحرم، صفر ١٣٨٠، يوليو، أغسطس ١٩٦٠.

-والمقالة **الخامسة** بعنوان "**حينما يجيء التكريم من خارج الحدود**" للدكتور **حلمي محمد القاعود** وقد نشرها في مجلة "الضاد" الحلبية، العدد٥ آيار ١٩٨٦.

-والمقالة **السادسة** بعنوان: "**وللحديث شجون: الجاحظ، وزكي مبارك، ووديع فلسطين**" للأستاذ **عبد العزيز الرفاعي**، وقد نشرتها مجلة "الفيصل"، في **العدد٨٨، شوال ١٤٠٤هـ، ص٤٢،٤٣.**

-والمقالة **السابعة** بعنوان "**قضايا الفكر في الأدب المعاصر**".للأستاذ **حسني سيد لبيب**، وقد نشرها في مجلة "الفيصل"، العدد (١٠٣)، محرم ١٤٠٩ — أكتوبر ١٩٨٥— ص ١٤٢، ١٤٣.

-والمقالة **الثامنة** بعنوان: "**بانوراما شعرية**" للأستاذ **محمد صالح**، وقد نشرتها مجلة "الضاد" الحلبية، العدد (١٠)، تشرين أول ١٩٩٥.

والمقالة **التاسعة**: حوار أجراه الأستاذ **سعد بن عايض العتيبي** مــع الأســتاذ **وديع فلسطين** نشرته جريدة "المسائية" السعودية.

وبعد، فنرجو الله أن ينفع بهذا الكتاب الذي نقدمه تكريما لرائد من رواد أدبنا الحديث، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

د. حسين علي محمد

الرياض : ١٩ من جمادى الأولى ١٤١٨هـ

٢٠ من سبتمبر ١٩٩٧ م

الفصل الأول

وديع فلسطين: حياته ، وأعماله الفكرية

١-ميلاده، ونشأته، وتعليمه:

ولد وديع في بلدة "أخميم" التابعة لمديرية "جرجا" في أول أكتوبر(تشرين الأول) عام ١٩٢٣ لأبوين مصريين صعيديين، وكان أبوه "**فلسطين حبشي**" موظفا في حكومة السودان، فسافر بعيد مولده في رفقة والديه إلى "عطبرة" بالسودان، ومكث هناك إلى عام١٩٣٠م عندما أحيل أبوه إلى المعاش، وسافر إلى مصر ليتقاعد هناك.

يقول لي (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/٩/١٧): "وبعد سنوات الطفولة التي قضيتها في السودان حيث كان يعمل والدي موظفا في الحكومة وحيث دخلت رياض الأطفال الفرنسية، انتقلنا إلى القاهرة، وأقمت فيها إلى هذا اليوم. و لم تزد صلتي بالصعيد على الشهر الأول من عمري. وعلى الرغم من هذه الصعيدية الأصيلة في نشأتي، فقد عشت كل عمري والناس يسألونني: متى هاجرت من فلسطين؟ قبل النكبة أو بعدها؟ وأنا لا أعرف فلسطين إلا من كتب الجغرافيا، فلا زرتها في أيام فلسطينيتها الأولى، ولا زرتها بعد أن تغيرت أسماؤها إلى الضفة الغربية وغزة والقدس العربية والقدس المحتلة وإسرائيل، ولا سبب لهذا الخلط إلا أن أبي كان اسمه **فلسطين حبشي** (وياله من خليط جغرافي كاريكاتوري)".

وفي العام التالي أي سنة١٩٣١م توفي أبوه، و لم تكن سنه إذ ذاك تزيد على ثماني سنين، فعاش في رعاية أمه، وفي كنف أسرته حتى أتم دراسته وخرج إلى الحياة العملية.

يقول عن تعليمه في الرسالة السابقة نفسها: "أما تعليمي، فقد قضيت سني الدراسة الابتدائية في مدرسة الجيزة الابتدائية الأميرية ،وسنيّ الدراسة الثانوية في المدرسة الإنجليزية للبنين في جزيرة الروضة، والدراسة الجامعية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة حيث درست الأدب مع التخصص في الصحافة، ونلت درجة البكالوريوس في الأدب والصحافة سنة ١٩٤٢م، وكان عمري أقل من ١٩عاما".

٢-وظائفه:

تخرج وديع فلسطين في قسم الصحافة من الجامعة الأمريكية عام١٩٤٢م، وفور تخرجه عمل بجريدة "الأهرام"، وفي الفترة مابين (أول مارس ١٩٤٥-ديسمبر ١٩٥٢م) عمل محررا في "المقطم" و"المقتطف"، فرئيسا للقسم الخارجي بالمقطم ، فمحرره السياسي والدبلوماسي، وناقده الأدبي، ومعلقه الاقتصادي وممثله في المؤتمرات الصحفية حتى انتهى به الأمر إلىممارسته لجميع اختصاصات رئيس التحرير دون أن يكتب اسمه بهذه الصفة على "ترويسة" الجريدة (كما يقول في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٣/٢٣م).

ولقد نشر في "المقتطف" عشرات المقالات والدراسات (تأليفا وترجمة) كما كتب فصولا في العلوم، والنقد الأدبي، والقصة، وكان القارئ يجد له في العدد الواحد أكثر من مادة منشورة.

ويقول (في رسالته السابقة):

"في السنين الأربع الأخيرة من عمر دار المقطم والمقتطف عين لها مجلس إدارة من أعضائها، فكنت عضوا في ذلك المجلس، وكانت لي بذلك هيمنة شبه كاملة على الدار، مع أني كنت أصغر الأعضاء سنا، وذلك بسبب ما دان لي من شهرة، ثم بسبب تنوع ثقافاتي، و"سيولة" قلمي، حتى كنت أكتب بمفردي أكثر من ثلاث صفحات يوميا في "المقطم"، وهو جريدة بحجم الأهرام، وكنت إلى جانب ذلك أحرر في "المقتطف"، وأكتب في مجلات العالم العربي الأدبية، وأدرس الصحافة في

الجامعة الأمريكية، وأُحاضر في الجمعيات والندوات، وأُشرف على الشؤون الإدارية والتحريرية للدار!".

يقول عن عمله بالصحافة(في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/٩/١٧):

"كان طبيعيا أن أشتغل بالصحافة، وأنا من أوائل المصريين الذين يحملون درجة عالية في هذا الفن ... ومن هنا أطللت على الحياة الأدبية والحياة العامة صحفيا في بادئ الأمر، ثم متأدباً، وكان مجتمع "المقتطف" هو أول احتكاك عملي لي بأدباء العالم العربي على أوسع نطاق، وهم قد كانوا يزوروننا في ندوة الجمعة، أو على مدار أيام الأسبوع، فانعقدت بيني وبين أعلامهم صلة وُثقى رَفَدَتْ حياتي الأدبية بما لاسبيل إلى حصر آثاره".

وقد عمل **وديع فلسطين** بعد عام ١٩٥٢م في وظائف تتعلق بالترجمة مما شغله عما كان يريد إنجازه في الأدب، يقول في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٢/٢٥:

"... والحقيقة أنني وإن كنت "سيّال القلم" كما وصفني أمس نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، فإنني أعد نفسي مقلا بالنسبة لما كنت أكتبه وأنا في أول الشباب، ثم بالنسبة لما في ذهني من موضوعات أحب الكتابة فيها ورغبات أشتاق إلى تنفيذها. ولكنني مضطر إلى صرف نحو ١٨ ساعة يوميا في العمل المتصل برزقي، وعليَّ أن أتدرَّع من إنكشاريات الحياة التي تُطاردني ... وتُعكّر صفاء ذهني، فلا يبقى لي بعد ذلك من الوقت أو الجهد أو صفاء البال ما تهون معه تأدية تبعات الأدب على الوجه الذي أُحب".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٠/٤/٢م) عن عمله في مجال الترجمة الذي لا يُباريه فيه أحدٌ من الأحياء الآن:

"كان صديقي **خليل مطران** يقول:

أُخلي مكاني للّذي يسمو إليهِ بغيرِ حُزنِ

وإني مثله قد أخليت مكاني وانسحبت من لميادين جميعاً وحسبي أنني أجري الآن في ميدان لا يُباريني فيه أحد [يقصد ميدان الترجمة]، ولو كانت لـــــه جـــائزة أوليمبية لظفرت بها ربما وحدي".

٣-ثقافته:

سألت الأستاذ وديع فلسطين عن مصادر ثقافته، والكتب التي قرأها في مطلع حياته، فقال (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٩/٣٠م): "إن مطالعاتي في أول عهدي بالحياة كانت مطـــالعات باللغات الأجنبية، وكانت تتناول جميع فروع المعرفة، أدباً وعلماً وعلم نفس واقتصاداً وسياسةً وتراجم ... وما إلى ذلك، أما قراءاتي العربيــــة فكانت تسير على غير منهاج مقرر؛ فقد أُطالع كتاباً إنكليزيـــا في علـــم النفـــس، فيقودني حب الاستطلاع إلى معرفة المرادف العـــربي للمصطلحـــات الإنكليزيـــة، فأعكف على قراءة كتاب عربي وهمي الأول المقارنة بين المصطلحات ومعرفة مدى توفيق الكاتب في ترجمتها".

"وقد أكون في مجلس من مجالس الأدب، فيُشير واحد من الحاضرين إلى أديب لبناني اسمه أمين نخلة لم يسبق لي أن سمعت باسمه، فأحمل تلافياً لتقصيري وجـــهلي اقتناء جميع كتبه ودواوينه وقراءاتها. وكنت أعمل نفس الشـــيء بالنســـبة للأدبـــاء المختلفين، فأشتري جميع كتب المازني وأطالعها الواحد بعد الآخر. ثم أنتقل إلى طـــه حسين، وسلامة موسى، والمنفلوطي، وشوقي ... وهلم جرا".

"كما أن هناك كتباً كانت تأتيني من المؤلفين حكم اشتغالي "بالمقطم". وهذه كنت أقرأها مهما يكن موضوعها، متوخّياً أن أُتابع المصطلحات والألفاظ العمييـــة وكيفية سكّها على أيدي المؤلفين المختلفين".

"و لعلك لا تصدق أني منذ تخرجت في الجامعة عام ١٩٤٢م، وأنا لا أمشي في الشارع إلا ومعي كتاب، أقرأه في الترام أو في الأتوبيس أو في المقهى أو في الشارع أو في انتظار "ركوبتي". وعندما كانت لدي سيارة وسائق، كنت أصرف الوقت من بيتي إلى مكتبي أو إلى مواعيدي في القراءة. ومعنى هذا أنني كنت وما زلت أشتري الكتب بالعشرات، عدا ما يأتيني هدية من القراء والمؤلفين. وكانت سنوات عمري الأولى تتسع للكتابة في الصحف تعريفا بكل كتاب أطالعه، أما الآن فقد صار متعذرا علي أن أكتب عن كل كتاب فصلا مستقلا. ولعل لدي مئات من المقالات في نقد الكتب والتعريف بها نشرتها في صحف كثيرة "كالمقتطف"، و"الأديب"، و"المقطم"، و"الآداب"، و"العلوم"، و"اليقظة العربية" السورية، و"منبر الشرق"، ... إلخ".

"كما أن مطالعاتي كانت تتغير وفقا لاهتماماتي اليومية؛ فعندما كنت غارقا في الصحافة كانت تستهويني كتب السياسة ولا سيما كتب المذكرات الخاصة للزعماء مثل: **روزفلت، وترومان، ومنتغمري، وتشرشل، وآتلي، ومكملان، وفورستال** ... وسواهم. كما كانت تهمني ـــ بوجه خاص ـــ الكتب التي تتناول الشرق الأوسط. ولما انصرف اهتمامي إلى الاقتصاد كثرت مطالعاتي في كتب الاقتصاد ولا سيما التي تتناول البترول والقطن والمواد الخام ومشكلات النقد وكتب فلاسفة الاقتصاد الجدد".

"ولئن غلب علي الآن المطالعات الأدبية، فما زلت أجد متسعا من الوقت لقراءة الكتب العلمية (وأفضلها كتب **فؤاد صروف**) وكتب الاقتصاد وعلم النفس والكتب التي تتناول الصحافة وعلومها وتاريخها وفنونها. وهكذا ترى يا أخي أنني سأموت وعلى صدري كتاب **كالجاحظ** قديما **وسلامة موسى** حديثا".

ولقد دخل الأديب **وديع فلسطين** الأدب من باب الصحافة. فحينما عمل في مطلع حياته العملية بصحيفة " المقطم" ومجلة "المقتطف" مارس هواية الأدب ممارسة جادة، يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٤/٢٣م): "يوم أن كنت أعمل بالصحافة لم تفتني مناسبة أدبية دون الكتابة فيها على الفور، فرثيت **خليل مطران** **والمازني وأبا شادي** ومن عرفت من المستشرقين. وتحدثت عن كل كتاب صدر وأتيحت لي فرصة مطالعته، ولخصت كل محاضرة أدبية سمعتها، وسجلت كل ماترامى إلي من أخبار الأدب، واحتفيت بكل أديب عربي زائر لمصر، وشاركت في كل معركة أدبية".

وظل على ذلك حتى عام ١٩٥٢م حتى احتجبت "المقطم" و"المقتطف"، وباحتجابهما احتجب الأديب المصري الكبير **وديع فلسطين** عن الحياة الأدبية فترة من الزمن، وقد سألته في إحدى رسائلي عن السبب، فأجاب (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٣/٢٣م): "أما سؤالك عن سبب احتجابي عن الحياة الأدبية في مصر، فلا أهتم بنشر كتاب، ولا أحرر في "الهلال" أو "الثقافة" أو "الجديد" ... وردي على هذا أن الحياة قد توبتني عن طلب الشهرة في مصر، بعدما رأيت أن الهيئتين الوحيدتين اللتين تحاسبانني على هذه الشهرة هما هيئة الضرائب بما تتوهمه من عشرات الآلاف التي تعود علي من الأدب كل عام. وهيئة مباحث أمن الدولة العليا التي مازالت تسلط علي مخبريها وتراقب تليفوناتي وبريدي وكأنني أعتى مجرمي الدنيا. أما هيئات الثقافة بجميع أسمائها ومسمياتها فهي وإن عرفتني بجميع أعضائها، فلا تعرفني بتشكيلها الرسمي وأجهزتها الحكومية. ولهذا آثرت أن أهاجر بكل حرف أكتبه إلى الخارج، ولاسيما إلى مجلة "الأديب" التي ترحب بكل ما أوافيها به منذ ثلاثين عاماً. وما دام الأدب مبتوت الصلة برزقي، وما دمت أطل على الحياة الأدبية باعتبار ذلك مجرد هواية، فهذا حسبي".

لقد أغلقت مجلة "المقتطف" وجريدة"المقطم" في عام ١٩٥٢م، وقد أثر هذا الإغلاق على نفسية **وديع فلسطين** ، يقول (في رسالته المؤرخة في ٣/٤/١٩٧٥م):

"أرجو ألا ننسى أن الجيل الذي انتمي إليه قد فجع أشد فجيعة في جميع قيمه العليا حين رأى جميع كوى الثقافة توصد في عنف وبلا رحمة في وجهه. لقد كانت لنا في أول الشباب مجلات مثل "المقتطف" و"مجلة علم النفس" و"الرسالة" و"الثقافة" و"الكاتب المصري" و"الكتاب" و"العالم العربي"، فلما جاء العسكر، ماتت هذه المجلات جميعا دون أن تنذرف عليها دمعة. وكانت لنا في مطالع العمر منابر يتحدث منها أعلام المفكرين في عصرنا: منبر في الجامعة الأمريكية، ومنبر في جمعية الشبان المسلمين، ومنبر في الجمعية الجغرافية، ومنبر في جمعية الاقتصاد السياسي والتشريع، ومنبر في جمعية الشبان المسيحية، ومنبر في نادي دار العلوم، ومنبر في رابطة الأدباء، و[منبر في] رابطة الموظفين، فجاء العسكر وبطشوا بهذه المنابر جميعا وبالمتحدثين منها. ثم كانت هناك ندوات أدبية، فصار روادها من المخبرين أكثر من روادها من الأدباء، وسرعان ما زج بجميع أعضائها في السجون نميمة وغدرا. وكنا يا صاحبي نقرأ الكتب والمجلات الأفرنجية بعيد صدورها، نراها تملأ المكتبات، ونشترك فيها مقابل بدلات معتدلة، وباسم الرقابة، وباسم النقد النادر، وباسم الوقاية من السموم المبثوثة في هذه الكتب، منعت منعا باتا من دخول مصر، فانعزلنا عن العالم تماما".

" كل هذا حدث في جيلنا، ولابد أن نصارح أنفسنا ونصارح الدنيا بحقيقته، فكان طبيعيا أن نهجر الثقافة، لاسيما ونحن نرى الدولة بأجهزتها تعد الثقافة جريمة شنعاء، ونحن نرى جميع المفكرين يبطش بهم أشد بطش، فيقررون الهجرة فرارا من هذا الجحيم. وأنا شخصيا هاجرت كما هاجر مئات من أساتذة الجامعات، ولولا تغير الظروف لما عدت، ولما عاد منهم من عاد".

ومما يدل على ثقافة **وديع فلسطين** العالية أنه أجرى عدداً من الحوارات مع أعلام بارزين في مجالات مختلفة أثناء عمله في "المقطم" و"المقتطف". يقول (في رسالته المؤرخة في٢٢/١٠/١٩٧٦م):

"الذين أجريت أحاديث معهم وأنا في دار "المقطم" و"المقتطف" كثيرون، منهم **نمرو**، ولياقت **علي خان**، و**كريشنا مينون**، و**ألدوس هكسلي**، و**ويل ديورانت** (صاحب كتاب "قصة الحضارة")، والأمير **عبدالكريم الخطابي**، والعالم **عبدالفتاح جوهر**، والحاج **أمين الحسيني** مفتي فلسطين، و**أحمد حلمي** باشا رئيس وزراء فلسطين، وعشرات من زعماء العرب الذين كانوا يزورون مصر في تلك الفترة".

٤-وديع فلسطين والأدب :

سألت الأستاذ **وديع فلسطين** عن نشأته الأدبية فأجاب (في رسالته المؤرخة في٣٠/٩/١٩٧٥م):

"تسألني عن نشأتي الأدبية، فأخبرك أنني تتلمذت في الجامعة على الدكتور **فؤاد صروف** و**السباعي بيومي** و**السيد شحاته** و**عبدالله حسين** (أحد أركان جريدة "الأهرام" في الأربعينيات)، ثم عملت في الحياة مع الدكتور **فارس باشا نمر**، و**خليل ثابت باشا**، و**خليل مطران** بك، و**علي الغاياتي**، والدكتور **نقولا الحداد**، و**إسماعيل مظهر**، والدكتور **بشر فارس** ... وغيرهم، فكان لامفر لي من الاشتغال بالأدب مهما حاولت أن أنصرف إلى الصحافة".

وسألته: متى بدأت صلتك الحميمة بالأدب؟. فأجاب (في رسالته المؤرخة في ٦/٦/١٩٧٥م):

" أجيبك أن اشتغالي بالأدب كان من ناحية تورطاً، وكان من ناحية أخرى هرباً من ألوان الكتابات الأخرى السياسية والاقتصادية. ففي عام ١٩٤٤م أو

نحوه، كنت تركت الجامعة وبدأت أعالج الكتابة في صحف مختلفة، وكنت أوقع مقالاتي باسمي مع صفة "**بكالوريوس في الصحافة**"! وكان القصد من هذا اللقب استجداء احترام أصحاب الصحف، ولا سيما وأن حملة هذا اللقب في هذا العهد المبكر كانوا نادرين. وذات يوم فوجئت ببطاقة من أديب لاأعرفه اسمه **خليل جرجس خليل** يقول فيها إن طائفة من محبي الأدب قرروا تأليف رابطة للأدباء، منهم **محمود تيمور** بك، والدكتور **إبراهيم ناجي**، وأسماء أخرى لاأذكرها، وأن هذه الطائفة اختارتني لحضور الاجتماع الأول للرابطة لانتخاب أعضاء مجلس إدارتها! ولم أكن أعرف أحدا من أصحاب هذه الأسماء جميعا، ولكنني لم أشأ أخيب ظنهم فتوجهت إلى العنوان المعين، وهو منزل قديم في أول شارع شبرا، وانتهى بي المطاف إلى غرفة متواضعة جلس بها أناس لا أعرفهم، فاخترت مقعدا للجلوس، وهنا تقدم مني شاب قائلا: أنا **خليل جرجس خليل**، فقدمت نفسي بدوري إليه وحياني تحية حارة ثم قدمني إلى الحاضرين، وأبرزهم الدكتور **ناجي**، أما **تيمور** فلم يحضر، وأجريت في هذه الجلسة الانتخابات، ففاز بالرياسة **إبراهيم ناجي**، وبالوكالة أنا، وبالسكرتارية **خليل جرجس خليل**! وظللت عضوا في هذه الرابطة ... إلى أن هربت منها ومن جميع روابط الأدب عام ١٩٥٢م ... في أثناء هذه الفترة عرفت كثيرين من المشتغلين بالأدب الذين كانوا يترددون على الرابطة، وزاد اهتمامي بالمطالعات الأدبية إلى جانب مطالعاتي السياسية والاقتصادية التي كنت متخصصا فيها بحكم عملي في "المقطم" ..".

"ويقول عن المدرسة التي ينتمي لها في الأدب (في رسالته المؤرخة في ٢٥/١٠/١٩٧٦ م):

"لا أعرف مدرسة معينة أنتمي إليها، أو أوصف أنني من تلاميذها. ولكنني قطعا تأثرت بأستاذي الأولين **فؤاد صروف** و**خليل ثابت** باشا، وكان تأثيرهما في

تأثيرا عميقا. ولكنني أعتقد أن أساليب ثلاثتنا تختلف باختلاف شخصياتنا وأجيالنا. وأكاد أقول: إن أسلوب **فؤاد صروف** يغلب عليه النسق العلمي، بينما أسلوب **خليل ثابت** باشا يغلب عليه الطابع الصحفي، وأسلوبي فيه نفحة أدبية مع تأثره بالأسلوبين العلمي والصحفي".

ورغم أن **وديع فلسطين** نشر مئات المقالات الأدبية إلا أنه يرى أن الأدب الحقيقي يتوارى في صحافتنا الراهنة، وأننا لا يمكن أن نقارن الأدب في صحافتنا الراهنة بالأدب في الصحف في النصف الأول من القرن العشرين. يقول (في رسالته المؤرخة في١٧ /١٩٧٨/٩م): "العلاقة بين الصحافة والأدب علاقة قديمة وثيقة. ولكن الحيز المخصص للأدب في الصحف أخذ يتقلص حتى انعدم أو كاد. وفي الوقت الذي تخصص فيه الصحف أركانا يومية للرياضة ولفنون السينما والتليفزيون، لاتخص الأدب إلا بباب أسبوعي يلغى إذا طغت الإعلانات أو زاد طوفان أخبار السياسة. وحتى هذه الأبواب الأدبية فإنها قل أن تستكتب أديبا مرموقا، وتعتمد في الأغلب على تعليقات صحفية سريعة، أو على أحاديث مختصرة مع بعض المشتغلين بالأدب أو المتطفلين عليه. وبدلا من أن تقرأ في صفحة الأدب فصولا **لعبدالغني حسن وإبراهيم بيومي مدكور وشوقي ضيف وعلي أدهم ومصطفى السحرتي ويحيى حقي وعبدالقادر القط ومحمد عبدالمنعم خفاجي**، فإننا نقرأ مقالات لناشئة الأدب تحاول إثارة قضايا أدبية بأسلوب صحفي سريع، ولهذا فإن هذه الصفحات الأدبية لا يحس بها أحد، ولو قورنت بالصفحات الأدبية في "السياسة الأسبوعية" **لهيكل** باشا، أو في "الأهرام"، أو في جريدة "الزمان" عندما كان يحررها الشاعر **محمد الأسمر**، أو في جريدة "البلاغ"، أو في جريدة "المقطم" لقلنا إن صحافة الأدب قديما كانت أثمن وأسمن من صحافة اليوم".

ومواصفات الأدب الجيد عنده (كما يقول في رسالته المؤرخة في ١٩٧٧/٦/٢م) "تختصر في عبارة موجزة: أسلوب وفكرة فلا أدب لا ينهض على أسلوب ناصع متميز متفرّد. ولا أدب إن لم يكن محوره فكرة أصيلة بارعة. فهذا هو الأدب المُشبِع".

٥-مؤلفاته:

كتب الأستاذ **وديع فلسطين** مئات الفصول في دراسة الأدب ونقده **أهمها:**

١-حلقاته عن **"الأدباء المهجريين"** ، ونشرها في **مجلات مختلفة مثل:** **"المقتطف"**، و"الرسالة"، و"الثقافة". و"الكاتب المصري"، و"الكتاب"، و"العالم العربي"، و"الأديب"، و"الآداب". و"العلوم" ... وغيرها .

٢-حلقاته عن **"الأدب والأحذية"** التي كتبها في مجلة **"الأديب" بعد عودته من مهجره في ليبيا إلى الوطن عام ١٩٦٩ .**

٣-حلقاته **"أحاديث مستطردة"** عن صلاته بأدباء العصر مثل: **العقاد، وزكي المحاسني، وزكي مبارك، ومصطفى الشهابي، وميخائيل نعيمة** ... وغيرهم، وهي دراسات يكتبها في أسلوب فريد قلّ أن تجد لها نظيراً بين مُعاصريه الآن. وقد نشرت في "الأديب" المحتجبة، ــ وتُنشر ــ في"الحياة" اللندنية الآن.

٤-حلقاته عن **"شعر ناجي الضائع"**، وقد نشرت عام ١٩٦١م في مجلة **"الأديب"**.

وأما الكتب التي أصدرها ، فهي:

١-مسرحية **"الأب"** للأديب السويدي **أوجست ستوندبورج (مترجمة)**، نشرت عن سلسلة لجنة النشر للجامعيين، مكتبة مصر ١٩٤٥م.

٢-**"قضايا الفكر في الأدب المُعاصر"** (مؤلف)، صدر عن المكتب الفني للنشر، القاهرة ١٩٥٩م.

٣-"**فلسطين في ضوء الحق والعدل**" للمشترع الفلسطيني **هنري كتن** (مترجم). صدر عن مكتبة لبنان، عام ١٩٧٠م، وأعيد طبعه مرات.

٤-"**بعض الخليلي والقصة العراقية الحديثة**" للدكتور **توماس هامل** (مترجم بالاشتراك مع الدكتور **صفاء خلوصي**).

٥-ديوان "**الإنسان الجديد**"، **لأحمد زكي أبي شادي** (محقق).

٦-ديوان "**النيروز الحر**"، **لأحمد زكي أبي شادي** (محقق).

٧-"**الإمام جعفر الصادق كما عرفه علماء الغرب**"، لمجموعة من المستشرقين، ترجمه الدكتور **نور الدين آل علي**، نشر في الكويت، (مراجع).

٨-"**أوليفروندل هولمز القاضي الشاعر الأمريكي**" (مترجم). وصدر عن مكتبة الأنجلو، القاهرة، عام ١٩٦٦م.

٩-"**على درب الحرية** : ترجمة ذاتية للزعيم الزنجي **مارتن لوثر كنج**" (مترجم).وصدر عن مكتبة الوعي العربي، عام ١٩٦٥م.

١٠-"**استقاء الأنباء فن: صناعة الخبر**" (مترجم) .وصدر عن دار المعارف، القاهرة، عام ١٩٦٠م.

١١-"**العلاقات العامة فن**" (مترجم). وصدر عن دار المعارف، القاهرة، عام ١٩٥٩م، وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٦٧م.

١٢-"**ناجي: حياته، وأجمل أشعاره**" (مراجع). نشرته دار ومطابع المستقبل.

١٣-"**مي: حياتها. وصالونها الأدبي**" (مراجع) نشرته دار ومطابع المستقبل.

١٤-"**تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط**" (مترجم). نشرته دار المعارف، القاهرة، عام ١٩٥٧م.

١٥-"**إنشاء وإدارة محل لإصلاح السيارات**" (مترجم)، وصدر عن دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤م.

١٦-**"مقدمة إلى وسائل الاتّصال"** (مترجم).

١٧-اشترك في إعداد **"الموسوعة العربية الميسرة""**.

١٨-ترجم إلى اللغة الإنكليزية كتاب **"جزيرة العرب في القرن العشريـــن"** للشيخ **حافظ وهبة**، ونشر في لندن.

١٩-**مختارات من الشعر المُعاصر وكلام في الشعر**، ويقع في ٤٠٠ صفحة، وفيه نماذج شعرية لخمسة وثلاثين شاعراً من (١٩) بلداً عربيا.

٦-آراء النقاد فيه:

كُتبتْ عن **وديع فلسطين** عشرات الدراسات والقصائد ؛ والذين كتبوا عنه من معاصريه كثيرون منهم (كما يشير في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/٩/١٧) الأمير **مصطفى الشهابي**، والدكتور **فؤاد صروف**، والدكتور **أبو شـــادي**، والمستشرق **جرمانوس**، و**سلامة موسى**، والدكتور **أمير بقطر**، والدكتور **زكي نجيب محمـــود**، و**طاهر الطناحي**، والدكتور **[محمد عبدالمنعم] خفاجي**، والدكتور **محســـن جمـــال الدين**، و**محمد العدناني**، و**بولس سلامة**، والشاعر **بولس غانم**، و**أنـــور الجنـــدي**، والدكتور **عبدالقادر محمود**، و**أحمد عبدالغفار**، و**جميلة العلايلي**، و**إبراهيم عبـــده الخوري**، و**جورج صيدح**، و**إلياس فرحات**، والشاعر **القروي**، و**زكـــي قنصـــل**، والشاعر **الماحي** الكبير، و**الماحي** الصغير، و**محمد عبدالغني حسن**، و**جعفر الخليلي**، و**وحيدالدين بهاء الدين**، و**عبدالله يوركي حلاق**، والدكتور **خليل صابات**، و**خليل جرجس خليل**، و**مصطفى عبداللطيف السحرتي**، و**حسن كامل الصيرفي**، والشاعر **إبراهيم ناجي**، والشاعر **نظير إسكندر**، والدكتور **إبراهيم أبوالخشـــب**، والمـــؤرخ **محمود الشرقاوي**، و**فوزي عطوي**، و**حبيب جاماتي**، والشيـــخ **علـــي الغايـــاتي**، والمستشرق **مارتينو مورينو**، والدكتور **زكي المحاسني**، والدكتور **عيسى الناعوري**، والبدوي الملثم (**يعقوب العودات**)، و**حسني سيد لبيب**، و**حسين علـــي محمـــد**،

وعبدالمسيح حداد، والدكتور سليمان داود، ومحمد علي الطاهر، ومحمود العبطة، ومحمود البدوي، ونقولا يوسف، وأحمد حسين الطماوي، وإدوار حنا سعد، والدكتور مختار الوكيل، والدكتور عبدالعزيز الدسوقي، والدكتور جميل صليبا، وعارف النكدي، وأحمد نزار الزين، وأبوطالب زيان، وأبوالقاسم محمد كرو، وعبدالسلام هاشم حافظ، ومحمود أبوالوفا، و[الشيخ محمود] أبورية".

وكتب عنه عجاج نويهض، وعبد العزيز الرفاعي، والدكتور حلمي محمد القاعود، ومحمد سعيد العامودي، ومحمد عبدالواحد حجازي، ومحمد صالح، ومحمد جاد الرب، وعباس الخليلي، وسعد بن عايض العتيبي ... وغيرهم.

ولعل من أهم المقالات التي كتبت عن وديع فلسطين دراسة الدكتور أحمد زكي أبو شادي التي نشرها في مجلة "الهدى" التي تصدر في "نيويورك" ، في سلسلة أحاديث كان يزمع أبو شادي كتابتها عن "الأدباء الأقباط" (وقد كتب منها ثلاث حلقات فحسب عن وديع فلسطين ، ومكرم عبيد باشا ، وسلامة موسى ... ثم عاجله الموت).

ويعد المفكر العربي الكبير عجاج نويهض في مقال نشرته "الأديب" البيروتية (مارس ١٩٧٤) كتاب وديع فلسطين "قضايا الفكر في الأدب المعاصر" مع كتاب آخر لمحمد عبد الغني حسن من أهم الإنجازات الأدبية المعاصرة في دراسة الأدب ونقده. يقول نويهض:

"مهمة الكتاب العربي أمست منذ الحرب العامة وإلى أن ما شاء الله "رسالة" كرسالات الفلاسفة الحكماء والمصلحين ورعاة الإنسانية ... شرط أن يكون الكتاب هو بذاته مستوفيا حقه، وأهلا لأن يكون صاحب هذه الرسالة".

ويقول عن كتاب "قضايا الفكر في الأدب المعاصر":

"قرأته ثلاث قراءات ملية. وما رأيت المؤلف الفاضل إلا كالنطاسي البارع في تشخيص العلة ووصف الدواء لها، فهو يوجز عناصر المسألة، وما رأت من عوارض، وتسلط عليها من رأي في أثناء مراحلها".

ويقول إن كتاب **"قضايا الفكر في الأدب المعاصر"** قد عالج سبع عشرة قضية.."ومن هذه القضايا ماهو قديم، ومنها ما هو حادث، لأن اللغة جسم حي، جوهرها ثابت لايتبدل، وإنما تتبدل صيغ الكلام أحيانا للتعبير عن معان مستحدثة طارئة. ولا أكون مجاوزا للحدود المعقولة إذا قلت: إن الأستاذ **وديع فلسطين** بغربلته هذه القضايا، وكل قضية منها حد مهمة، قد جمع صور هذه القضايا بإيجاز محكم، وهذا الكتاب الذي يطالع في ليلتين ـــ يغني عن الكتب العديدة الأخرى المتعلقة بهذه الموضوعات، والتي بنظري تفتقر إلى الشمول الموضوعي والإحاطة".

ويرى المفكر الإسلامي **محمد عبدالواحد حجازي** أن "قضية الفكر هي قضية الحضارة، وهذا معناه أن على من يتصدى لدراسة هذه القضية الحضارية أن يكون كفاءها والأستاذ **وديع فلسطين** كفاؤها بجدارة لايعروها ريب".

ويقول الأستاذ **وحيد الدين بهاء الدين** في مقالة بعنوان: "وديع فلسطين: سفير الأدباء المعاصر" وقد نشرها في كتابه "شخصيات من الأدب المعاصر"(الصادر في منشورات مجلة الضاد، حلب، ١٩٧٠، ص ص ٧٢،٧٣):

" **والوديع** سفير الأدب المعاصر في العالم العربي والمهجري. هذا الجانب ـــ وبه تتم صورته الأدبية ـــ هو الجانب الأهم في اهتماماته ونشاطاته .. يستحسن تفصيل الحديث عنه، وتركيز النور عليه، للإحاطة به من كل طرف. هذه السفارة التي يضطلع بها وديع في بلاط الأدب، وبها كل عواطفه وأفكاره، قمينة بالاعتبار والاشتهار. لكنها وإن أفاضت عليه شهرة طائرة تخطت حدود بلاده، وأكسبته

تقدير جميع الدوائر الأدبية والفكرية والصحفية، فهي قد جنت عليه جناية كبيرة، أورثته هما وفزعا، وسخطا على الأدب، وتحاشيا لأهله".

"وبسبب من انقطاعه إلى الصحافة، وانغماره في دنيا الأدب، تكونت له صلات وصداقات مع كبار المستشرقين والمستعربين والأدباء والشعراء في الشرق والغرب ... ومعلوم أن هاتيك الصلات والصداقات التي اجتهد وديع في عقدها وتمتين عراها على امتداد الأيام، استتبعت توارد المطارحات والمناظرات بينه وبينهم، بحيث تراءت انعكاساتها وأضواؤها على أغر الصحف والمجلات في مختلف أقطار العربية. كذلك استدعت تواتر المقابلات بينه وبينهم على تراخي الزمن مما جادت به الصدف والأقدار".

"ومن ثم استوجبت تواصل المراسلات بينه وبينهم، وهي التي تتبدى في الكتب الشخصية المتبادلة، لتعبر عن مكنوناتها وخباياها بحماسة وصراحة".

ويقول الأستاذ **عبدالله يوركي حلاق** في تقديمه لقصيدة للدكتور **إبرهيم السامرائي** نشرتها بمجلة "الضاد"، حلب، العدد (٥) يار(١٩٨٧):

"الأستاذ **وديع فلسطين** عضو بمجمع اللغة العربية بدمشق، أديب ومفكر كبير، وباحث مدقق نزيه، وأخ عزيز كريم، جمعني به عهد الوحدة على شاطئ النيل الجميل. وانقضت الوحدة. ولم ينقض وده وإخاؤه. ولم تضعف روابط محبتنا، بل زادت متانة واتصالا".

ويقول الدكتور **عبداللطيف اليونس** صاحب جريدة "الوطن" التي كانت تصدر في البرازيل في تقديم قصيدة "ياهزار الوادي" **لزكي قنصل** (التي نشرتها بمجلة "الوطن" (الأرجنتين)، الأربعاء١٧ آب ١٩٨٣): الأستاذ **وديع فلسطين** من كتاب العربية الكبار، وهو بقية السلف الصالح من الكتاب المصريين العمالقة الذين رحلوا، بعد أن تركوا بقايا في كأس، كمن أراد أن يحتسي وينتشي، أو هو بقية من

حبات العنقود التي انفرطت في مقلة الزمن وفي ضمير الغيب فأسكرها ــ وما تزال. ووديع **فلسطين** وحده عالم مستقل من النبل والوفاء، فهو إلى جانب عبقريته المتفوقة في عالم الأدب رجل مودة ووفاء منقطعي النظير. وما أعرف امرءا أعطى الراحلين حقهم من المتابعة والتقدير، وظلت صلته بالأدباء الأحياء متعانقة متنامية مثله هو، وأديب كبير آخر بنفس المستوى والعطاء الروحي والأدبي .. وأعني به الأستاذ "**عيسى فتوح**" الذي أرضى ضمير الأدب العربي بتغلغله في ضمير الأدب العالمي، ونقل روائعه والمبدعين فيه .. ثم اهتمامه والأستاذ **فلسطين** اهتماما نادر المثال بالأدب العربي قديمه وحديثه، والأدباء الذين طواهم الردى ولكن عطرهم ما يزال يغمر خميلة الأدب، وكانت ثمة حاجة لأن ينتشر منها .. فقيض الله لها هذين الأديبين الكبيرين اللذين لو جمعنا ماكتبا، ويكتبانه عن الأدباء والشعراء لكان وحده معجما لتراثنا الأدبي ــ غنى ومثالية".

ويقول عنه الدكتور **فوزي عطوي** : "لست أعرف فيما أعرف، أديبا يعتز بصداقاته وإخلاصه في هذه الصداقات كصديقي الوفي أديب العروبة الكبير الأستاذ **وديع فلسطين**، فهو نسيج وحده، وهو يعرف أن الأدب صلة رحم وقربى بين المشتغلين في دنياه الفسيحة التي تتسع لأكثر من شخص، ولأكثرمن رأي ومبدأ. بعد هذا لاعجب أن قلت إنه أديب إنسان، لأن كل ما فيه يوحي بالإنسانية، وبالخير، وبالمحبة".

"**وديع** لايبغض أحدا، أصدقاؤه كلهم يعرفون ذلك. والإنسانية هي خلاصة المحبة بين الناس. **وديع** يقدر الجميع، ويحترم الحميع، لهذا لا ترى بين عارفيه إلا من يكن له كل تقدير واحترام وإعجاب؛ كنت مرة أتحدث مع الشاعر الكبير **جورج صيدح** لدى عودته الأخيرة من باريس بالهاتف، فبادرني بقوله: "إن **وديع فلسطين** حملني إليك التحية، إنه يحبك كثيرا" أما كيف حمل **جورج صيدح** التحية، فبواسطة

رسالة **وديع فلسطين** إليه، وإلى بقية أصدقائه، ثم استطرد **جورج صيدح** يقول: "هذا رجل نبيل، وكبير في أدبه، وأخلاقه، ووفائه".

٧ـ أوسمة، وجوائز، وعضوية مجامع:

يحمل الأستاذ **وديع فلسطين** وسام الاستحقاق المدني برتبة "كوماندور" من الحكومة الأسبانية منذ عام ١٩٥٢م تقديرا لأدبه الرفيع. كما أنه نال عام ١٩٤٩م جائزة **فاروق الأول** للصحافة الشرقية.

وقد كرمه مجمع اللغة العربية بدمشق باختياره عضوا مراسلا فيه عام ١٩٨٦م. كما اختاره مجمع اللغة العربية الأردني عضوا مؤازرا عام ١٩٨٨م.

٨-تواريخ في حياة وديع فلسطين:

-١٩٤٢م: تخرجه من قسم الصحافة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

-بين عامي ١٩٤٢-١٩٤٥م: العمل في جريدة الأهرام مفتشا في قسم التوزيع.

-بين عامي ١٩٤٥-١٩٥٢م: العمل في دار المقتطف والمقطم في أعمال تحريرية شتى: من ترجمة إلى كتابة المقالات الافتتاحية إلى القيام بعمل المحرر الدبلوماسي ومحرر الشؤون العربية والمحرر الاقتصادي ورئيس القسم الخارجي وعضو مجلس الإدارة والتحرير في الدار.

-بين عامي ١٩٤٨-١٩٥٧م: العمل بتدريس علوم الصحافة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

-بين عامي ١٩٥٣-١٩٥٤م: حرر مجلة الاقتصاد والمحاسبة الصادرة عن نادي التجارة الملكي.

-بين عامي ١٩٥٥-١٩٥٦م: عمل كبيرا للمترجمين في التحكيم الدولي حول قضية نقل البترول السعودي، وهو المعروف "بتحكيم أوناسيس"، وأمضى ثمانيه أشهر بين أمريكا وأوربا حتى تم الفصل في هذا التحكيم.

-بين عامي ١٩٥٦-١٩٦٨م: عمل في مكتب شركة أرامكو فيما وراء البحار بالقاهرة مديرا للعلاقات العامة، ثم مديرا عاما للمكتب، ثم مستشارا لمجموعة شركات أرامكو.

-بين عامي ١٩٦٨-١٩٧٠م: عمل مترجما قانونيا في شركة أوازيس أويل الليبية في طرابلس الغرب وهي شركة أمريكية.

-بين عامي١٩٧١-١٩٨٢م: عمل مديرا لمكاتب سفراء إيران في القاهرة.

-منذ عام ١٩٨٢م: يعمل محررا ومترجما حرا.

الفصل الثاني

مدرسته الصحفية

كانت "دار المقطم والمقتطف" هي المدرسة الصحفية التي ينتسب إليها **وديع فلسطين**. وفي الحوارات التي يضمها هذا الكتاب — وفي فقرات أخرى من فصول أخرى — أحاديث عن دار "المقطم والمقتطف" التي عمل بها وديع فلسطين، ويعد نفسه أحد تلاميذها. وفي هذا الفصل سننشر عددا من الفقرات التي توضح جوانب الصورة، وتضم تعريفا بالدار، ورسالتها، واهتماماتها، وكتابها، وموظفيها.

١-المقتطف:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** في حوار أجريته معه:

"إن "المقتطف" يمثل جامعة لامدرسة، بمعنى أنه كان دائرة معارف حية يتناول كتابها موضوعات الاقتصاد والزراعة والطب والأدب والشعر ومشكلات الاجتماع والمؤتمرات العلمية، هذا عدا أبواب الكتب الجديدة وسير الأعلام، ومساجلات القراء، وأخبار الحركة الفكرية في البلدان العربية والعالم. ولعلك تدهش إذ تعلم أن "المقتطف" كان في يومه رائجا في الريف بين المشتغلين بالزراعة، لأنه كان يقدم إلى القراء آخر التطورات في مستحدثات الآلات الزراعية، ومكافحة الآفات، وتربية النحل والبهائم، وما إلى ذلك من الموضوعات. وطبعي إذن أن تتسع هذه الجامعة لكل شيء حتى للآثار وتاريخها، بل حتى لموضوعات تحضير الأرواح، والتراسل الذهني، ولمغامرات الرحالة وصيادي الوحوش في الأدغال.

ولما كان معظم كتاب "المقتطف" من أهل العلم والمتطوعين وكلهم لا يشتغلون وظائف تحريرية مأجورة في المجلة، فقد تفاوتت أساليبهم ومناهجهم واتجاهاتهم، ولكنها جميعا تشترك في خصائص معينة هي الوضوح الكامل مهما كان الموضوع فيها شديد التعقيد، والحرص على اللغة العربية كأداة للتعبير حتى عن المصطلحات الأجنبية العلمية، ثم الحرية المطلقة في التعبير عن الآراء، باستثناء موضوعين كانت المجلة تتحاشاهما، هما الدين والسياسة.

وأعتقد أن هذه المجلة مازالت تحتفظ بجدية موضوعاتها إلى اليوم، وهي مرجع لاغنى عنه لأي دارس للحركة في البلاد العربية في القرن الأخير، وقد عمّرتْ ٧٧ عاماً".

ويقول في حوار أجراه معه **سعد العتيبي**: "فيما يتعلق بمجلة "المقتطف" التي يسمونها "بشيخة المجلات" فقد حملت راية العلم والعرفان سبعة وسبعين عاما، وكان البعض يصفها "بالمجلة الأستاذ" لأنها وسعت جميع علوم العصر، ولم تضق بفن من الفنون، وإن حرصت على اجتناب كل ما يتناول العقائد وكل ما يتنافى مع الأخلاق، حتى رفض أصحاب "المقتطف والمقطم" نشر الإعلانات "المجزية ماديا" عن الخمور، حرصا منهم على مكارم الأخلاق، كما أن "المقتطف" لم تحاول أبدا الترخص في الموضوعات التي تعالجها، فقد تكتب عن السينما باعتبارها صناعةً وتطوراً تكنولوجيا، ولكنها لا تعنى بالمشتغلين بالسينما من ممثلين وممثلات بالغة ما بلغت شهرتهم، كما أنها قد تُعرِّف بالمذاهب السياسية ـــ ولكنها لاتُروِّج لأي منها ـــ وتوضح مزايا وعيوب كل مذهب.

لقد كانت المجلة سجلا أمينا للعصر بعلومه وفنونه ومكتشفاته وآرائه وأعلامه وفلسفته. ولعل هذه الجدية الصارمة هي التي قضت على المجلة في ديسمبر ١٩٥٣م بعدما زحفت التيارات السوقية فأطاحت معها بمجلات "الرسالة" للزيات،

و"الكاتب المصري" لطه حسين، و"الكتب" لعادل الغضبان، و"الثقافة" لأحمد أمين، و"مجلة علم النفس" ليوسف مراد. وبئست هذه السوقية!

ويقول عن مجلة "المقتطف" (في رسالته المؤرخة في ٢٥/٤/١٩٩٦م): "مجلة "المقتطف" عمّرت سبعة وسبعين عاماً. تعاقب على رياسة تحريرها الدكتور **يعقوب صرُّوف**، وابن أخيه الدكتور **فؤاد صرُّوف**، و**إسماعيل مظهر**، و**نقولا الحدّاد**، و**سامي الجسري**، وهناك فترة قصيرة تولّى الإشراف على المجلة الدكتور **بشر فارس** دون أن يظهر اسمه عليها كرئيس للتحرير. ولكنه احتكر لنفسه قسماً داخل المجلة أطلق عليه عنوان "باب التعريف والتنقيب" صال فيه وجال مع أصحابه في النقد الأدبي، وما إليه من فنون.

وعندما صدرت المجلة كانت خاصةً للعلوم، ولكنها لم تلبث أن أفسحت صدرها للأدب بجميع فنونه شعراً نثراً وقصة، بل لقد نشرت كتابين ضخمين في نقد الشعر مُنجَّمَيْن في أعداد المجلة، وهما "خليل مطران الشاعر الإبداعي" **لإسماعيل أحمد أدهم**، و"الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث" **لمصطفى عبد اللطيف السحرتي**، ولم تتقيَّد المجلة بأي مذهب نقدي معيّن فكان كل ناقد يتخيَّر لنقده الأسلوب الذي يطيب له.

والعدد الخاص الوحيد الذي أصدرته "المقتطف" هو عدد "المتنبي" الذي استأثر به أستاذنا العلامة **محمود شاكر**. ولكن كان من عادة "المقتطف" أن تُصدر عشرة أشهر في السنة، وترتاح في شهري الصيف، فكانت تُعوِّض قراءها بهدية من مطبوعاتها، منها مثلاً "معجم الحيوان" للفريق **أمين المعلوف** باشا. و"مواكب الحياة" وهو مجموعة أقاصيص قدّم لها **محمود تيمور** بك، و"آفاق العلم الحديث"، و"فتوحات العلم الحديث"، و"الفتح مستمر" وكلُّها **لفؤاد صرُّوف**.

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٢٣/٣/١٩٧٥م):

"أما سؤالك الأول فهو عن "المقتطف" وهل كان فيها باب ثـــابت للنقـــد المسرحي، ومن الذي كان يضطلع بمهمة هذا الباب؟ وفي الرد على ذلك أقـــول: إن "المقتطف" التي عاشت من عام ١٨٧٦ إلى أن وسدها الثرى بيـــدي عـــام ١٩٥٢ كانت مجلة جامعة لكل أبواب المعارف العلمية والصناعية والزراعية والاقتصاديـــة، وكل فنون القول فلسفة وأدبا وشعرا ونقدا وإصطلاحا وهلم جرا، وإن كان الطابع العلمي هو الذي اشتهرت به لأن العلوم في وقتها كانت قليلة النقل إلى اللغة العربية، أما كتب الأدب فكانت بحمد الله أطنانا.

وكان طبيعيا أن يكون المسرح من الموضوعات التي تستأثر ولو بجزء من عناية "المقتطف". ولما كان الفهرس الكامل للمقتطف تحت يدي الآن، وقد ســـاعدت في الجهود التي بذلت في إخراجه في ثلاثة أجزاء ضخام، فقد فتحت الفهرس عند بنـــد "المسرح" ووجدت ما يلي: "المسرح" **لزكي طليمـــات** ســـنة ١٩٤٥، "احـــتراق المراسح" سنة ١٨٨٣، "النار في المراسح" سنة ١٨٨٩، "مسرح الأعين" **لعلي فودا** سنة ١٩٢٢، "المسرح أم المرزح" سنة ١٩٢٦، "المسرح المصري" **لمحمـــد تيمـــور** ١٩٢٣، "المسرحية في شعر شوقي" **لرشيد السعيد** سنة ١٩٤٧، "المسرحية في شعر شوقي" (وهو كتاب ألحق بالمقتطف في عـــام ١٩٤٧) للدكتـــور **محمـــود حـــامد شوكت**، وقد أعيد نشره بعد ذلك. ومع أن هذه هي المادة الواردة في الفهرس تحت بند "مسرح" فأكاد أؤكد أن المجلة قد عنيت بنشر تقاريظ كثيرة لمسرحيات عربية أو منقولة إلى العربية في أبواب الكتب، وأنا شخصيا صدرت لي عام ١٩٤٥ مسرحية "الأب" مترجمة عن الكاتب **أوجست سترندبرج** فتناولتها "المقتطف" بالعرض مرة أو مرتين.

فالمسرح لم يكن بابا دائما في "المقتطف"، ولكنه كان من الموضوعات التي لم تغفلها هذه المجلة الجامعة، فكتبت عنه منذ سنة ١٨٨٣!

وكان الدكتور **بشر فارس** قد تولى تحرير "المقتطف" في فترة قصيرة، **ولبشر فارس** كما تعرف اهتمام بالمسرح، وله مسرحيتان هما "جبهة الغيب" و"مفرق الطريق"، وقد نقد "المقتطف" كلتيهما. ثم إن "المقتطف" كان يصدر كتبا ملحقة يسميها "الملواحق"، واثنتان من هذه الملاحق هما مسرحيات للدكتور **أبي شادي**.

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٥/٤/١٩٧٥م): "وأقول بين حاصرتين إنه لا مجلة "المقتطف" ولا محررها من عام ١٨٧٦-١٩٢٧ الدكتور **يعقوب صروف** قد وجد من يعنى بإعداد دراسة شافية تتناول هذه المجلة ومحررها وأثرها في الحياة الفكرية، ربما مع استثناء كتيب **لفؤاد صروف** عن عمه، وكتيب **لعيسى ميخائيل سابا عن صروف**، ورسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة كمبردج عن "المقتطف"، ولكن واضعتها الطالبة المصرية **نادية فرج** (وكنت أعرفها) ماتت قبل مناقشتها، فمنحتها الجامعة درجة الدكتوراه بعد وفاتها. أما الرسالة نفسها فاحتفظت بها الجامعة في مكتبتها، ولم تنشر حتى الآن في ما أعرف..".

وقد سألته ألم تجر محاولات لإحياء "المقتطف" بعد احتجابه؟ فأجاب في رسالته المورخة في ٩/٧/١٩٧٦م):

"أما سؤالك عن انعدام محاولات إحياء "المقتطف"، فأفيدك ... أن أستاذي الأول الدكتور **فؤاد صروف** قال لي وهو يهم بالنزوح من مصر عام ١٩٥٣ بعد أن أقام فيها إقامة متصلة ٢٥ عاما، وتجنس بالجنسية المصرية: "إنني عائد إلى لبنان لأشغل منصب نائب رئيس جامعة بيروت الأميركية، وفي نيتي أن أبذل قصارى جهدي في إعادة إصدار "المقتطف" في بيروت بعدما تعذر استمرار إصدارها في مصر، وأنا واثق من أن بعض الأثرياء من أصدقائي وفي طليعتهم **إميل البستاني** سيناصرون هذا المشروع، ولكنني أخشى أن يضيق وقتي الجامعي بالإشراف عليها،

فهل توافق بدورك على الهجرة معي إلى لبنان لتتولى أنت الرياسة الفعلية لمجلة "المقتطف" إلى جانب سعيي لك لتعمل في الجامعة في وظيفة دائمة؟".

ومع حبي للدكتور **فؤاد صروف** الذي يكاد يبلغ مرتبة العبادة (كذا)، واعتزازي بالمقتطف اعتزازا مقدسا، فقد أبديت للدكتور **صروف** عذري قائلا له: أنت تتحدث عن مشروعات لا عن أشياء ملموسة، فلديك مشروع لإعادة إصدار "المقتطف" بتمويل أريحي، وهو مشروع قد يتحقق وقد لا يتحقق. كما تتحدث عن مشروع لإسناد وظيفة إلي في الجامعة، وهو أمر مرهون بوقته. وأنت تريدني أن أسافر معك إلى بيروت غدا، وأخشى ما أخشاه أن يخيب المشروعان، فأصبح عالة عليك وكلا على حياتك. وأستصوب إرجاء الأمر إلى أن تتبلور مشروعاتك وتغدو حقائق ملموسة، وعندئذ أستطيع بسهولة أن أقرر موقفي.

ومع الأسف فإن محاولات **صروف** لإعادة إحياء "المقتطف" لم تلق التشجيع المرجو، وإن كانت محاولته التالية لإصدار فهرس ضخم للمقتطف في ثلاثة مجلدات كبار قد نجحت، وصدر هذا الفهرس فعلا عام ١٩٦٩".

وسألته عام ١٩٧٥ عن المحررين الأحياء من دار "المقطم والمقتطف"، فأجاب (في رسالته المورخة في ١٩٧٥/١٢/٢٦م):

"وسؤالك الثامن هو عن محرري المقطم والمقتطف الباقين على قيد الحياة. فإن كان قصدك "بالمحررين" الكتاب الذين كانوا موظفين في الدار، فقد انقرضت غالبيتهم، و لم يبق منهم إلا الدكتور **فؤاد صروف** المقيم في بيروت (وعمره الآن ٧٥ سنة) وأنا. كما أن هناك بعضا من محرري جريدة "المقطم" يعملون في أماكن أخرى **كسامي حكيم** في "الأخبار"، **ومحمد علي رفاعي** الذي يصدر كتبا لحسابه الخاص، **ومشرقي عزيز** الذي يعمل في "صوت أمريكا" في واشنطن، **وأنطون نجيب مطر**

الذي حرر فترة في "وطني" ثم أحال نفسه إلى المعاش([1])، ومحمد الحامولي الذي يدير مكتب جريدة "النساء" في الإسكندرية.

أما إذا كانت تقصدك بالمحررين الذين كانوا يوافون "المقتطف" بمقالاتهم دون أن يكونوا موظفين في الدار، فمازالت بقية كريمة منهم على قيد الحياة، مثل **محمد عبد الغني حسن، ومحمود محمد شاكر. وحسن كامل الصيرفي.** والدكتور **عبد الرحمن زكي، وعلي أدهم، ومحمود** أبو الوفا، والدكتور **باهور لبيب، ومصطفى عبد اللطيف السحرتي. ومحمد** عبد المنعم **خفاجي**، ورضوان **إبراهيم** (الذي توفي منذ أيام — أي في ١١ ديسمبر)".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٨/١١/٣٠م) عن حوار أجراه معه الصديق الأديب **محمود المنسي** لمجلة "النصر" التي تصدر عن القوات المسلحة، وكنت أنا الذي أرسلته:

"زارني شاب مع زميل له لإجراء حديث معي، ولولا أنه ذكر اسمك لاعتذرت له، ولا سيما بعد أن بادأني بسؤال عن عملي في خدمة مجلة "المقتطف" الاستعمارية! ومراعاة لخاطرك عاملته بصبر وحلم، وأطلعته على مجموعات "المقتطف" ليرى بنفسه أن عالمنا العربي لم يعرف مجلة من هذا الطراز عمرت ٧٧ عاما، وماتت بمجيء حركة ٥٢ !، وانصرف بعد قضاء نحو ساعة في دردشات مختلفة على وعد بالعودة، ولكنني لم أره بعد ذلك، وتفضل عبد الله شرف بموافاتي بقصاصة من الحديث لأنني لم أكن اطلعت عليه".

٢-المقطم:

---

[1] يقصد: التقاعد.

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** في الحوار الذي أجراه معــه **ســعد العتيــبي**:

"كانت جريدة "المقطم" هي الثانية من حيث طول العمر بعد جريدة "الأهرام"، ولما سألت الدكتور فارس نمر باشا لماذا أطلق على جريدته اسم جبل "المقطم" قال إنــه أراد ان يوحي للقراء بأن جريدته هي الأصل، لأن الحجارة التي شيدت بهــا أهــرام الجيزة اقتطعت من جبل المقطم، و لم تكن بين الجريدتين منافســة؛ لأن "الأهــرام" تصدر في الصباح، في حين أن "المقطم" تصدر بعد الظهر، ولكل منهما سوقها، وإن تكن سوقا واحدة تتمثل في موظفي الحكومة الذين يشترون "الأهرام" وهم ذاهبون إلى مكاتبهم في الصباح، ويشترون "المقطم" وهم منصرفون من مكاتبهم في الساعة الثانية بعد الظهــر. وفي حين كان الاهتمام الأول "للأهرام" منصبا على الأخبــار، فإن "المقطم" كانت تركز على شرح هذه الأخبار في مقالات الصدر الضافية الــتي كان يكتبها خليل ثابت يوميا، وتظهر على الصفحــة الأولى، وتنشــر ذيولهــا في الصفحات الداخلية".

ويقول (في رسالته المورخة في ٢٥/٧/١٩٧٦م):

"وسؤالك الثاني عن جريدة "المقطم" ومن تولى تحريرها في أواخر عمرهــــا، فأخبرك أن **خليل ثابت** باشا (وكان يكتب اسمه بالتاء لا بالثاء) رأس تحرير الجريدة أكثر من أربعين سنة وإلى يوم ٢٨ فبراير ١٩٤٥. وتولى نجله **كريم ثــابت** باشــا (وكان يكتب اسمه بالثاء لا بالتاء) رياسة تحرير المقطم منذ أول مارس ١٩٤٥، وقد أغراني بالعمل معه فتركت جريدة "الأهرام"، وانضممت إليه من أول يوم تولى فيــه رياسة التحرير. وظل والده **خليل** باشا يكتب افتتاحيات "المقطم" عامين أو ثلاثــة بعد ذلك. ثم حدث أن دب نزاع بين الدكتور **فارس نمر** باشا مؤسس الجريدة وبين شركائه من آل **صروف ومكاريوس وثابت**، وصل إلى المحاكم، فقرر **كريم ثــابت** وأبوه ترك الجريدة. وعندئذ قرر الدكتور **فارس نمر** باشا تــأليف مجلــس لتحريــر

الجريدة وإدارتها، واختار أكبر المحررين سنا (**أنطون نجيب مطـــر**) ليكـــون رئيســـاً للتحرير، ولكن كان العبء الأكبر في التحرير والترجمة وقع عليَّ. أمـــا زملاؤنـــا في مجلس الجريدة فهم (**مطر**، و**فريد مكاريوس**، و**فريد قربـــة** مديـــر الإعلانـــات)، و**جرجس يوسف**. و**أسبيرو جسري** (محرر المقتطف)، و**مصطفى الحكيم**، وأنا).

وكان عملي في الجريدة يقتضي كتابة المقالات الافتتاحية اليومية خلفاً **لخليل ثابت** باشا، والإشراف على قسم الترجمة، والقيام بترجمة معظم التلغرافات الخارجية، وكتابة التعيقات الاقتصادية والمقالات الأدبية، وتقريظ الكتب. كما كنت مندوب الجريدة البلوماسي، وكنت أشرف على "المقتطف"، وأُجري الأحاديث الصحفية مع كبار الزائرين لمصر من الزعماء العرب والأجانب. وكان معنى هذا أن أكتب بمفردي يوميا ما لا يقل عن ثلاث صفحات كاملة من الجريدة، وأحياناً أكثر. ومع أنـــني لم أكن رئيس التحرير المسؤول، فقد كان الناس جميعـــاً يُعـــاملونني وكـــأنني المحـــرر المسؤول.

أما الذين كانوا يكتبون في الجريدة من الخارج فهم كثيرون. فإذا عرفـــت أن "المقطم" كانت صنواً "للأهرام" في تاريخهما الطويل (فالمقطم أُنشئ عام ١٨٨٨) لم تستغرب أن كان من كتابها: الشاعر **أحمد شوقي**، والشاعر **خليل مطران**، والأمـــير **شكيب أرسلان**، والدكتور **شبلي شميل**، والدكتور **منصور فهمي** باشا، و**ســـلامة موسى** .. وعشرات غيرهم.

وقد توقفت الجريدة في نوفمبر ١٩٥٢ بعدما اعتقل العسكر محررهـــا الأول، وحاربوها بكل سبيل هي و"المقتطف". أما "المقتطف" فصدر آخر أعداده في ديسمبر ١٩٥٢، وبه دُفنت المجلة إلى الأبد".

وقد سألته "عن الأحزاب والحزبية وموقف "المقطّم" منـــــها"، فأجـــاب (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/١٢/٢٧) يقول:

"تسألني عن الأحزاب والحزبية وموقف "المقطّم" منها، فأخبرك أن صحف "الشوام" أعني "المقطّم" و"الأهرام" و"دار الهلال" كانت كلها تتخذ موقفاً مُحايداً من الأحزاب، وإن شئت الدقة فقل إنها كانت مع الحكومة أيا كان اللون الحزبي لتلك الحكومة. وليس معنى هذا أنها كانت تُمالئ وتُنافق وتؤيد على طول الخط، ولكنها كانت تنشر تصريحات رئيس الوزراء، وتنشر في الوقت عينه كلام المُعارضة. وإن انتقدت فهي تنتقد من منطلق قومي لا حزبي، وتُنبّه الحكومة إلى أخطائها من زاوية مصلحة الشعب دون أن يكون لها هدف حزبي.

ولهذا كانت الحكومات ترهب صحف الأهرام والمقطم ودار الهلال لاعتدالها وتوخّيها الصدق في كل ما ترويه من أخبار أو تكتبه من افتتاحيات وتعليقات وانتقادات. وطبعاً كانت الصحف الحزبية كثيرة في تلك الفترة (كالمصري، والبلاغ، والوفد المصري، وصوت الأمة، والأساس، والكتلة، والنداء، والجمهور المصري، والشعلة .. وما إليها)، وهذه الصحف كانت تُمثّل الأحزاب التي تنطق باسمها، فتؤيدها في كل شيء، وتُعارض الأحزاب الأخرى في كل شيء. وكانت حماستها تتصف بالحدة في العبارة والتطرف في التهجُّم أحيانا، ولكنها كانت تُساعد في تسليط الأضواء سريعاً على أي فساد أو إفساد أو فضائح. وهنا فائدة حرية الصحافة، حتى وإن كانت صحافة أحزاب وأهواء".

ومن العجب أن هذه الجريدة حتى الآن لم تدرسها دراسة جامعية لترى دورها في الحياة المصرية. يقول الأستاذ وديع فلسطين (في رسالته المؤرخة في ٢٢/١٠/١٩٧٦): "في سنة ١٩٤٩ زارني في "المقطم" شاب جامعي وأخبرني أنه يُعدُّ رسالة دكتوراه في معهد الصحافة بجامعة القاهرة بإشراف صديقنا الراحل الدكتور **عبد اللطيف حمزة** عن "المقطم"، وأجرى معي سلسلة من الأحاديث، ثم هيّأنا له فرصة الاطلاع على السنوات الأولى من مجموعات "المقطم"، وظل يزورنا كل يوم جمعة ومعه أوراقه وأضابيره، ينقل فيها ما يشاء من مجموعات الجريدة. حتى

إذا ما قامت الثورة سنة ١٩٥٢ قررت الجامعة شطب موضوع الرسالة، بدعوى أن جريدة "المقطم" جريدة استعمارية! منذ عام ١٩٥٢ لا قابلت هذا الباحث، ولا عرفت شيئا من أخباره، ولا سمعت عن صدور أي كتاب أو بحث جامعي عن "المقطم". ولا أستبعد أن يكون الباحث نفسه قد اندثر بالأسلوب الذي كان متبعا في ذلك العهد الإجرامي الأغبر".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٣/٢٣م) ردا على استفسار لي عن تاريخ احتجاب "المقطم":

"وسؤالك الثالث يدورحول تاريخ احتجاب "المقطم". وهو على وجه التحديد ١٦ أو ١٨ نوفمبر ١٩٥٢ أما "المقتطف" فقد مددنا في عمره شهرا، في محاولة لإقناع الجهات الحكومية بتشجيع هذه المجلة بعد أن عمرت أكثر من ثلاثة أرباع قرن، ولكن "عساكر" تلك الأيام لم يكونوا على استعداد إلا لقتل الفكر ووأد المفكرين، فأقفلنا "المقتطف" حتى لا تزداد خسائر الدار. وانتهى الأمر ببيع مطابعها "خردة". واستولت الضرائب ثم الإصلاح الزراعي والتأميم على ما بقي لآل فارس نمر باشا وآل خليل ثابت باشا من أملاك.

وأنت تسأل إن كان من الممكن إعادة إصدار "المقطم" و"المقتطف"، فأقول لك: إن محرري الدار قد شهدت وفاتهم واحدا بعد واحد، وآخرهم صديقنا محيي الدين رضا الذي توفي في أول فبراير الماضي. ولم يبق على قيد الحياة من الذين عملوا في الدار إلا خمسة أشخاص أنا أحدهم، واثنان منهم يعيشان في الخارج. أما أصحاب الدار فقد انقرضوا، وأحفادهم يعيشون الآن في أوربا يزاولون أعمالا تجارية بعد أن نسوا اللغة العربية.

أما الدكتور فؤاد صروف، وهو حاليا أكبر أفراد هذه الأسرة، فعمره الآن ٧٥ سنة، وكان يمثل لبنان في هيئة اليونسكو حتى أصبح رئيسا لمجلسها التنفيذي،

وتقاعد من هذا المنصب من نحو ثلاثة أشهر. ولا عمره ولا صحتــــه ولا جنســـيته اللبنانية الحالية ولا عقليته التي تختلف اختلافا جذريا مـــع الفلســـفات الاشتراكيـــة الرائجة اليوم، تجعله يفكر في إحياء هذه الدار.

وكان الدكتور **صروف** قد فكر في عام ١٩٥٣ حين هاجر إلى لبنان، موطنه الأصلي، أن يعيد إصدار "المقتطف" وفعلا فاتح بعض كبار رجال المال في لبنـــان في الموضوع، كما فاتحني في أن أسافر إلى لبنان لتولي رياسة تحريرها، ولكن الظـــروف جميعا عاكست، فوئد المشروع.

وردا على سؤالك عما قدمته "المقتطف" من خدمة إلى الفكر العربي، يكفـــي أن أذكر لك الحقائق التالية:

أولا: أنه ليس هناك كاتب ذو شأن في العالم العـــربي كلـــه إلا وكتـــب في "المقتطف"، مثل: الشيخ **محمد عبده**، و**لطفي الســـيد**، و**المنفلوطـــي**، و**شوقـــي**، و**الرافعي**، و**حافظ**، و**قاسم أمين**، و**شبلي شميل**، و**مطران**، والدكتور **عزام**، والشيخ **عبد القادر المغربي**، و**تيمور** باشا، والأب **الكرملي**، والدكتور **المعلـــوف**، و**نقـــولا الحداد**، و**إسماعيل مظهر** .. ومئات غيرهم.

ثانيا: أن هذه المجلة هيأت العرب للتفكير العلمي بفصولها وكتبها ومعاجمها، وبما كتبته عن سير العلم، وحسبك أن تعلم أنها نشرت "نظرية النسبية" **لأينشتـــين**، و"معجم الحيوان" **لمعلوف**، و"جمهورية أفلاطون" **لخباز**، و"بسائط علـــم الفلـــك" **لصروف**، و"تراث العرب العلمي" **لطوقان**.

ثالثا: أن هذه المجلة أحدثت تجاوبا وائتلافا فكريا بين جميع المفكرين في البلدان العربية، وكانت ملتقى لكل عربي زائر لمصر. وبسبب هذه المجلـــة والذيـــن كـــانوا يزورونني في مكتبي فيها، عرفت في سن مبكرة جميع رجال الفكر في دنيا العرب في عصري، ولا أكاد أستثني منهم أحدا.

رابعا: أن هذه المجلة أغنت لغة العربية، ولا سيما في ميدان العلوم، بعشرات بل مئات من المصطلحات الجديدة التي تتداول اليوم في المجامع وكتب أساتذة العلوم.

وكانت "المقتطف" تنشر أي دراسة جادة تتلقاها بغض النظر عن كاتبـــــها، وهل هو مشهور أو مغمور، وبغض النظر عن رأي المجلة في الموضوع. وفتحت المجلة فيها بابا للمراسلة و المناظرة، لتناقش فيه الآراء في نطاق علمي بعيد عـــــن التـــهاتر والسباب. وأنا شخصيا بدأت النشر في "المقتطف" وأنا شاب مجهول، فاهتمت بنشر فصولي، بل كذلك بتقويم اعوجاجي. ولم تضق لا بي ولا بأمثالي مـــــن النـــاشئين، ماداموا يأخذون الأمر مأخذا جديا

الفصل الثالث

آراؤه الأدبية من رسائله

القسم الأول:

نظرات أدبية

هذه نظرات أدبية من رسائل الأستاذ **وديع فلسطين** لي التي كتبها على امتداد اثنين وعشرين عاماً (١٩٧٥ ــ ١٩٩٧م)، وقد شملت هذه الرسائل الأدبية الراقية مواضيع كثيرة منها الذكريات عن جيل الرواد، والمجلات الأدبية، والوظائف التي عمل بها، وهجرته إلى ليبيا في أواخر الستينيات ... وسنختارعدداً من المحاور التي تحدث فيها الأستاذ **وديع فلسطين**، والتي نرى أنها تستحق التقديم والنقاش:

١ ــ الإعجاب بجيل الرواد:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/٤/٢٨):

"من أخطائي التي أعترف بها أنني نسبتُ نفسي وأنا في العشرين من عمري إلى جيل قوامه قمم في السبعين والثمانين، فكان مجلسي اليومي مع الدكتور **فارس نمر باشا** (ومات عن ٩٢ عاما) و**خليل ثابت باشا** (وتوفي عن ٩٤ عاما) و**خليل مطران** (ومات في حدود الثمانين) و**سلامة موسى** (وقد تجاوز السبعين) و**نقولا الحداد** (وهو بدوره قد تجاوز السبعين) ... إلخ. فلما خلت أماكن هؤلاء الأعلام، وكنت مازلت غض الشباب التفت حولي فوجدت (الورثة) من شاكلة **يوسف السباعي** ، و**يوسف إدريس**، و**مصطفى محمود**، و**صلاح عبدالصبور** ... إلخ. وحاولت إجراء مقابلة بين عظماء جيلي وهؤلاء القوم، فألفيت الفريق الثاني شديد التفاهة. ولكن هذا الفريق صار اليوم يتصدَّر حياتنا الأدبية، بحق أو بغير حق،

وسواء رغبت أم كرهت. فأحسست وما زلت أحس بأن الأدب سائر إلى حضيض، وإن كانت جميع الأبواق المُجلجلة من حولنا تتحدث عن "النهضة" ...".

ثم يضرب أمثلة توضيحية ، فيقول:

".. فإن رأيتني كارهاً للشعر الجديد ، فلأنني وقد ألفت شعر القوافي لم أستطع "هضم" الشعر الجديد — حتى بعد قراءة **السيَّاب والبيَّاتي ونازك وفدوى والحيدري** وتلميذي السابق **معين بسيسو** ... وغيرهم، وإن رأيتني أمُجُّ أسلوب **يوسف إدريس**، فلأنني نشأت على قراءة أساليب **الزيَّات وفؤاد صرُّوف وأحمد زكي ومحمود تيمور ووداد سكاكيني**، وإن رأيتني عاجزاً عن فهم **لطفي الخولي**، فلأنني عشت في صحافة الوضوح؛ صحافة **أنطون الجميِّل وخليل تابت وعزيز مرزا وتوفيق دياب وعباس حافظ وسلامة موسى**".

٢-الأدب والحرية:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٤/٢٨م): "لا أفهم للأدب حياة، إلا مع الحرية الكاملة غير المقيَّدة. فإن كان هناك قيد واحد فقل على الأدب السلام".

ويقول في الرسالة ذاتها: "ثم أراك تسألني عن الحياة الأدبية حاليا، فأقول لك: إن مظاهر تلك الحياة تتجلّى في أمور منها ندوات الأدب، وقد رأيت بعيني رأسي البوليس يفضُّها واحدة واحدة، ويعتقل روّادها، ويُلقي بهم في المنافي سنوات وسنوات! ورأيت المخبرين السريين أحرص على شهود هذه الندوات وأكثر عدداً من أعضائها الأصليين، فانفضّت الندوات، وربما إلى الأبد".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/٨/٣٠م):

"تسألني عن واقع الأدب العربي ومستقبله، فأقول لك بالمختصر المفيد: لاواقع للأدب ولا مستقبل بغير الحرية الكاملة؛ كنت يوم الجمعة الماضي في زيارة صديقي

وجاري العلامة **محمود محمد شاكر**. ولقيت عنده صديقي العتيد الشاعر **محمود حسن إسماعيل** الذي ابتدرني بقوله: ما تعليل امتناع الشعراء عن نظم قصائد في "تل الزعتر"؟ فقلت له: هذا السؤال يرتد إليك؛ لأنك أنت شاعر، تستطيع النظم في تل الزعتر وتل أبيب!، أما نحن فلا نتعس في بضاعة الشعر. ثم استدركت قائلا: إن الناس قديما كانوا ينفعلون تلقائيا إزاء كبار الحادثات، فينظم الشعراء شعرهم دون تكليف أو أمر متناولين فيه زلزال مسينا، أو حريق الزقازيق، أو كارثة منطاد زبلن ... أو غير ذلك. أما في العشرين سنة الأخيرة، فقد اعتاد الشعراء أن يتلقوا أوامر بإعداد قصائد في الموضوعات الجارية فجاء شعرهم خلوا من كل انفعال أو عاطفة. وحتى الآن لم تصدر للشعراء أوامر لنظم قصائد في تل الزعتر، ولهذا تخلفوا عن أداء هذا الواجب الوطني! فضحك **محمود حسن إسماعيل ومحمود شاكر** وكل الجالسين!".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٩/٣٠م):

".. فلما صارت الصحافة ألعوبة في يد الحاكم، وصار الصحفيون موظفين مهمتهم كتابة العرائض وترديد كلام الحاكم كالببغاوات، تركت الصحافة إلى الاقتصاد أولا، ثم تركت الاقتصاد بعد أن زحفت عليه الخزعبلات إلى الأدب. وحتى الأدب كدت أتركه غير مرة بعدما رأيت أسباب العبث تغشى ميادينه وتحاول إفساده بدعوى "الالتزام" أو باسم "الأدب الهادف". والمراد بهذه الألفاظ جعل الأدب موظفا في الدولة يلتزم بأوامرها ونواهيها ويستمد اتجاهاته منها. فرفضت هذه العقيدة في مقالات شتى، وفي كتابي النافد **"قضايا الفكر في الأدب المعاصر"**، ورفضت الانضمام إلى روابط الأدباء وأنديتهم واتحاداتهم ... لأنني أعتقد أن الأدب والحرية صنوان، فإن فقدت الحرية فقل على الأدب السلام".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٦/٦):

"كم أتمنى أن تنصرف إلى أعمالك المفيدة، وتكف عن أمثال هذه المراسلات التي هي مضيعة لوقتك، ناهيك بما تحدثه من أثـــر غـــير مســـتحب في حيـــاتك واتجاهاتك. وظروفك تختلف اختلافا جذريا عن ظروفي؛ لأن عهدنا الحاضر يسمى عهد "العلم والإيمان"، بينما عهدنا الماضي الذي استهلكنا فيه شبابنا بل عمرنا كان في حقيقته عهد جهل وكفر وطغيان. فقد كنت في شبابي أمر على بائع الصحـــف فأشتري نسخة من كل ما عنده من صحف ومجلات باللغات الثلاث التي أعرفها، ثم أمر بالمكتبات وأقتني منها ما معدله ثلاثة كتب في اليوم، وبهذا الحمل كله أتوجه إلى داري حيث أقسم وقتي بين الكتابة والقراءة.

وكان أصحاب الوجوه المألوفة الذين أصادفهم في الترام والأتوبيس يرونـــني جالسا وهذه الأكداس من الصحف في حجري وبين يدي ما أطالعه منـــها كســـبا للوقت، فكانوا ينظرون إلي نظرة فيها معنى الاحترام لاجتهادي وجدي.

فلما جاء العسكر، صرت أقرأ في وجوه الذين يتابعونني ويلاحقونني بنظراتهم معنى التشكك والارتياب بل الاتهام. فعز علي أن أترك هواياتي، ومن ثم قررت شراء الصحف كالمعتاد، ومتى ذهبت إلى مكتبي طويتها وغلفتها وكتبت عليـــها عنـــوان منزلي، ووضعت عليها الطوابع المستحقة، ثم أعطيتها لساعي المكتـــب ليضعـــها في صندوق البريد، ومن ثم يحملها ساعي البريد لمنزلي بعد يومـــين أو ثلاثـــة، وبهـــذا أحاذرأن أرى حاملا هذه الأكداس من الصحف!!

فلما تسلط الرقباء و"الووترجيتيون" على بريدي كففت عن إضاعة الوقت في شراء الصحف ومطالعتها، واقتصرت على "الأهرام" قائلا: إن الجهل أسلم وأدعـــى إلى الحكمة!

ومن هذا ترى كره الطغاة للفكر والثقافة، فاضطروني أولا لإلى ترك الصحافة التي كانت ميدان تخصصي ودراستي، وفيها ألفت وحاضرت في الجامعة الأمريكية، واشتغلت ثم تركت قراءة الصحف، ثم اختصرت كتاباتي التي كانت تملأ صحـــف

الأدب في دنيا العرب، ثم احتجبت عن دنيا الأدب والفكر. وانزويت في داري، واقتصرت على الإطلال على دنيا الأدب في الحين بعد الحين. ومراسلة الأدباء الذين يحسنون بي الظن".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٧/١م): "ويهمني من جديد أن أعترض على ما تنسبه إلي من كيان في دنيا الأدب يحملني مسؤوليات تلقاء ما يسمى "بالتاريخ الأدبي"؛ فأنا أغشى الحياة الأدبية غشيان هواية لا احتراف، ووقتي الضائع في استنجاز مطالب الحياة لا يكاد يدع لي وقتا للأدب. فكيف أكون مسؤولا عن إنصاف باكثير — وكم أحب أن أنصف هذا الصديق الوفي — أو عن تخليد ذكرى السحار وغراب وعبد الحليم عبد الله ومحمود الشرقاوي والجيار وعشرات غيرهم، بينما أنا شخصيا لا يقام لي أي وزن في حياتنا الأدبية؟

أتعرف يا صاحبي أن شيخنا العالم المفكر المستنير محمود أبا رية قد هوجم في حياته أشد مهاجمة، وألفت في تكفيره بضعة عشر كتابا في مصر والحجاز وسورية لسبب واحد هو صداقته لي؟ ولم يجرؤ واحد من مهاجميه أن يذكر هذه الحقيقة، كما أنني من ناحيتي اجتنبت تناول كتبه بالتقييم والإطراء لأعفيه من مزيد من أسباب الهجوم!

ولهذا أحب أن يكون دوري في الحياة الأدبية هو دور المتفرج، فالبهلوانيات لا أحسنها، والألعبانيات ليست من شيمتي، ولا أنا متصل بوزير ولا بهيئات رسمية. فإن كان من مؤدى هذا أن أكتب لقلمي الحرية الكاملة، فلا يسخر في خدمة زيد أو عبيد، أو يساق في خدمة الظروف المتغيرة فهذا حسبي.

ومهما نقبت في سود صفحاتي فلن تجد في كل ما كتبته حرفا واحدا قيل في امتداح طاغوت أو الإشادة بطغيان. ولعل هذا هو سر تجاهل الدنيا الأدبية لي،

لأنني لم أعرف من أين تؤكل الأكتاف والعصاعيص، و لم أنتسب إلى صبيان هـــذا الوزير الحاتمي([٢]) أو ذاك الوزير السباعي([٣]) أو العكاشي([٤])".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨١/١/٢٩م):

"كنت قد تلقيت دعوة من مجلة "الفكر" التونسية بأمر من منشئها **محمد مزالي** ــ وهو الآن رئيس وزراء تونس ــ لحضور مهرجانها الفضي وإلقاء كلمـــة فيـــه، ولكني اعتذرت بسبب مشاغلي الكثيرة، وإن كان هناك عذر أهم لم أذكره، وهـــو خوفي من تأويل قبولي لهذه الدعوة تأويلا سياسيا في مصر، لاسيما و(أنني) تربطـــني صداقات أخوية قديمة بزعماء تونس الحاليين منذ ما كـــانوا يجـــاهدون في مصـــر لاستخلاص استقلال بلادهم، وأول هؤلاء الأصدقاء الحميمين **الحبيـــب بورقيبـــة** نفسه، الذي كان يزورني ويلازمني ساعات طويلة. فقد شبعـــت (قرفـــا) بســـبب السياسة ــ دون أن أكون في حياتي سياسيا ــ ومن هنا أوصد أي باب تأتي منـــه هذه الرياح البغيضة".

"وكانت مجلة "الفكر" تأتيني هي وكل المطبوعات الجديدة الـــتي تصـــدر في تونس، ولكنها انقطعت بالكامل منذ ما قرر العرب مقاطعة مصر ([٥])، وحتى العدد الخاص بالمهرجان لم يصل إلي من إدارة المجلة، ولكنني اقتنيته من الباعة عندما لمحتـــه معهم، وفيه كلمة تحية مني ــ وهي الكلمة المصرية الوحيدة، ولعلك تلاحظ أنـــني عرضت بعبد الناصر وعهده تعريضا خفيا، عندما تحدثت عن إغلاق "المقتطـــف" في عام ١٩٥٢ استعاذة من سلطان الجهل الزاحف"!.

---

[٢] -نسبة إلى محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة الأسبق.

[٣] -نسبة إلى الروائي يوسف السباعي وزير الثقافة الأسبق.

[٤] -نسبة الى ثروت عكاشة وزير الثقافة الأسبق

[٥] -بعد زيارة السادات لإسرائيل.

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٣/١٩٨٢):

"شكراً على رسالتك المؤرخة في ٣/٣(/١٩٨٢) التي سمت من عبث البريد المُسلّط على رسائلي "بفضل" النجاسات البوليسية! وشعاري في الثلاثين عاماً الأخيرة منتحل من بيت المتنبي القائل "والحُرُّ مُمتَحَنٌ بأولادِ الزنا"! فإن رأيتني ألعن "أولاد المتنبي". فلقد عرفت من هم "الأولاد" الذين أعنيهم. وهؤلاء جاثمون على صدري منذ عهد عبد الناصر الأفسق إلى هذا العهد الأطهر، وقد فقدت كل أمل في (أن) يُغيِّر القوم رأيهم فيَّ، على الرغم من أنني لا أتعامل بلغة الظفر والمنقار والناب والنعل التي تنصحني بأن أُخاصب بها الناس!(٦)، والقصة طويلة وكريهة، وأُعفيك من حلقات هذا المسلسل (المُقرف) الذي عشته ومازلت أعيشه، ولا ذنب لي إلا ما نسبه أبو شادي من ذنب إلى الدكتور إبراهيم ناجي حين قال:

أتُرى كلُّ ذنبِــه أنــه شــاعرٌ شعرْ

فاعرف — إن كنت لم تعرف — أن أكبر جريمة في أمتنا العربية هي جريمة الفكر، وهي جريمة تُحاربها جميع دولنا العربية مهما تعدّدت أنظمتها ... فأنا وأنت مُجرمان، أو لعلنا — في القليل — مشروعٌ لمجرم!، فهيئ نفسكَ للنجاسات البوليسية التي تمرستُ عليها، واخشوشن جلدي تلقاء مناخسها! وإن رأيتني غائباً عن الحياة الأدبية في مصر من ثلاثين عاماً وإلى آخر العمر، فقد عرفت سبب غيابي".

---

٦ —يقصد قولي في رباعيتي المهداة له:

يا وديعَ النفسِ في دُنيا الذئابْ　　　أنت تحيـــا في حـــياة قاتِلهْ
فلتستعِرْ ظفراً ومنقــاراً ونابْ　　　ثمّ دُسْ بالنَّعْــلِ هــذي القافلهْ

ولعل مفهوم وديع فلسطين لحرية الأديب وتمسكه بها هي التي جعلته ينأى عن الأحزاب والتنظيمات الحزبية طوال عمره، فلم ينضم إلى حزب قبل الثورة أو بعدها. يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/١٢/٢٧):

"أما أنا فقد كنت ومازلت مستقلا في الرأي، ولا أنتمي إلى أي لون حـــزبي، فلا كنت قبلا من الوفديين أو الســـعديين أو الدســـتوريين أو الكتلويـــين([٧])، ولا انضممت إلى هيئة التحرير أو الاتحاد القومي أو الاتحاد الاشتراكي، ورفضت حتى أن أعمل في الصحافة عندما اشترط **عبد الناصر** على جميع الصحفيين أن يكونوا أعضاء في اتحاده الاشتراكي، وأعتقد ــ شخصيا ــ أن المفكر الذي يحترم عقله، لا يمكن أن ينضوي تحت حزبية أيا كان وجهها فيقيل كل ما تقول به دون اعتراض، ويغـــض الطرف عن سوءاتها إذا تراءت أمامه.

واستقلال الرأي يتيح للمرء أن يحكم على كل قضيـــة في ضـــوء ظروفـــها واعتباراتها الخاصة دون هوس أو هوى. وليس بعيدا عن الصـــواب مـــن وصـــف "توظيف" الفكر بأنه "عهارة"، فالفكر المشترى أو المباع([٨]) لأهواء السياسيين هـــو فكر داعر".

٣–حال أدبنا اليوم:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (من حوار أجراه معه المؤلف، مجلة "الفيصـــل"، أغسطس ١٩٩٨م):

***ما حال النقد العربي اليوم؟ وهل يقوم بوظيفته في نقد العمـــل الأدبي وفي مخاطبة جمهور القراء المتعطشين إلى المعرفة؟**

---

[٧] –نسبة إلى حزب "الكتلة" الذي أسسه مكرم عبيد باشا بعد أن انشق عن الوفد.

[٨] –الأصوب: المبيع.

-حال النقد الأدبي لا يسر، سيء لأنه يكاد يختفي من حياتنا الأدبية بعد اختفاء أعلامه، مثل: **طه حسين**، والعقاد، **ومحمد مندور**، **وسيد قطب**، **ومحمد عبد الغني حسن**، **ومصطفى عبد اللطيف السحرتي**، أو لأن ما نصادفه اليوم من نقد — على قلته — يكاد يندرج تحت تصنيفين عريضين، هما "**النقد الأبوي**" كما وصفه **نجيب محفوظ**، وفيه يختفي الناقد بكلمات شابة من قبيل التشجيع والعطف، و"**النقد التكنولوجي**" — كما أوثر أن أصفه — وفيه يعمد الناقد إلى تطبيق معايير مستعارة من خارج الأدب، كالمعايير الرياضية والهندسية والكمبيوترية على الآثار التي يتصدى لنقدها، ومن هنا دخلت إلى ساحة النقد تعبيرات مثل "المعمار"، و"البناء"، و"التفكيك"، و"الزخم"، وما إليها. وهي تعبيرات ألصق بالهندسة والميكانيكا منها بالأدب.

ولا يختلف اثنان على أن وظيفة النقد تكاد تكون عالة على الأدب، بمعنى أن الناقد يصبح من المتعطلين عن العمل — وفي بطالة دائمة — إذا اختفى الأدب من حياتنا، وهو افتراض جدلي ليس إلا. وبعبارة أخرى: إن الناقد شبيه بطبيب الأطفال الذي لا يستطيع أن يشرع في تطبيق طبه إلا بعد أن يخرج الوليد إلى الحياة، وعندئذ فقط يزاول طبيب الأطفال المهمة التي نذر نفسه لها وتخصص فيها. وكما أن الطبيب يعالج كل قصور يشخصه في حالة الطفل، فإن مهمة الناقد أن يتناول العمل الأدبي بنفس القدر من نطاسية الطبيب من حيث تشخيص أوجه القصور فيه والتنبيه إلى سبيل تداركها، وإظهار ما في العمل الأدبي من خصائص يستقل بها، أو أنها منتحلة من عمل سواه. وفي يد الناقد دائما ميزان ذو كفتين: كفة لتبيان المزايا التي يتحلى بها العمل الأدبي، وكفة للتنبيه إلى أوجه النقص التي يرتئيها في هذا العمل، وله بعد ذلك أن يخرج برأي جامع يضع العمل الأدبي في المرتبة التي يستحقها ارتفاعا وانخفاضا.

وهنا تصبح وظيفة الناقد أشبه بوظيفة القاضي الذي يوازن بين الدعاوى المنظـــورة أمامه، ثم يصدر حكمه المتضمن رأيه الرجيح.

وإذا كان القاضي يسترشد في قضائه بمواد القانون التي لا يسعه أن يخالفها، فإن الناقد يضع لنفسه قانونه الذي يطبقه ويستهويه، سواء أكان هذا القانون مستمدا من مذاهب النقد ـــ عربية كانت أو غربية ـــ أم من وحي اجتهاداته الخاصة. ولهذا فإن الأثر الأدبي الواحد قد يرجح في ميزان ناقد ويشول في ميزان ناقد آخـــــر، لأن لكل من الناقدين أدواته واجتهاداته التي صدر عنها في إصدار أحكامه، ومادام الناقد بشرا فهو لا يخلو من هوى، والهوى هو أول مطعن يوجه إلى الناقد.

ووظيفة الناقد تحتم عليه أن يخاطب الجمهور القارئ إلى جانب صـــــاحب العمل الأدبي، الذي يهمه أن يعرف آراء النقاد في كتاباته، ولكن بعض النقاد عندنا ينسون حق الجمهور في متابعة نقدهم، لأنهم يستخدمون في نقدهـــم مصطلحـــات أعجمية دون محاولة لشرحها أو تبيان معناها، كما أنهم يشيرون إلى أعمـــال أدبيـــة أفرنجية دون أن يحددوا للقارئ ملامحها، ولعلهم يفترضون أن كل قارئ ملم بآداب العالم شرقًا وغربا. فمادام الناقد يريد أن يوصل رسالته إلى الجمـــهور العريـــض في الصحيفة التي يكتب فيها، فلا بد له من أن يرعى حق القارئ في الفهم، وحقــــه في الإحاطة بالعمل الأدبي المنقود، وحقه في أن يخرج بعد ذلك برأيه الخـــاص، ســـواء أوافق رأي الناقد أم خالفه.

***هل يعني ذلك أن معظم النقد المكتوب اليوم لا يقوم بـــدوره في الحيـــاة الأدبية بخاصة والثقافية عموما؟ وفي توجيه القارئ إلى الكتب الجيدة؟**

-لكي تكتمل رسالة النقد لا بد أن يجتمع لها ثالوث يتمثـــل في المؤلـــف أو صاحب الكتاب المنقود، والناقد الذي يضطلع بتقييم الأثر المنقود، ثم القارئ الـــذي يوطب من طريق الصحيفة أو المجلة بكلام الناقد. وكنت على مدى العمر أنتقي ما يهمني من الكتب الجيدة استنادا إلى آراء النقاد المنشورة، ولا سيما النقـــاد الذيـــن

أورثوني ثقةً في كتاباتهم، وبت أرتضي شهادتهم قبل أن أدفع ثمن الكتاب، ولكنني كففت عن الاحتكام إلى آراء نقاد هذا الجيل في الكتب الجديدة الصادرة، بعد ما خابت ظنوني في موازينهم النقدية.

ففي ما يتعلّق بمدارس الشعر الجديدة التي خرجت على قواعد الخليل وثارت عليه، والتي وجدت نُقّاداً يتحمسون لها من الدكاترة وغير الدكاترة، فقد حفزتني الرغبة في متابعة هذه المدارس الجديدة — أو قل هو الفضول الذي دفعني إلى ذلك — في قراءة كم ضخم من الآثار التي جاء بها المحدثون، سواء في مجلة "شعر" اللبنانية التي طالعت كل ما نُشِر في عمرها، أو في الدواوين الصادرة، وألفيتني — بتحكيم ذوقي الخاص — أستشعر التعرض لعملية خداع ضخمة من جانب النقاد الدكاترة وغير الدكاترة، الذين حاولوا تزيين القبيح وتجميل "الكلام الفارغ" من أمثال: "وشربتُ شاياً في الطريق، ورتقتُ نعلي"! و"أضاجع سريري كل يوم، أضاجعه فلا يحبل"! إلى آخر هذا "الكلام الفارغ" الذي احتفى به — وما انفك يحتفي به — دكاترة النقد وصبيانهم!

والناقد الذي يحترم رأي القارئ وذوقه يستحيل عليه أن يُطري مثل هذا "الكلام الفارغ" سواء باسم الإبداع أو بأي اسم آخر يخترعونه من معاجم مصطلحاتهم الغامضة.

***قدّمت لنا مثالاً للشعر الذي تعدُّه "كلاماً فارغاً" ومع ذلك احتفى به النقاد، فهل تُقدِّم لنا مثالاً من النقد المعاصر الذي لا يُعجبك حتى يكون القارئ على بينة؟**

–من قبيل التمثيل أورد فقرة من مقال نقدي نُشر في مجلة "فصول" المصرية (عدد يناير ١٩٩٢)، وقد جاء فيه: "وشواغل اللغة يجب أن تكون في منطقة وسطى بين التجريد والتجسيد، بمعنى أن تبتعد قدر إمكانها عن مفردات الوقائع الجزئية، وأن

تتحاشى ـــ إلى حد ما ـــ الهموم اليومية النمطية، وإن كان هذا لاينفـــــي إمكـــان تسرب بعض هذه المفردات إلى الشخوص أو الأحداث في أوقات بعينها تقتضيـــــها الطبيعة الدرامية (وهذا يعني وجود الوعي بها حتى مع غيابها) بل من المسموح به أن تتحول اللغة ـــ في مواجهة مثل ذلك ـــ إلى كائن صامت يرمز للغائب، ويستحضره بالصمت، أكثر مما يستحضره بالكلام"!

وأقر ـــ بادئ ذي بدء ـــ بجهلي الفاضح في فهم هذا الكلام المنقول بنصـــه. فما معنى أن شواغل اللغة يجب ـــ أي من الحتم ـــ أن تكون في منطقة وسطى بين التجريد والتجسيد؟ وما معنى أن من المسموح به (ومن سمح بذلك؟) أن تتحول اللغة إلى كائن صامت يرمز إلى الغائب ويستحضره بالصمت أكثر مما يستحضره بالكلام؟ (فهل هناك لغة صامتة ولغة متكلمة؟ لعلها توجد في عالم الخرس، وليست في عالم الأدب الذي وسيلته الأولى هي اللغة مكتوبة ومنطوقة).

٤-رأيه في الشللية في حياتنا الأدبية:

يرفض **وديع فلسطين** الشللية المقيتة التي تستشري في حياتنل الأدبية، يقول في حوار معه نشرته مجلة "الإخاء" :

"هناك نزعة احتكارية بادية معالمها في الجو الأدبي كله. فخمسة أو ســـــتة أو عشرة من الأدباء هم الذين آلت إليهم منابر الأدب جميعها؛ فهم في مجلس الفنـــون، وفي جمعية الأدباء، وفي نادي القصة، وفي اتحاد الكتاب، وفي مجـــــلات الأدب، وفي أركان الإذاعة، وفي "استوديوهات التليفزيون"، وفي منتديات الأدب ومؤتمراته".

"وهناك إحجام عن التعريف بالكتب الجيدة القليلة الصادرة، و"إســـهال" في التعريف بالكتب التي تشول في ميزان النقد. وهناك جنوح إلى الأخـــــذ بأســـاليب "الموضة" في الأدب. و"الموضة" معناها قيام مناسبة ما، فيتسابق على التأليف فيـــــها الأدباء والشعراء، حتى إذا جاءت مناسبة أخرى سايروا "موضتها"، وهكذا دواليك.

وهنـــاك استخفاف بأهم عنصرين من عناصر الكتابة الأدبية. وأعني بهما الأسلوب والفكرة. وما أكثر ما نقرأه، فإذا هو مسلوب من الأسلوب ومحروم من الفكرة".

ويقول (في رسالة مؤرخة في ٦/١٩٨١م):

"لخص لي صديق حديثا لك منشورا في مجلة "الوطن" العمانية ــ ولم أرها في حياتي ــ فأعجبتني شجاعتك في مهاجمة "شلل الأدب" ــ وأكاد أقول "عصابـــات الأدب" ــ التي سيطرت كالأخطبـــوط على حياتنا الأدبية، وسدت المنافذ أمام كل من لا ينتمي إلى هذه الروابط الغريبة. وأقول لك مهدئا: إنك لن تصلح الحال ولـــن تغير ما بالقوم".

٤-آراء في بعض الصحف والمجلات الأدبية:

يقول (في رسالته المؤرخـــة في ١٩٧٦/٨/٣٠) عـــن المجـــلات الأدبيـــة في السبعينيات: "كثرت مجلات الأدب خارج مصر، وصارت غالبيتها تحاول اجتذاب الكتاب المصريين؛ فهناك في العراق "الأقلام" و"آفاق عربية" و"الكتـــاب" ــ وقـــد احتجبت أخيرا ــ و"الثقافة" و"الثقافة الجديدة" و"المورد"، وفي ســـورية "الضـــاد" و"الموقف الأدبي" و"المعرفة" و"مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـــق" و"الكلمـــة"، وفي الجزائر "الأصالة" و"الهداية" و"الثقافة". وفي السعودية "المنهل" و"العرب" و"قافلـــة الزيت"، وفي لبنان "الأديب" وو"الآداب" و"الورود" و"العرفان" و"قب إلياس"، وفي تونس "الفكر" و"جوهر الإسلام" و"الحياة الأدبية" و"القصة" و"المجلة التاريخية"، وفي المغرب "اللسان العربي" ودعـــوة الحـــق، وفي ليبيـــا ... "الثقافـــة الجديـــدة"([٩]) و"الشورى"، وفي قطر "الدوحة"، وفي الكويت "العربي" و"عالم الفكر" و"البيـــان". وهناك مجلات أخرى لا تعيها الذاكرة ولا أنا أطلع عليها.

---

[٩] -الصواب: "الثقافة العربية".

ولكن لاريب في أن كثرة هذه المجلات جعلت كفة الأدب ترجح في البـــلاد العربية عنها في مصر، حيث تقلّص عدد المجلات الأدبية إلى أقل من أصابع الكـــف الواحدة".

*يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٢/٣/٧) عن مجلة "قافلة الزيت":

"هذه المجلة وُلِدت في حجري، ورافقت حياتها إلى هذا اليوم، وكنتُ في أزهى عصورها المسؤول عن اقتراح ما يُنشر فيها والحصول على المقالات من الدنيا الأدبية كلها، وأنا الذي استكتبت العقاد في "القافلة"، واستكتبت هيكل باشا، والسربوني، وعبد الرحمن صدقي، وعبد الرحمن زكي، وعزيز أباظة باشا، ومنصور فهمي باشا، وسليم بك حسن، والشيخ شلتوت، والشيخ تاج، والدكتور محمد البـــهي، وعبـــد الغني حسن، وإبراهيم المصري، ويوسف جوهر، والأمير مصطفى الشهابي، وصيدح و.. و .. و ..

ومنذ شاءت "القافلة" أن تستقل عني عراها الهُزال، وهي مازالت تســـتشيرني بالمجان في بعض أمورها، وتطلب مساعدتي في اقتراح موضوعات أو كتّـــاب أو في معرفة عناوين كبار علماء أمتنا العربية، فأقدِّم لها هذه المساعدة باسم الأخوة القديمة وبلا مقابل".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/١/١٢م) عن مجلة "الهلال":

"مجلة "الهلال" أُسنِد تحريرها إلى جثة تُدعى **حسين مؤنس**، وهـــي ســـائرة {بالمجلة} بخطا سريعة إلى "الإمام الشافعي"! وأعتقد أن عصرها الذهبي في السنوات العشر السابقة هو عصر **صالح جودت** يليه عصر **رجاء النقاش**".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٢/٨/٤م) عن مجلة "الهلال":

"مجلة "الهلال" لها شخصية تميزت بها منذ صدورها، وهي شخصية المجلة الـــتي يغلب عليها الأدب، وإن كانت لاتهمل الموضوعات الطريفـــة والنـــوادر التاريخيـــة

وأخبار تقدُّم العلوم وما إلى ذلك. عندما توفي صالح جودت. وجدت **أمينة السعيد** ضالتها المنشودة في الدكتور **حسين مؤنس** الذي كان عائداً لتوه من الكويت حيث كان يكتب فصولاً في مجلة "العربي". فعيّنته رئيساً لتحرير "الهلال". ورأى الدكتور **مؤنس** أن مجلة "العربي" تُوزِّع ٥٠ ألف نسخة في حين أن مجلة "الهلال" لا توزع أكثر من ٢٠ ألف نسخة فقرّر جعل "الهلال" نسخة "طبق الأصل" من "العربي"، من حيث حجمها و"استطلاعاتها" وموضوعاتها "السكلانس"! وأراد أن يُجدِّد، فأدخل في المجلة امتحانات الثانوية العامة وأسئلة الكيمياء والطبيعة في مُقرّر الفصول الثانوية! فكان من نتيجة "عهده السعيد" أن ماتت مجلة "الهلال"، ولم يبق إلا أن تُدفن بسلام قبل أن تُتم سنواتها المئة.

وعندما صدر قانون الصحافة الجديد، نصَّ على ألا يتولّى المناصب القيادية في الصحف القومية مَنْ تجاوز الستين من العُمر، وبناءً على ذلك **أُعفي صبري أبو المجد وأمينة السعيد** من رئاسة التحرير، وعُيِّن بديل لهما. ولسبب ما **نُسي حسين مؤنس، (هو فوق السبعين بمراحل، من هذا القرار، فظل رئيساً لتحرير "الهلال" يتشبث بها ولا يُغادرها، حتى بعد ما استعان به أنيس منصور** في دار المعارف و"أكتوبر". وهاج محررو دار الهلال على هذا الوضع، وقالوا: ما معنى أن تبقى هذه الجثة في رياسة "الهلال" وهي أصلاً دخيلة على الدار؟ لأن مؤنس لم يكن محررا في الدار عند تعيينه في هذه الوظيفة. فتقرّر إعفاؤه من منصبه وإسناد العمل إلى أحد أبناء الدار وهو **كمال النجمي**، وهو شاعر مُجيد وأديب ذوّاقة، كما كان أبوه شاعراً ... و**النجمي** يُحاول إعادة "الهلال" إلى طابعها الأدبي الذي عُرفت به، وقد تحسّنت المجلة من حيث مادتها، ولا أدري هل انعكس ذلك على توزيعها أو لا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٩/١/١٣م):

"المقتطف" و"الهلال" القديمان لا يُعَوَّضان. و"هلال" اليــوم مجلــة صحفيــة وليست أدبية أو علمية، وطبيعي أن يخفَّ وزنه، لأن محررها الحالي شيء، ومحرريها السابقين من أمثال **جرجي زيدان** و**سلامة موسى** و**إبراهيم المصري** و**أحمد زكــي** و**طاهر الطناحي** شيء آخر. ومنذ تأميم الصحافة لم تزدهر "الهلال" أدبياً إلا في عهد **رجاء النقاش** وعهد **صالح جودت**. أما عهود اليساريين فكانت وبالاً عليها".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/٣/١م): أما "الهلال" في عهد **علي أمين** فقد تحولت إلى صورة أخرى من مجلات "آخــر ســاعة" و"المصــور". وفقــدت شخصيتها الأدبية المعهودة عنها. حتى إذا ما تولاّه اليساريون مثل كامل زهــيري و"صبيه" **إبراهيم عامر** تحوّلت المجلة إلى نشرة سوفيتية حتى لقد أصــدرت عــدداً خاصاً عن **لينين**".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩١/٥/١١م):

"نعم، لاحظت كتاباتك في مجلة "الهلال"، وهي وإن كانت "شللية" فلا بأس من إنصافك للدكتورين **صابر عبد الدايم** و[أحمد] **زلط**، ماداما لا يجدان إنصافاً من سواك[١٠]، فاكتب عن أعضاء شلتك المغبونين، ودعْك من صفــوة [أحمــد عبــد المعطي] **حجازي** وحرافيشه، الذين يُجاهرون باحتكار الساحة الأدبيــة لحســابهم الخاص!".

*ويقول عن مجلة "الشعر" التي صدرت برئاسة عبده بدوي في السبعينيات (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/٣/٢م): "مجلة "الشعر" في عهد الدكتور **عبــده بــدوي** خيرمنها في عهد الدكتور [عبد القادر] **القط** (وإن كان **القط** أقرب إليَّ من **بدوي**)".

---

[١٠]-يقصد مقاليَّ عن كتابين للدكتورين أحمد زلط وصابر عبد الدايم فــي مجلــة "الهلال"، هما "أدب الطفولة أصول، و"التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث" للثاني.

القسم الثاني:

وديع فلسطين: شاهد على عصره

١-وتوالدت الدولارات في ضياعهم!:

أ-"لعلي لم أخبرك بأن ابني الوحيد قد هاجر من عامين إلى كندا، وهو يلـــح علي أن ألحق به، ولكنني أوثر البقاء هنا لكثرة أعمالي وتنوعها، في حين أنني قد أجد نفسي عاطلا من كل عمل هناك مع إجادتي التامة للغة الإنجليزية.وإلمامي الجيد باللغة الإفرنسية، ولكنني قد أزوره في الصيف ـــ إن سمحت بذلك ظروفي ـــ وفي هـــذه الحالة أعرج على شقيقي الأكبر في إسبانيا، وهو قد هاجر إليها من عـــام ١٩٥١م، وتجنس بجنسيتها، وتزوج من إسبانية، ولم يبق إلا أن يصارع الثيران الإسبانية!

وفي أحيان كثيرة أحس بالندم لأنني عندما زرت الولايات المتحـــدة في عـــام ١٩٥٥م عرضت علي أعمال كثيرة دون سعي من ناحيتي، وكان الإغراء شديـــــدا للبقاء هناك، ولكنني آثرت العودة متوهما بأن رسالتي الأولى كصحفي هي نحو أمتي العربية لا نحو الفرنجة. أما زملائي وطلابي الذين بقوا هناك، فقد ابتسمت لهم الدنيا، وتوالدت الدولارات في ضياعهم، كما تتوالد الأرانب في ضيعتك.

(من رسالته المؤرخة في ٢/٤/١٩٩٠م)

ب-"عندما كنت في أمريكا عام ١٩٥٥ نصحني الناصحون بالبقاء هنــــاك، وعرضوا علي أعمالا مجزية في الجامعات وفي مكاتب المحامين، بل في إذاعة "صوت أمريكا"، ولكنني رفضت ظنا مني بأن مستقبلي في ديار يعـــرب لا في أمريكـــا. ولا أكتمك أنني نادم على اطراحي نصائحهم، فلو بقيت هناك لتخلصت على الأقل من النجاسات البوليسية والرذالات الضرائبية التي تطاردني بشراستها"

(من رسالته المؤرخة في ٣/٩/١٩٧٨م)

٢-دوري في الأدب:

"دوري الوحيد في الأدب هو دور الشيخ الكبسي، ولعلّك سمعت به وأنت في بلاد القات السعيدة![١١] فعندما أُنشئت الجامعة العربية استرابت جميع الدول العربية منها، خشية أن تكون وسيلة لابتلاعها. فلبنان مثلاً كان يخشى علـــى شخصيتـــه المسيحيية من الذوبان في هذا المجتمع المسلم. والملك عبد العزيز آل سعود كان يخشى من أن تُعلن القاهرة الخلافة الإسلامية (وقد جرت فعلاً محاولات في عهد الملك فؤاد ثم في عهد الملك فاروق) فيهتز مقام ابن سعود باعتباره حامي حمى الحرمين. كما أن الإمام يحيى الذي عزل بلاده عن الدنيا كان يخاف من أن تكون الجامعة سبباً في هدم أسوار العزلة. وعندما انعقد أول اجتماع لمجلس الجامعة العربية، أوفـــدت الـــدول العربية مندوبين مُكلّفين بعدم التعاون وبتأكيد شخصية كل دولة واســـتقلالها عـــن سواها، وعدم قبولها لأي قرارات تمس أوضاعها الداخلية. أما الشيخ الكبسي فكان موفداً من الإمام يحيى كمندوب مُراقب، يرى ويسمع ولا يتكلم! وأنا يا صاحبي هو هذا المُراقب الأدبي، الذي يُتابع ما يُنشر في معظم مجلات الأدب، وهذا قُصاراه!".

(من رسالته المؤرخة في ١١/٥/١٩٩١م):

٣-.. انسحبتُ من الميادين جميعاً!:

"الحمد لله أنني إذا كنت قد نُسيت أو أُنسيت في بلدي ومسقط رأسي، فقد ذكرني وكرّمني الأردن وسورية باختيارهما لي عضواً في مجمعيهما، وسبق لحكومـــة إسبانيا أن كرّمتني بإهدائي "نشان الاستحقاق المدني من طبقة كوماندر"،

كان صديقي **خليل مطران** بك يقول:

أُخلي مكاني للّذي يسمو إليهِ بغيرِ حُزنِ
لاتندبنّي للعظائم بعدهـــــا، لا تندبنّي

---

[١١] -يقصد اليمن التي عملت فيها في الفترة من ١٩٨٥-١٩٨٩م.

وإني مثله قد أخليت مكاني وانسحبت من الميادين جميعا وحسبي أنني أجري الآن في ميدان لا يباريني فيه أحد [يقصد ميدان الترجمة]، ولو كانت لـــــه جـــائزة "أوليمْبية لظفرت بها ربما وحدي".

(من رسالته المؤرخة في ٢/٤/١٩٩٠م)

٤-هكذا كانت مجلات زمان!:

ب-"صحافة أنطون الجميل وخليل تابت وعبد القادر حمزة و(محمد حسين) هيكل باشا وداود بركات وآخرهم عزيز ميرزا هي صحافـــة رأي، قوامـــه العلـــم والحجة والدراية الأدبية، أما صحافة اليوم فأغلبها صحافة خبر، وأقلها رأي يســـاق ترديدا لرأي الحكومة بغض النظر عن قواعد العلم والحجة والدراية الأدبية. وبعبارة أخرى كانت الصحافة القديمة تقود وتبصر، أما الصحافة المعاصرة فتقـــاد وتنقـــاد، فضعفت هيبة الصحافة، وصار محرروها "موظفين" في الدولة؛ ينقلون من "دكـــان" الأهرام، إلى "ديوان" الأخبار، أو من "وكالة" روز اليوسف إلى "مصلحة" المصور".

(من رسالته المؤرخة في ٢/٥/١٩٧٧)

٥-إنهم يغلقون منابر الأدب!:

"احتجاب مجلة "الدوحة" في قطر صاحبه احتجاب مجلة "الفكر" التونسية التي عطلت بعد انتظامها واحدا وثلاثين عاما ضمن الحملة على صاحبها **محمد مـــزالي**، وهكذا تختفي المنابر الأدبية الواحد بعد الآخر، لأن دولنا تعتبر الأدب من الكماليات الشديدة الخطورة التي يتعين التخلص منها في أول فرصة، ولك أن تتوقع احتجـــاب مجلات أخرى تذرعا بذريعة الأزمة الاقتصادية".

(من رسالته المؤرخة في ٢٣/١١/١٩٨٦م)

٦-المذاهب الجديدة .. لا أستسيغها:

"تسألني عن رواية "فاتنة الفيوم" للدكتور يعقوب صروف، وهل قرأت كلمة محمد جبريل عنها في جريدة "المساء"، فأجيبك بأنني لم أقرأ هذه الكلمة. أما الرواية فالأرجح أنها ضمن كتبي، وهي أطنان من حيث الحجم، كما أنها فوضى من حيث الترتيب. وأيا كان الرأي الذي أتى به محمد جبريل في موضوع هذه الرواية، فهناك حقيقة مقررة وهي أن من الظلم البين تطبيق المقاييس النقدية الحالية علـى روايـة صدرت من أكثر من ستين سنة. ومع هذا فإنني حين أقرأ الروايات العبثية التي تنشر اليوم، فإنني أجدني ميالا إلى الارتداد إلى الماضي السحيق وقراءة "زينب" و"سـارة" وروايات جرجي زيدان ويعقوب صروف، ففيها من العنصر القصصي ما يرضـي فني. أما المذاهب الجديدة في الأدب الروائي فلا أستسيغها، ولا قبـل لي بإتمـام رواية منها".

(من رسالته المؤرخة في ١/٦/١٩٧٥م)

٧-لماذا لا نقول الحقيقة؟:

"قرأت اليوم لصديقنا الدكتور **أحمد هيكل** مقالا في "الأهرام" عـن أسـتاذنا **الزيات**، والمقال يمتدح **الزيات** بدون تحفظ، وهو طبعا يستحق ذلك. ولكن فاته ــ عمدا أو سهوا ــ أن يشير إلى سقطة فظيعة وقع فيها الزيات عندما كان يحرر مجلـة "الأزهر" في عهد صديقه الشيخ **محمود شلتوت**، إذ كتب مقالا افتتاحيا قارن فيـه بين النبي **محمد** والقائد **صلاح الدين الأيوبي** والزعيم الملهم **عبد الناصر**!

وطبعا فضل الأخير. فقامت قيامة الأزهريين ضده، وأرسـلوا أطنانـا مـن البرقيات إلى كل المسؤولين، وطالبوا بإخراج **الزيات** من مجلة "الأزهر" لأنه بـات دخيلا على الأزهر، والشيوخ الأجلاء أحق منه بهذه الوظيفة. وطبعا لم يحفل أحـد بهذه الاحتجاجات، لأننا كنا في عهد الزعيم الملهم!"

(من رسالته المؤرخة في ٣/٦/١٩٩٦م)

٨-النقد الألكتروني:

آخر "صيحة" في حياتنا الأدبية هي الكمبيوتر الذي يطلق عليه أحيانا اسم "الحاسوب"، وفي أحيان أخرى الحاسب الآلي، وكذلك شبكة "الإنترنت". ويقولون: إن هذين المخترعين التكنولوجيين سيقومان بجميع الوظائف التي يؤديها العقل البشري. وحسب المرء أن يضغط على هذا الزر أوذاك، فيحصل في التو واللحظة على ضالته، وعندئذ يحيل عقله إلى التقاعد، فلم تعد له ضرورة أو وظيفة.

ولست ممن ينكرون على هذه الأجهزة "عبقريتها" الآلية، فهي تقوم فعلا بأعمال حسابية أو "أرشيفية" مفرطة الضخامة. ولكن هناك سؤالين لا بد من إثارتهما، أولا: من هو الذي اخترع هذه الآلات؟ أليس هو العقل البشري الذي سخرها لخدمته بعدما أنطق الحديد الذي صنعت منه؟ وأما السؤال الثاني فهو: من هو الذي لقم أو لقن هذه الآلات كل ما خزنته في جوفها من بيانات ومعلومات صار في الوسع استحضارها بلمس زرار هنا أو زرار هناك؟ فالعقل البشري هو الذي وضع لهذه الأجهزة برامجها، وهو الذي أدخل فيها البيانات المطلوبة، وهو الذي حولها إلى مستودع منظم لآلاف أو لملايين المفردات.

وإذا كان الكمبيوتر قد أفلح فعلا في استيعاب مواد المعجم، بحيث يسعف الباحث إذا أعوزه الوقوف على معنى كلمة بعينها، فهل يستطيع الكمبيوتر أن يترجم نصا أدبيا أو عقدا قانونيا أو مادة علمية؟ المؤكد أن هناك استحالة حالية — ربما أمكن التغلب عليها في المستقبل — في قيام الكمبيوتر بهذا العمل. وهل يستطيع الكمبيوتر أن ينظم قصيدة من أي بحر من البحور؟ المؤكد أنه غير مؤهل أصلا للقيام بمثل هذا العمل. وهل في وسع الكمبيوتر أن يبدع رواية أو حتى أقصوصة؟ هذا أمر من رابع المستحيلات. فسيبقى الإبداع والخلق حكرا على العقل البشري، ولو إلى حين.

ومن زاول الترجمة ــ مثلي ــ يعرف أن الترجمة ليست مجرد رص كلمات عربية مقابل كلمات إنكليزية أو إفرنسية استخرجها من القاموس، ولو كان قاموسا كمبيوتريا، وإنما يحتاج المترجم إلى فهم المعاني التي تشي بها الألفاظ، ثم نقل هذه المعاني إلى اللغة التي يكتب بها مع مراعاة السلاسة اللغوية المطلوبة والصقل الأسلوبي الجميل، ولا قبل للكمبيوتر بالنهوض بهذا العمل، وقصاراه أن يقدم للمترجم ألفاظا يرص بعضها إلى جوار البعض الآخر بنفس الترتيب في اللغة الإفرنجية، فتخرج الترجمة ركيكة متداعية البناء، غير مفهومة، وربما جاءت مضللة.

وشبكة الإنترنيت هي بدورها محصلة جهود بشرية كثيفة لقنتها فنونا ومعارف ومعلومات كثيرة يمكن استرجاعها في لحظة. وما الجهود البشرية القائمة بالتلقين والتلقيم إلا من نتاج العقل البشري الذي يحتمل الخطأ والصواب. فالآلة تعطيك ما سبق لك أو لغيرك أن أعطاها دون زيادة أو نقصان. وستبقى الآلة آلة، ويبقى العقل البشري عقلا مبدعا منجابا يخترع مزيدا من هذه الآلات، ويضيف إليها مزيدا من مخزون المعارف والمعلومات التي يستطاع استدعاؤها على النطاق العالمي.

ولا تظنني أحاول الإقلال من القدرة الخارقة لأجهزة الكمبيوتر والإنترنيت، وإنما أبتغي التأكيد على أن هذه المستحدثات، وما يستجد منها، هي ثمرة العقل البشري القادر على أن يتحكم فيها بالعمليات التي يسمونها بـ"الإدخال" إلى مستودعات هذه الآلات.

ولكن: هل يستطيع الكمبيوتر أو الإنترنيت أن يقوم بنفسه أو بمبرمجيه بنقد كتاب أدبي أو نظم قصيدة عاطفية أو صنع عمل روائي؟ لا أظن أن هذا مستطاع في المستقبل القريب، لأن هذه الأعمال جميعا من نتاج العقل البشري المبدع وحده.

وإذا استطاع الكمبيوتر أو الإنترنيت الحلول محل العقل المبدع، فلتذهب جميع جوائز نوبل في المستقبل إلى هذه الأجهزة، مادامت قد استطاعت إلغاء العقول وإلغاء العواطف معها. ومازال يصدق في الإنسان قول الشاعر:

وتحسَــبُ أنّكَ جُـــرمٌ صغيرٌ   وفيكَ انطوى العالَمُ الأكْبَـــرُ

(من رسالته المؤرخة في ١٥/٣/١٩٩٨م)

٩-متى تنشق الأرض عن ناشر؟:

"مشروعاتي الأدبية في المُستقبل لا تقوم لها قائمة إلا إن وُجِد لها ناشر. وكان الأخ الدكتور **رؤوف سلامة موسى** صاحب دار ومطابع المستقبل قد كلّفني إعداد كتاب عن الشاعر **عبد الرحمن شكري**، فأنجزته من نحو خمس سـنين، وتقـاضيت مكافأته دون أن يُنشر، ولا أُريد أن أُعطِّل أعمالي العاجلة لتأليف أو تجميع كتب لا أجد لها ناشراً".

"و"الأحاديث المستطردة" متواصلة، وقد ظهر منها حتى الآن (٤٥) حديثـاً عدا ما سبق ظهوره في "الأديب" و"العلوم" وسواهما، وإن وُجِد لها ناشر فلا اعتراض لي على جمعها بين دفّتي كتاب بعد إعادة النظر فيها، فأنا أكتبها ارتجالاً واعتمـاداً على الذاكرة، وهناك أشياء خانتني الذاكرة عن إثباتها، و لم أتذكّرها إلا بعد النشـر ويهمني إضافتها. ثم إن هناك فقرات حُذفت من هذه الأحاديث بمعرفة المشرف على الصفحة الأدبية، ويهمني إعادة المحذوف إلى موضعه، ولـن أعكـف علـى هـذه المراجعات إلا إذا انشقت الأرض عن ناشر جاد".

(من رسالته المؤرخة في ٢٥/٩/١٩٩٧م)

١٠-هكذا استولى "المهابيط" على حياتنا الأدبية!:

"عندي حكايات كثيرة تؤكّد لي أن أمثالنا مطرودون من الحياة الأدبية نهائيا، بعدما سيطرعليها من أسميهم بـ"المهابيط" ـــ أي الذين هبطوا عليها من حالق دون أن تكون لهم بالأدب أو بالفكر أو بالكتابة صلة سابقة ـــ و"المهابيط" تعبير طريف سكّه صديقنا الأديب المهجري **نظير زيتون** للدلالـة علـى الهـابطين بمظـلات "الباراشوت!"، وأُعفيك من سرد هذه الحكايات المُضحكة المُبكية".

(من رسالته المؤرخة في١٧/١/١٩٩٨م)

١١-أتابع .. كمتفرج!:

"ليست لي "خلطة" بالحياة الأدبية عندنا، ولذا أتابع أخبارها من الخارج كمتفرج".

(من رسالته المؤرخة في ٢٥/١٠/١٩٩٧م)

١٢-أمهات المسائل!:

"أبدأ بمعانقتك مهنئا بالدكتوراه التي ظفرت بها بعد طول تدلل و"ملاوعة"، وعسى أن ييسرها الله لما خلقت له، فتوطئ لك مناصب الأستاذية في الجامعات، وبذلك تتوب توبة نصوحا عن "شغل الخوجات" في المدارس دون الجامعية. ومعذرة لتأخري عن ... تهنئتك مع أنني وقفت على أخبار فوزك من بعض الصحف، ثم من الأخ العزيز (عبد الله السيد) شرف وحواريه، كما أنني لاحظت اسمك مسبوقا بحرف الدال في بعض المجلات فاطمأن قلبي. وما تقصيري إلا لانشغالي بأمهات المسائل — على وزن "أمهات المعارك"([١٢]) — وما "أمهات المسائل" إلا الرطانات وأسباب الرزق".

(من رسالته المؤرخة في ١١/٥/١٩٩١م)

١٣-رسائل الأدباء:

"أنت تسألني عن رسائل الأدباء، ولم لا أنشرها خدمة للأدب، ولا سيما إذا تناولت موضوعات عامة لا خاصة. وأحب أن أوضح لك أن تاريخ الأدب لا يهمني، فلست مؤرخا للأدب ولا مسؤولا عن أموره. والذين كانوا يكتبون إلي، والذين مازالوا يكرمونني بثقتهم فيكتبون إلي، قد اطمأنوا إلى جانبي، وصاروا

---

[١٢] -كان صدام حسين قد سمى الحرب التي خاضها ضد عدة دول، وهو محتل الكويت في يناير ١٩٩١م، "أم المعارك".

يفتحون لي قلوبهم، ويسرون إلي بما لا يحبون لغيري أن يعرفه. فكيف أخون هـــذه الثقة وأبادر إلى نشر رسائلهم إنصافا للتاريخ الأدبي المزعوم؟

ثم إنني لا أحب أن "أتاجر" في قلوب الأصدقاء، لأن نشر الرسائل بـــاسمي، معناه البحث عن مغنمين أحدهما أدبي والآخر "فلوساني" ـــ وهو تعبـــير أردت أن يكون مضحكا! ـــ وما أنا بهذا التاجر. ناهيك بأن الرسائل الأدبية كثيرا ما تـــؤدي إلى نتائج عكسية. فقد أراد أخونا الشيخ **محمود أبورية** بنشره رسائل **الرافعـــي** أن يرفع هذا الرجل في أعين الناس. فجاءت الأخت **نعمات أحمـــد فـــؤاد** ثم الشـــاعر **العوضي الوكيل** واستخرجا من هذه الرسائل ما برهنا به على أن **الرافعـــي** كـــان مريضا وبغير أخلاق! فهل خدم **أبو رية الرافعي** أو هل أساء إليه؟ أو تـــراه خـــدم التاريخ الأدبي؟

أيا كان الرد على هذا السؤال، فإنني شخصيا أحب أن أخـــرج مـــن هـــذه الدائرة. ومن حقي أن أعد رسالة جاءتني من صديق ضربا من ضروب المناجيات التي يفرح بها قلبي وحده، وهذا حسبي!

وإن كنت في قرارة نفسي أرجو أن يأتي وقت ـــ ولو بعد ألـــف ســـنة ـــ يقوم فيه نباش منقب بالبحث عن رسائلي، وهي آلاف في أيدي الناس، وينشرها على الملأ، ليعرف الناس أنني حين ضاقت أمامي أبـــواب المجـــاهرة بـــالرأي في الصحف وفي الكتب، قد "فضفضت" عما في صدري في رسائلي، وقلت ما شئت في أنظمة الطواغيت وفي سفاحي الفكر، وأنـــني أبيـــت أن أنـــافق في مواكـــب البهلوانات مؤثرا كرامة الكبرياء مع الصمت، على ذلة الخنوع مـــع الجعجعـــة والنجاح".

(من رسالته المؤرخة في ٢٨/٤/١٩٧٥م)

الفصل الرابع

آراء في بعض معاصريه

أسأل كثيرا الأستاذ **وديع فلسطين** عن مفكرين، وأدباء، وساسة، ورجـــال اجتماع، أكون قد قرأت لهم ـــ أو عنهم شيئا ـــ فيجيب، وقد حدثني في رســـائله عن أكثر من مئة شخصية، سأختار ما كتبه عن عشرين شخصية لم يكتب عنها في أحاديثه المستطردة، أو كتب أشياء غير التي أسجلها هنا:

١-إبراهيم ناجي:

يقول الأستاذ وديع فلسطين (في رسالته المؤرخة في٢٥/٥/١٩٧٦م):

"**إبراهيم ناجي** كان صديقا لي، ولعلك لاحظت في حديث **خليل جرجـــس خليل** المنشور في مجلة إفرنسية، والمترجم في "صوت الشرق" مـــن شـــهرين أنـــني اشتركت مع **خليل** و**ناجي** في إنشاء "رابطة الأدباء" عام ١٩٤٤م أو نحوه، وظلـــت توالي الاجتماع إلى أن داهمنا العسكر بأحذيتهم وسنابك خيلهم فانفضضنا عنها في عام ١٩٥٢، ومات **ناجي** بعد ذلك (في عام ١٩٥٣م) ثم أعاد شقيقه **محمد نـــاجي** إنـــشاءها باسم رابطة الأدب الحديث التي كنت أيضا من مؤسسيها، ولكنني تركتها بعدما لاحظت أن عدد المندسين في صفوفها من المخبرين أكثر من عدد الأصـــلاء، ومازالت هذه الرابطة تواصل نشاطها بفضل الصديقين: **السحرتي، والخفاجي**".

"وفي مقالاتي الكثيرة عن **ناجي** وشعره الضـــائع أحـــاديث عـــن موداتنـــا وصداقاتنا. كما أنه قد داعبني ببعض شعره مما نشر في ديوانه المعيب، وفي ديوانـــه البيروتي المسروق".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٧/٨/١٩٧٨م):

"كتبتُ أخيراً ثلاثة فصول أولها حديث مستطرد عن **إبراهيم ناجي** ورابطة الأدباء، وهو الآن في ذمة **ألبير أديب** إلا إذا كان قد ضاع في البريد. وليست لديّ صورة منه ...".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٢/٣/١٩٧٦م):

"في عدد مجلة "الكاتب" التي صدرت هذا الشهر مقال لحسن توفيق يتحدث فيه عن إهمال الذين نشروا دواوين ناجي، ويقول إنه وحده قد استطاع أن يجمع أكثر من خمسين قصيدة غير معروفة لناجي! والغريب أن حسن توفيق ... يعرفني، وزارني في بيتي منذ عشر سنوات ... قد نسي أو تناسى أنني كتبت عشر مقالات أو نحوها في مجلة "الأديب" طويتها على عشرات من قصائد ناجي المجهولة، وفي ذلك الوقت كان أخونا حسن كامل الصيرفي يحرر في مجلة "المجلة" باباً عن أقوال مجلات الأدب، فكان يشير في كل شهر إلى مقالاتي عن شعر ناجي، ويُوجِّه إليها أنظار الباحثين والدارسين، وتكرر هذا منه بعد كل حلقة نشرتها في هذه السلسلة. كما أن الشاعر الماحي الكبير [يقصد محمد مصطفى الماحي] استعار مني هذه المقالات ليستعين بها في دراسته عن ناجي يُصدرها المجلس الأعلى للفنون وقد اطلعت على مخطوطتها ...".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٩/٤/١٩٧٦م):

"... وأنا لم أكتب عن ناجي طمعا في شهرة ولا في دخول المتاحف الأكاديمية، وإنما كتبت عنه لأنه واحد من الذين جنت عليهم طغمة العسكر وداسته سنابك خيلها. وبهذا أ رضيت ضميري و لم أطلب لنفسي مجداً. وقد قرّر مجلس الفنون إصدار حلقة ثانية تضم خمسة شعراء بعد حلقة (٥ من شعراء الوطنية)، واختارت الشاعر الكبير **الماحي** للكتابة عن **ناجي**، فزارني غير مرة واستعار كل ما تحت يدي من مراجع **ناجي** بما فيها ديوانه المعيب الذي أصدره الباحثون الأربعة،

كما استعار مقالاتي التي فيها شعره المجهول، وفعلا أنجز بحثه وأطلعني عليه مخطوطاً ...".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٧/٩/١٩م): "اطلعت في حياة **الماحي** على مخطوطة بحثه عن الشاعر **إبراهيم ناجي**، وفيها إشارات كثيرة إليّ. وكان المفروض أن يُدرج هذا البحث باعتباره فصلاً في جزء رابع من سلسلة الكتب المعنونة "خمسة من شعراء الوطنية" التي كان يُصدرها المجلس الأعلى للفنون والآداب.

ولكن المجلس توقف عند الجزء الثالث فقط. على أن صديقي **حسن توفيق** استطاع تصوير المخطوطة لأنه عثر على صورة منها لدى بعض أفراد أسرة **ناجي** ورجع إليها في المجموعة الشعرية الكاملة **لناجي** التي ظهرت في العام الماضي".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/٩/٣م):

قرأت كتاب **حسن توفيق** عن **إبراهيم ناجي**، وإذا قُدِّر لحديثي المستطرد عن **ناجي** أن يُنشر في "الأديب" ... فستقرأ فيه تعليقاتي على هذا الكتاب، وعلى ما صدر أخيراً من كتب عن **ناجي**".

"والغريب في هؤلاء المؤلفين، ومنهم أساتذة جامعيون، إنهم يكتبون في موضوع لايطّلعون حتى على مانُشر عنه من كتب أو مقالات. فهناك كتاب **لمحمود الشرقاوي** عن **ناجي** مطبوع في مصر لا في جزر واق الواق، ومع هذا لم يطلع عليه أحد. وهناك كتاب آخرعن **ناجي** لمؤلف اسمه "**المعتصم بالله**"، وهذا بدوره لم يطلع عليه جهابذة الأساتذة. وأنا شخصيا كتبت عن **ناجي** وشعره المُضيَّع أكثر من ١٢ مقالا في "الأديب" سجلت فيها كثيراً من شعره الضائع، ومع هذا لم يطّلع هؤلاء الأساطين على كلامي. وقد يكون لهؤلاء عذرهم لأن "الأديب" تظهر في بيروت، ولكن ما عذرهم وأخونا الشاعر **حسن كامل الصيرفي** كان يكتب في كل شهر مقالا في مجلة "المجلة" القاهرية يعرض فيه موضوعات المجلات العربية، وكان

في كل شهر يُشير إلى مقالاتي عن شعر **ناجي** المُضيَّع، ويُـــورد بعضاً من هذا الشعر، ويُجري إحصائية بعدد الأبيات الجديدة التي كشفتُها، وعدد القصائد المجهولة الـــتي عثرت عليها. واستمر في هذا أكثر من سنة. ولكن **حسن توفيق** (وهـــو يعرفـــني وزارني في بيتي) لم يطلع حتى على إشارات **الصيرفي**، مع أنه يتحدث في كتابه عـــن مجلة "المجلة"، ويُعدِّد رؤساء تحريرها، وينسى من هؤلاء الرؤســـاء الدكتـــور **علـــي الراعي**! فهل له بعد ذلك عذر في عدم السماع أو الاطلاع على ما كتبتـــه عـــن **ناجي**؟".

"وواحد من الأسااتذة الدكاترة قال إن الثورة كرّمتْ **ناجي**، وهذا كـــذب صُراح، فالثورة هي التي قتلت **ناجي**، وهو ما أوضحته بأسلوب ملفوف في مقالاتي القديمة وفي حديثي المستطرد الجديد. والدكتور **علي الفقي** إما يكذب على التاريخ أو يُغالط نفسه".

و(في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/٢/٩م) ينعى لي صديق عمره الدكتور **كامل السوافيري**، ثم يقول في نهاية حديثه عن **السوافيري**:

"يا أخي، ما أتفه هذه الحياة التي يتزاحم عليها الناس، والحياة مجرّد مســـرحية هزلية وصفها صديقنا **إبراهيم ناجي** بقوله:

نزل الستارُ ففيـــم تنتظِـــرُ ... خلت الحياةُ وأقفَـــر العُمْرُ
هو مسرحٌ وانفضَّ ملعبُـــهُ ... لـــم يبق لا عيْـــنٌ ولا أثرُ
وروايـــةٌ رُويَتْ، وموجزُها ... صحْبٌ مضَوْا وأحبةٌ هجروا
عبروا بها صوراً ومُذ عبروا ... ضحك الزمانُ وقهْقهَ القَدَرُ!

معذرة لهذه النظرة التشاؤمية وإن كانت في حقيقتها نظرة واقعية".

٢-أبو القاسم الشابي:

يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٤/١٢/١٩م):

في إحدى زياراتي لتونس ألقيت محاضرة قلت فيها ما معناه إن شُهرة الشابي الواسعة مدينة لقوله:

إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة فلابُدَّ أن يستجيبَ القَدَرْ

وهي شُهرة يستحقها الشاعر فعلا حتى صار النشيد القومي التونسي يُردِّد كلام الشاعر. ثم استدركت قائلا: اسمحوا لي ــ ولست بشاعر ــ أن أنظر في هذا البيت نظرة تتَّسم بالتعاطف وحسن الفهم؛ فقد استهل الشاعر البيت بلفظة "إذا" وهي تعني الاحتمال أي أن القدر لن يستجيب إلاّ إذا الشعب أراد. وإذا لم يرد فلا استجابة هناك، ثم قلت إنه استخدم لفظة "يوماً"، وهي بدورها تعني المُصادفة ــ أي أنه إذا تصادف يوماً أن أراد الشعب الحياة فإن القدر يستجيب. وقلت إن هذين اللفظين يُضعفان البيت، وليت الشاعر قال:

أنا الشعبُ دوماً أريد الحياةَ ولابُدَّ أن يستجيبَ القَدَرْ

فهذا في اعتقادي هو المعنى الذي قصده الشاعر وإن لم يقله. فصفَّق لي الحاضرون، وفي اليوم التالي نشرت صحف تونس هذا البيت عنواناً للكلمة التي ألقيتُها".

٣-أحمد زكي أبوشادي:

ما أكثر ما كتب **وديع فلسطين** عن **أبي شادي** ، ولكنه في رسائله الأدبية أضاف أشياء إلى ما كتبه

يقول (في رسالة مؤرخة في ١٥/٩/١٩٩١م) عن معرفته الرجل:

"**أبو شادي** ــ وقد عرفته بعد هجرته، وكنت أقرب إليه من الذين كانوا معه في "أبولو" ــ هو محيط هائل لا يحصر في فنجان، ولك أن تتصور رجلا يجلس إلى مكتبه من الصباح إلى منتصف الليل وهو في حالة كتابة مستمرة، نثراً وشعراً، وفي كل أغراض الحياة: السياسة والدين والأدب والاجتماع والتاريخ والعلم والفلسفة

... إلخ.

وشعره تراث هائل ولو من حيث الكم، أما من حيث الكيف فالأمر متروك لأذواق الناس، وهم يختلفون، ولو قرأت قصيدته في رثاء ناجي لقلت إن هذا أعظم شعراء العربية".

ويقول عن إبداع **أبي شادي** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٦/١م):

"**... وأما أبو شادي** فيبدع في شعر الحنين، وشعر الهيجان العاطفي وشعرالبكاء، ولو غربل شعره قليلا لكان من المكثرين المجيدين. ولأن **أبا شادي** كان رجلاً عاطفيا كانت أدنى بادرة تهزه فينظم فيها مطولات القصائد ارتجالا وانثيالا، فيخرج بعض شعره قويا وبعضه ضعيفا. ولو كان لي أن أختار من شعر **أبي شادي** نماذج خالدة، لاخترت قصيدته في رثاء زوجته، وفي رثاء **مطران**، وفي رثاء **إبراهيم ناجي**. وكل شعره في الغربة والحنين، وهو في المهجر أشعر منه في الوطن، وهو في النثر أمتن منه في الشعر".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٢/٨/٤م): "المقال الذي نشرته لي مجلة "الجديد" عن **أبي شادي** لم يكن لي علم به إلا بعد نشره بأيام، فقد اتصل بي الصديق القديم **محمد شلبي**، وأخبرني أنه وقع على هذا المقال القديم في مجلة "الأديب" فأعاد نشره في "الجديد"، وتقرّرت لي مكافأة قدرها ٨ جنيهات! وقد ألحّ عليّ في الكتابة في المجلة بانتظام، ولكنني أستصوب في حالة كتابتي مقالاً أن أدبيا أن أنشره في مجلة تُحسِن مكافأة الكاتب، أو أن أنشره بالمجان في "الأديب"، فهذا أكرم لي من جنيهات وزارة الثقافة الثمانية".

ويقول عن إبداع **أبي شادي** ـ أيضا ـ (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٦/١١/٢٣م) ردا على سؤال لي حول مسرحيات قصيرة **لأبي شادي** منشورة

في دواوينه، وكنت وقتها بدأت في إعداد رسالة دكتوراه عن "البطل في المسرح الشعري المعاصر":

"سأوافيك بديوان "الإنسان الجديد" **لأبي شادي** الذي صدر بإشرافي لتبحث فيه بنفسك عن "الأبطال" الذين تريدهم. أما دواوينه القديمة فعندي قسم صغير منها، لأن **أبا شادي** كان يطبع كمية قليلة من دواوينه (٥٠٠ نسخة مثلا) ويوزعها جميعا على سبيل الهدية على أصدقائه. والذي أعرفه أنه ليس بين كتبه أو دواوينه ما طبع طبعة ثانية أو ثالثة. بل إن لصوص الأدب في لبنان لم يزيفوا شيئا من آثاره باستثناء ترجمته الشعرية لرباعيات **عمر الخيام**. ولابد من مراجعة ما تحت يدي من دواوينه لمعرفة أيها يحتوي على أبطال مسرحيين".

"ومن العجيب أن الهيئة المصرية العامة للكتاب وغيرها من دور النشر العامة والخاصة تصدر "الأعمال الشعرية الكاملة" لشعراء من الدرجة الثالثة أو الرابعة، و لم تهتم واحدة من دور النشر هذه بنشر الآثار الشعرية الكاملة **لأبي شادي**، واستنقاذها من أيدي الضياع".

وعن ديوان أبي شادي تحدث الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في١٨/١/١٩٨٧م):

"كان المرحوم الدكتور **أبو شادي** على اتصال واسع بأدباء كثيرين في مصر، بعضهم كان يعرفه قبل الهجرة (مثل **السحرتي والصيرفي**) وبعضهم عرفه بالمراسلة (مثل **الخفاجي ورضوان إبراهيم وأنا** وسوانا). وبعد وفاة **أبي شادي** في عام ١٩٥٥م في أمريكا انبرى أخونا **رضوان إبراهيم** (رحمه الله) لمهمة نشر دواوينه الأربعة المخطوطة، فبعث في جلب صور منها من ابنته **صفية أبي شادي** المقيمة في واشنطن، وقام بنسخ الدواوين الأربعة بخط واضح، وأجرى فيها بعض تنقيحات، ووضع لها هوامش، وأعدها للنشر. ولما كان يعرف معظم أعضاء لجنة الشعر في

مجلس الفنون (**عزيز أباظة باشا**، **وصالح جودت**، **وعلي أحمد باكثير**، **والسحرتي**، **والصيرفي** ...إلخ) فقد تقدم بالمخطوطة إلى اللجنة عارضا عليها نشرها بتحقيقه. وعرف أخونا **صالح جودت** (رحمه الله) أن نشر الدواوين بتحقيق **رضوان** يسلبه فرصة نشرها بإشرافه على اعتبار أنه كان من (جماعة أبولو)، فاقترح على اللجنة أن يتولى هو غربلة الدواوين وانتقاء القصائد المناسبة ونشرها بمقدمة منه".

"واتصل **صالح** بي ورجاني أن أكتب له سيرة حياة **أبي شادي** لحاجته إليها، فلبيت رجاءه، ثم التقيت بأخي **علي أحمد باكثير** الذي أخبرني أن لجنة الشعر قررت نشر مختارات من دواوين **أبي شادي** بإشراف **صالح جودت**! فقلت له: إن الذي أعرفه أن صاحب هذا المشروع هو أخونا **رضوان إبراهيم**، فدهش كلانا لتصرف **صالح**".

"ولما عرف **رضوان** بالنية المبيتة وجه إنذارا بالبريد المسجل إلى **عزيز أباظة باشا** مقرر لجنة الشعر يمنعه من نشر مخطوطات **أبي شادي** إلا إذا نشرت بالكامل وتحت إشرافه الشخصي، وطالب باسترداد المخطوطات، وفعلا أعيدت إليه ... و لم يلبث **رضوان** أن مات فجأة، وماتت معه فرصة نشر دواوين **أبي شادي**".

"ومنذ سنوات اتصل بي الدكتور **رؤوف سلامة موسى** ... قائلا إن دار النشر التي يملكها تريد نشر دواوين **أبي شادي**، فاتصلت **بصفية أبي شادي** التي وافقت على عرضه، ثم وافتني بالمخطوطات، ونجحنا فعلا في نشر المخطوطة الأولى لديوان "الإنسان الجديد" وعندي مخطوطات الدواوين الثلاثة الباقية تنتظر نشرها".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٣٠/١١/١٩٨٨م):

"صدر لي ديوان ثان في سلسلة مهجريات **أبي شادي** عنوانه "النيروز الحر"، وهناك ديوانان آخران مازالا ينتظران دورهما ـــ إن جاء، وإن لم يحسم **عزرائيل** الموقف ببراعته المعتادة!".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٠/٤/٢م) ردا على سؤال لي هل أصدر شيئا جديدا من دواوين **أبي شادي** المخطوطة: "لم نطبع شيئا من دواوين **أبي شادي** المهجرية، ربما لأن توزيع ما طبع منها لم يكتسح السوق كما كان الناشر يتوقع. وأظنك تعرف أن مئوية **أبي شادي** تحل في عام ١٩٩٢م. وإذا أمكن الاحتفال بها بصورة رسمية وأكاديمية وشعبية باعتبار **أبي شادي** مؤسسا لمجلة وجماعة "أبولو" فقد يساعد هذا على تنشيط بيع دواوينه وإخراج المخطوط منها، والكلمة الأولى والأخيرة في هذا الشأن هي للناشر، وليست لي".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/٤/٢٥م): "المخطوط من دواوين **أبي شادي** ديوانان لا ثلاثة، وكلما فاتحت الناشر في طبعهما ذكرني بأنه لم يبع إلا نسخة واحدة من الديوانين المطبوعين في معرض القاهرة الدولي للكتاب! وخذ بالك من صفة "الدولي" هذه! وهو لم يصرف النظر عن طبع الديوانين، ولكنه يرجئ ذلك إلى أن يصرف كمية ذات بال من الديوانين المطبوعين. أما الاحتفال **بأبي شادي** ومئويته، فأمره مرهون بأجهزة الثقافة، وليست لي بها صلة".

وعن وجوب احتفال الهيئات الثقافية المصرية بمئوية **أبي شادي**، يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/١/٥م):

"ستجد على غلاف هذه الرسالة طابع بريد يحمل صورة **زكي مبارك** صدر في آخر يوم من سنة ١٩٩١م قبل فوات الأوان (يقصد الذكرى المئوية لميلاده). وفي العام الحالي توافي الذكرى المئوية لميلاد صديقنا الدكتور **أحمد زكي أبي شادي**، ولا أدري هل تمر الذكرى دون احتفال أو يتصدى للاحتفال بها الغيورون على الأدب وعلى كفاح هذا الرجل العظيم في ميادين الفكر جميعا ولا سيما الشعر؟!"

"وقد زرت تونس مرتين في السنوات الأخيرة، ووجدهم هناك يعظمون **أبـــا شادي** لأنه هو الذي رعى شاعرهم الأكبر **أبا القاسم الشـــابي**، وهوالـــذي أذاع شهرته في الخافقين يوم كان مجهولا طري العود".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/٧/٢م):

"أخونا **عبدالعزيز شرف** نشر في صفحته الأدبية الأسبوعية (بالأهرام) ثلاث مقالات عن **أبي شادي**، وطالب بالاحتفال بمئويته، ولكن لم يستجب أحـــد لهـــذه الدعوة. وسمعت أن **رجاء النقاش** سيكتب في "المصور" مقالا عنه، وعسى أن يفعل. أما مقال **علي شلش** الذي نشر في "الشرق الأوسط" فلم أطلع عليه ولكن **ابنـــة أبي شادي** في أمريكا تلقت نسخة من الجريدة من الســـفارة الســـعودية في واشنطـــن، واطلعت على مقالة صديقنا **شلش**، ولعلها تصورها وتوافيني بنسخة منها".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/٣/٣٠م):

"لعلك تلاحظ اهتمام صحفنا وإعلامنا بمئوية الموسيقار **سيد درويش**، أمـــا مئوية **أبي شادي** فلا يهتم بها أحد، في حين أن تونس قررت الاحتفاء بهـــا اعترافـــا بجميل **أبي شادي** على شاعر تونس الأكبـــر **أبي القاسم الشابي**. وما أضيـــع الأدب في بلادنا!".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/١١/١٤م):

"مع الأسف لم يحتفل في مصر بمئوية **أبي شادي** التي حلت في شهر فـــبراير الماضي، والغريب أن جريدة تونسية خصصت ملحقها الثقافي لتمجيد ذكرى الرجل الذي تبنى شاعر تونس الأكبر **أبا القاسم الشابي**، كما أن جريدة "النهار" اللبنانيـــة نشرت صفحتين كاملتين عنه، ونشرت مجلة "أبحاث اليرموك" الأردنية بحثا مستفيضا عنه، ونشرت "الشرق الأوسط" السعودية مقالا طويلا لأخينا الدكتور **علي شلش**، وخصصت مجلة "أدب ونقد" ملزمة في عدد الشهر الحالي **لأبي شـــادي**، ومـــع أن

"الأهرام" نشرت في صفحة الأدب ثلاثة مقالات دفعة واحدة تطالب كلها بالاحتفال بهذه المناسبة، فلا حياة لمن تنادي. وكل هذا يزيدني اعتقادا بأن الأدب قد تراجع إلى ذيل الاهتمامات العامة، ولم يعد أي ناشر يقبل طبع كتاب أدبي، أو ديوان لشاعر لأن الإقبال على هذه المطبوعات منعدم تماما، ولا سيما بعدما ارتفعت أسعار الكتب و"تآكلت" أجور الطبقة القارئة، وباتت الكتب تعامل كالبصل والفسيخ من جانب السلطات ... ونصيحتي الخالصة لكل أديب له "صنعة" أخرى أن ينصرف إليها ويستدبر الأدب، إلى أن تحدث معجزة تعيد دولاب الحياة إلى ما كان عليه في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات من هذا القرن التي شهدت أنصع صفحة من صفحات التنوير في تاريخنا الحديث".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٤/٩/١٢م): "أظنك تعرف بأنني كنت قد وفقت إلى نشر ديوانين من الدواوين الأربعة التي مات عنها الشاعر **أبو شادي** في أمريكا وتركها مخطوطة في عهدة ابنته، وكان الناشر المصري قد رفض المضي في طبع الديوانين الباقيين لبوار سوق الشعر. وقد وفقني الله إلى ناشر لبناني تعهد بنشرهما، فدفعت بهما إليه، وأرجو أن يعجل بإصدارهما. وكان من عادة أبي شادي في حياته أن يطبع من الديوان ما أقصاه ٥٠٠ نسخة، يهديها إلى أصدقائه، ولم يكن هناك قانون يحتم إيداع كل كتاب جديد بدار الكتب، وكان من نتيجة ذلك أن استحال اليوم الحصول على أي ديوان **لأبي شادي**. وقد سمعت أن كتابا ظهر في السعودية مؤخرا عن أبي شادي وأثره في الأدب السعودي، وهو كتاب يقع في ٣٥٠ صفحة، ومن أسف أنني لم أطلع عليه، وكان قد صدر كتيب في السعودية عن "جماعة أبولو" تلقيته هدية من الصديق الراحل **عبد العزيز الرفاعي**".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٣/١٠/٢٧م): "كان **أبو شادي** ــ رحمه الله ــ يطبع من بعض دواوينه عددا محدودا للإهداء إلى أصدقائه، ومع الوقت

استحال العثور على أي نسخة من هذه الدواوين، ولا حتى في دار الكتب إذ لم يكن قانون الإيداع الإلزامي معروفا في ذلك الوقت".

. ويقول **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٨/٣م):

"وكان صديقنا المرحوم الدكتور **أحمد زكي أبوشادي** بعد هجرته إلى أمريكا يعتزم إصدار كتاب عنوانه "**الأدباء الأقباط**"، فنشر في جريدة "الهدى" النيويوركية ثلاث حلقات من فصول هذا الكتاب، واحدة عن **مكرم** باشا والثانية عن **سلامة موسى** والثالثة عني، ولكن الوفاة المبكرة **لأبي شادي** لم تمكنه من إنجاز هذا المشروع".

٤-أمين الخولي:

يقول الأستاذ وديع فلسطين (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٦/٦/٣م):

"عرفت الشيخ أمين الخولي (وهو جاري) ولكن صلتي بزوجته كانت دائما أقوى وأبعث على التقدير.

عندما كنت أعمل مديرا للعلاقات العامة في مكتب شركة أرامكو في القاهرة، وكان من مسؤوليتي توزيع الإعلانات على الصحف واستكتاب الأدباء في مجلة "قافلة الزيت"، زارني الشيخ الخولي وأخبرني بأنني أكاد أكون "المنقذ من الإفلاس" وليس "المنقذ من الضلال"! فمجلته "الأدب" تعاني من الكساد، وإعطاؤها إعلانا كل شهر ينتشلها من الإفلاس، وهو وزوجته قادران على كتابة مقال شهري "للقافلة" يستعينان به على مواجهة أعباء الحياة. فأوضحت له أنني مقيد بسياسة الشركة التي تقضي بتوزيع الإعلانات على الصحف والمجلات الرائجة لا الكاسدة، وبأن الكتابة في "القافلة" تتم بتكليف منها لا مني بعد الاتفاق على الموضوع الذي يكتب.

وقال الشيخ إن في وسعي التغلب على هذه العقبـــات جميعـــا لأن للشيـــخ وزوجته {بنت الشاطئ} مترلة لا تدانى في عالم الأدب. وبعد أيام تلقيت منه رسالة ـــ ماتزال عندي ـــ خاطبني فيها بصفات مبالغ فيها: فأنا راعـــي الأدب، وعميـــد الأدب، وسيد الأدباء، والأديب الأوحد .. إلخ. وعاد يكرر رغبته في أن أكون لـــه المنقذ السماوي!

و لم أخيب ظنه تماما، فكنت أعطيه إعلانا كل بضعة أشهر لا كـــل شـــهر، ونشرنا فعلا مقالا أو اثنين لزوجته. وكان قد صدر لي في ذلك الوقت كتاب "قضايا الفكر" فبعثت إليه بنسخة منه. وفوجئت في العدد التالي من مجلـــة "الأدب" بمقـــال افتتاحي بقلمه يشغل ٩ صفحات، فيه هجوم شديد على الكتاب ومؤلفـــه، دون أن يذكر اسم الكتاب تحديدا، أو يشير إلى مؤلفه. ولكنه استشهد بعبارات كاملة بـــين قوسين من فصول الكتاب، بما يقطع بأنه هو الكتاب المقصود دون سواه.

وكنت حتى ذلك الوقت احتفظ بمجموعة مجلة "الأدب"، فلما اكتشفت هذا الجانب من الشيخ تخلصت من المجموعة، و لم أشأ أن أستبقيها عندي. و لم أندم على ذلك، لأن المجلة كانت متواضعة القيمة ".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٧/١١/١٩٧٥م):

"الشيخ أمين الخولي ذو شخصية مهزوزة، وهو طالب شهرة ومال أكثر منـــه رغبة في تأصيل الأدب وإنشاء مدارس فيه. رأيته بعيني {أسي يلبس العمامة وســـائر مستلزماتها، ثم رأيته و"البيريه" على مفرقه في قميص اسبور، ورأيته في مـــرة ثالثـــة بالبذلة الفرنجية الكاملة. ورأيته في سانحة أخرى وقد خلط اللباس الأزهري باللبـــاس الفرنجي! ورأيته في رأس البر يرتدي البيجامة! أليس هذا من غرائب الأطوار؟

زارني في مكتبي في شركة أرامكو، وكنت مديرا لعلاقاتها العامة مسؤولا عن توزيع إعلاناتها على الصحف المصرية، ورجاني أن نرفد مجلته "الأدب" بإعلانـــات تساعدها على أداء رسالتها، فاستجبت له مرة واثنتين وثلاثا. و لم يكتف بذلك، بل

وجه إلي رسالة ــ مازالت ضمن أوراقي ــ يخاطبني فيها بصفات السيادة والعمادة والريادة، فأنت سيد الأدباء، وأنت رائد الأدباء، وأنت عميـــد الأدبـــاء .. إلخ، ثم يطلب مني إعلانات "للأدب"، فهاتفته لأشرح له أنني مقيد في تصرفاتي، وأنـــني لم أتأخر عن مناصرة مجلته، وأنني سأجتهد في تعزيزها في المستقبل، فغضب لأنـــني لم أجبه فورا إلى رغبته، وانهز فرصة صدور كتابي النـــافد "قضايـــا الفكـــر في الأدب المعاصر" ليعقد عليه افتتاحية من ثماني صفحات، كلها هجوم علي وعلـــى آرائـــي، متعمدا إغفال اسمي!

وكان يحب المشاكسة، وعنه أخذت بنت الشاطئ هذه الخصلـــة، فكـــان يشاكس الكبار لكي ينال شهرة على أكتافهم. ومعاركه مع العقاد مازالت حية في الذهن.

وأعتقد أن كتبه جميعا لا تكفي لتخليده، ولا حتى كتابه المشهور "فن القول". لأنه لا أتى بجديد، ولا رسم منهاجا مما يتحدث عنه ويطنب. وقد حاول أن ينشـــئ "جماعة الأمناء" منسوبة إلى اسمه بدافع من الشهرة، فماتت في حياته و لم تحدث أثرا في الحياة الأدبية".

وقد سألته عن المعركة التي دارت بين **أمين الخولي والعقاد**، فأجاب في رسالته التالية (المؤرخة في ١٩٧٥/١٢/٢٦م):

"وسؤالك الثاني عن الخلاف بين **العقاد والخولي** في الستينات. والذي أذكره ارتجالا أن العقاد كتب مقالا ــ أظنه في يوميات الأخبار ــ تحدث فيه عن كتـــب السير والتراجم والذين تخصصوا في هذا الفن فكتبوا عن **مالك بن أنس** وسواه. و لم يشر **العقاد** إلى **أمين الخولي** الذي له كتاب عن "**مالك**"{صدر في "أعلام العرب"}، فكتب **الخولي** مقالا في "الأخبار" يتهم فيه **العقاد** بتعمد إغفاله، وبأنـــه لا يعـــرف "المنهج" الصحيح في التأليف، وقال ما معناه أن "المنهجي" الوحيد في الدنيـــا هـــو

الخولي لا سواه. فردّ عليه **العقاد** بعنفه المعهود، وسرعان ما تدخلت **بنت الشاطئ** لنجدة زوجها، فصبّ **العقاد** حملته عليهما معاً. وفصول العقاد منشورة في كتابه "اليوميات"، أما فصول **أمين الخولي وبنت الشاطئ** فلا أعرف هل جُمعت أو لا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٥/٩/١٩٩١م) تعليقاً على المعركة الأدبية التي أثارها مقال لي بعنوان "طه حسين وأنور الجندي: وثيقة مجهولة" في مجلة "الهلال"، والذي أشرتُ فيه إلى مقالة قديمة **لأنور الجندي** في مجلة "الأدب" يُثني فيها ثناءً حارا على **طه حسين**:

"تابعت ردود الفعل في "الهلال" حول **طه حسين** وخصومه، وعجبت لأن جميع المعلقين تعمدوا تجاهلك، وهو أسلوب بعف عنه الآخذون بالمناهج العلمية. كتب عني الشيخ **أمين الخولي** مقالا افتتاحيا في مجلة "الأديب" التي كان يصدرها شغل ٩ صفحات منها، ونقل سطورا كثيرة من كتابي "قضايا الفكر {في الأدب المعاصر}" دون أن يشير إلي بحرف! فكتبت في مجلة "الأديب" مقالا عنوانه "علاقات الأدباء في حاجة إلى ناموس" نددت فيه بالشيخ وأمثاله من الذين تعمدوا تجاهلي ومنهم **ساطع الحصري وزكي عبد القادر** وغيرهما. أما زكي عبد القادر وكان يحبني ويحترمني فانتهز فرصة تعليقه في "الأخبار" على كتاب جديد في الصحافة لجلال الحمامصي واعتبرني مدخلا لهذا التعليق، وأثنى علي ثناء مستطابا".

٥-جورج صيدح:

كتب الأستاذ **وديع فلسطين** حديثا مستطردا عن الشاعر المهجري **جورج صيدح** (في جريدة "الحياة" في ١٦/١٢/١٩٩٤م)، وقد حدثني عن صيدح في عدد من رسائله الأدبية.

يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٦/٦/٣م) ردا على سؤال لي أتعجب فيه من نشر الشاعر **جورج صيدح** مجموعة شعرية له لدى مجلة "شعر" البيروتية ذات الاتجاه الحداثي المعروف:

"كان الشاعر **جورج صيدح** يعرف شخصيا شعراء مجلة "شعر" اللبنانية (ولدي مجموعة شبه كاملة منها)، وكانوا يلحون عليه في الحصول على قصائد منه لنشرها، ولم يكن يمانع رغم أن مذهب المجلة كان يختلف تماما عن مذهبه. وعندما عرف أصحاب المجلة بأن لديه ديوان "حكاية مغترب" وأنه على استعداد لنشره على نفقته الخاصة ، رحبوا بالقيام بهذه المهمة الربيحة من جميع النواحي، لأن **صيدح** لم يحاسبهم على مبيعات الديوان. ومن ناحيتي لقد "هلهلت" هذه المجلة وشعراءها في كتاب الشعر الذي نشرته لي جريدة الأهرام"، ولا أدري هل اطلع عليه الباقون على قيد الحياة من هذه العصبة مثل **أنسي الحاج** وأدونيس و[محمد] **الماغوط** ومن إليهم".

ولقد كان يتابع أخبار **جورج صيدح** متابعة دقيقة، يقول لي (في الرسالة المؤرخة في ١٩٧٧/٤/٤م):

"... [جورج] **صيدح** مريض جدا في هذه الأيام، شفاه الله وعافاه".

ويقول (في الرسالة المؤرخة في١٩٨١/١/٢٩م):

"تشير في رسالتك ... إلى خطاب وجهته إلي، فيه استفسارات عن **جورج صيدح**، ومن عجب أنني لم أتلق هذا الخطاب، ولا أدري عم تدور الاستفسارات. وهناك فتاة لبنانية من صيدا تعد الآن أطروحة دكتوراه باللغة الإفرنسية عن **صيدح** لتقدمها إلى جامعة "ليون" الإفرنسية، والمفروض أن تناقش هذه الرسالة في شهر فبراير المقبل، وستعمل بعدها على نشر ترجمة لها باللغة العربية، ولأن هذه الفتاة اتصلت بعد ذلك بجميع أصدقائه في البلاد العربية والمهاجر

لاستكمال جوانب بحثها — وأنا منهم — فلعلها تخرج بعد ذلك برسالة مشـــــرفة عن الشاعر وشعره يجد فيها الباحث بغيته. وتصور يا أخي أنني لم أكتب شيئـــا في رثاء **صيدح** بعد انقضاء عامين على وفاته، وذلك بسبب أعمـــالي المرهقـــة الـــتي تضطرني إلى إرجاء مشاغل الأدب ومآربه إلى يوم قريب، هذا إن كان في العمر يوم قريب!".

ويقول (في الرسالة المؤرخة في ١٩٨٢/٣/٧م):

"صلتي **بصيدح** ترجع إلى لقائي الأول والأخير معه عندما دعاه صديقنا **ساطع الحصري** لإلقاء محاضرة عن أدب المهجر، وتصدى له **عزيز أباظة** باشا بالحملة على هذا الأدب، وتدخل "أولاد الحلال"، ومنهم **عبد الغني حســـن وحســـن جـــلال العروسي** لتهدئة المعركة. وقد تحولت هذه المحاضرة إلى كتاب "**أدبنا وأدباؤنـــا في المهجر الأمريكي**" بعد توسيعها وتنقيحها. وظل البريد بيني وبين **صيـــدح** متصـــلا زهاء عشرين عاما، وعندي منه ما يزيد على ٥٠٠ رسالة، وعنده مني أكثر من هذا العدد من الرسائل المطولة. وجميع رسائله محفوظة عندي — بدون ترتيب طبعـــا — ولم أتصرف في شيء منها...".

٦-خليل مطران:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في١٩٧٥/١١/١٧م):

"**خليل مطران** كتبت عنه دراسات كثيرة، منها كتاب **إسماعيل أحمد أدهم**، وهو قد نشر منجما في "المقتطف"، ثم جمعت نسخ قليلة منه على شكـــل كتـــاب. وهناك كتاب **الرمادي**، وكتـــاب "الشاعر البعلبكي" **لطاهر الطنـــاحي**، وكتـــاب **لمحمود بن الـــشريف** طبع مرتين، وكتاب لأديب لبناني اسمه **نجيب جمال الديـــن**، كما جمع الدكتور **محمد صبري السربوني** نثر **خليل مطران** في كتاب عنوانه "**خليل مطران**: أروع ما كتـــب". كما أصدرت لجنة تكريم الخليل كتابا ضم ما قيل فيـــه

من شعر ونثر، كما أصدرت مجلة "الرسالة" اللبنانية ومجلة "الرسالة المخلصية" اللبنانية عددين خاصين عن **مطران**. وأنا شخصيا كتبت عن **مطران** غير مـــرة في صحـــف ومجلات مختلفة، منها "الأديب" و"المقطم" و"منبر الشـــرق" و"الرســـالة" اللبنانيـــة و"المقتطف"، وقد أشار إلى كتابــــاتي بعـــض البـــاحثين كـــالدكتور **الرمـــادي،** والدكتور**محمود بن الشريف**، والدكتور **فوزي عطوي**. وآثاري عن **مطران** وسواه مدفونة في بطون المجلات، و لم أُحاول جمعها، ولن أُحاول. ومن شاء أن يحمل عبء العمل الأكاديمي، فلينقّب عنها **بهمته** "البروفسيريّة"!.

"ولأنني كنت ألتقي **بمطران** كل يومين، فلم تجر بيننا مراسلات، وما حاجتنا إلى المراسلات والمشافهات بيننا متصلة؟! ولهذا لم أظفر ولو برسالة واحدة مطرانيـــة ضمن آلاف الرسائل التي جاءتني من مشرق ومغرب".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٢/١٠/١٩٧٥م):

"كنت صديقاً للمرحوم **خليل مطران** بك شاعر الأقطار العربيـــة، وكنـــت أزوره في شيخوخته الفانية مرة كل يومين، وآنس بصحبته، وأستفسر منه عمـــا إذا كان في حاجة إلى أمر أقضيه له، لأنه كان مهيض الساقين ، قليل الحركة، وأتيـــت مرة على ذكر **إسماعيل أحمد أدهم** في حضرته، وكانت المناسبة أننا عثرنا في مخـــازن "المقتطف" على ملازم متفرقة من كتاب "شاعر العربية الإبداعي **خليـــل مطـــران**" الذي نشره **إسماعيل أحمد أدهم** منجّماً في مجلة "المقتطف" ثم طبع مـــلازم إضافيـــة تُصبح متى جُمِع بعضُها إلى بعض نسخا كاملة من الكتاب جاهزةً لحساب المؤلف.

وقد حدث أن المؤلف انتحر على شاطئ الإسكندرية، بعد أن أنجز فصول الكتاب، وبقيت هذه المـــلازم مُكدسة في مخازن "المقتطف"، تحولت مع الوقـــت إلى وليمـــة دسمة للجرذان والهوام من كل صنف وجنس، وقد أمكننا استخلاص عشر نسخ من هذا الكتاب، احتفظت لنفسي بنسخة منه، وفاز كل من أعضاء أسرة "المقتطـــف"

بنسخة: (**السحرتي وعبدالغني حسن، وأسبيرو جسري**)، أما النسخ الخمس الباقية فقد حملتها بنفسي **لمطران** على سبيل الهدية".

"فتناولها الشاعر الكبير وقد غام وجهه بالحزن، ثم قال لي: تصور يابني أنني لم أر **إسماعيل أحمد أدهم** في حياتي؟! لقد قام بهذه الدراسة الواسعة عني دون أن يقصدني، مع أنني كنت مقصد كل ذي حاجة. ولما سمعت بانتحاره حزنت عليه أشد حزن، بل اعتبرت نفسي سببا من أسباب هذه النهاية الأسيفة، لأنني لو عرفت محنته لحاولت بصلاتي الواسعة ودالتي على الكبار أن أذللها له وأيسر له أسباب الحياة الكريمة. ثم قال: إن كل ما قدرني الله على فعله هو نظم قصيدة في رثائه ستقرأها في ديواني الذي يطبع الآن".

"ولست في حاجة إلى تنبيهك إلى أوجه العبرة في هذه القصة فهي واضحة، وموجزها أن الباحث الحريص على أمانة العلم يستطيع أن يدرس شاعرا أو أديبا معاصرا دون أن تقوم بينه وبين المترجم له صلة شخصية. وربما كانت هذه الدراسة أكثر موضوعية وصدقا من دراسة تقوم على الاتصال الشخصي بالأديب المعاصر؛ وكم اتهم **أبو شادي** بأنه وراء الدراسات التي ألفت عنه ، وأنه هو كاتبها أو في القليل منقحها، لما كان بينه وبين كتاب هذه الدراسات، ومنهم **إسماعيل أحمد أدهم** نفسه من صلات وثقى، وقد حاول **أبو شادي** نفي هذا الاتهام في حياته، فلم يفلح!".

ويقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في١٧/٨/١٩٧٨م):

"**خليل مطران** عرفته في سنوات عمره الأخيرة، وكتبت عنه كثيرا في حياته وبعد وفاته ... وقد عثرت اليوم على عدد قديم من "الأديب"، فيه فصل لي عن **مطران** نشرته بعيد وفاته، وأنا موافيك بالعدد غير ضامن وصوله مادام سبيلي الوحيد إليك هو البريد، والبريد خوان".

ويقول في (رسالته المؤرخة في ١/٦/١٩٧٥م):

"وأما مطران فالشعر عنده صرح متكامل، لفظاً وصورةً وموضوعاً ورسالةً، وشعره في باب الحريات لا يرتفع عليه شعر شاعر. وقد عيبت عليه مناسباته"، وأنا أراها من صميم إنسانياته. أحفظ له كثيرا من شعره، ولكنني لا أتمثّل قصيدةً كما أتمثل قصيدته التي نظمها في أخريات أيامه والتي أرى فيها صورتي اليوم في صدق وأمانة ودقة. وفيها يقول:

ماذا يُريدُ الشعرُ مني أخنى عليه علوُّ سنّي

ويقول:

عصري تولّى والألى عمروهُ من صحبي، فدعني
وعدمْتُ لذّاتِ الرؤى وعدمْتُ لذّاتِ التمنّي
أخلي مكاني للذي يسمو إليه بغيرِ حزن
أرضى بأن تُقضى منىً للآخرينَ، وإنْ عَدَتْني

ويختتمُها بقوله:

في الحاضرِ استسْلفْتُ ما سيقولُهُ التالونَ عنّي

إنه شاعر مُشبع روحاً وعقْلاً ووجْدانا ومبادئَ وخُلُقاً. ومن نعم الله عليَّ أنني كنتُ صفيه إلى آخر عمره".

٧-زكي مبارك:

ما أكثر ما حدّثني الأستاذ وديع فلسطين عن **زكي مبارك** في رسائله، وكان قد نشر في مجلة "الأديب" ـــ يونيو ١٩٧٥، ص ص٧-١١ مقالا بعنوان"حديث مستطرد عن زكي مبارك" افتتحه بقوله:

"ولو كان زكي مبارك حيا، لاحتجّ عليّ أشد احتجاج لأنني جرّدت اسمه من ألقابه، واختزلته من مقدّماته وذيوله، فكيف أجرؤ على أن أُسمّيه مجرّد زكي مبارك،

وهو الاسم الذي اشتهر به، بينما اسمه الكامل تحف به ألقابه الجسام هو: محمد زكي عبد السلام مبارك، ملك الشعراء، وأكبر تلاميذ أفلاطون، و"ما أعرف رجلا أعظم مني"!

ولو اختصرت حياته لقلت: إنه أكبر أديب مشاكس عرفه العصر الحديث، فلا أظن أن هنلك أديبا عاش في معارك متصلة، ومشاكسات غير منقطعة، ومباكسات لا تنتهي كزكي مبارك (و"المباكسات" أوردها "المعجم البسيط" في طبعته الأولى، ثم حذفها في طبعته الثانية!).

كنت في العام الدراسي ١٩٣٨-١٩٣٩م في آخر مراحل الدراسة الثانوية في القسم الحكومي من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وكان أستاذنا في اللغة العربية هو السيد شحاته، وهو رجل يختلف عن جميع أساتذة اللغة العربية الذين عرفتهم من قبل، فيه قدر كبير من الوسامة والأناقة، وله ذوق أدبي يحبب إليك الضاد، وله حظ واسع من الثقافة يطرد السأم من "حصة" اللغة العربية، ويحرضنا تحريضا على الانتظام فيها، وإرهاف السمع لكل ما يقوله السيد شحاته، وكل ما يقوله ممتع ملذ يسير الفهم، هانت بفضله كل مصاعبه. وهذا الرجل العظيم - أطال الله عمره - هو أول من حببني في اللغة العربية، بينما كان أسلافه جميعا لا يتوخون إلا تبغيضنا في اللغة العربية.

وكان من زملائي في الصف سليمان زكي مبارك، وهو شاب فيه بساطة الريف، وفيه انطواء على الذات.

وإذ كنا نتهيأ ذات صباح لدخول حصة اللغة العربية، وبنا إليها شوق نماه وتعهده أستاذنا السيد شحاته، رأينا الأستاذ يقبل علينا وفي صحبته ضيف غريب، أجعد الشعر جفاه التشذيب والتهذيب، على عينيه غلاظ من العوينات، وتهامسنا: من يكون هذا الضيف؟ فأسعفنا سليمان بالجواب: هذا أبي، وهو مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف.

وانتظمنا كل في مكانه، واستولى علينا رعب قاتل، فهذه هي المرة الأولى التي يجيئنا مفتش — أو موجه بلغة هذه الأيام —من طراز زكي مبارك، ولن يلبث حتى يورثنا التلعثم والعي، بفضل علمه البحر وعلمنا القاصر.

ولكن "رطب الجو" أمران، أولهما أن أستاذنا السيد شحاته أحسن تقديم المفتش إلى الطلاب، مشيدا بمترلته المرموقة في دنيا الأدب، مؤكدا أن زيارته لنا تشريف هو أول نفسه أول الناعمين به، وقل إننا جميعا طلاب على زكي مبارك، ثم دعاه أن يزيدنا من علمه ويحاضرنا في الدب الذي هو من أعلامه الكبار. فأخذ زكي مبارك يحدثنا في الأدب حديثا مشتهى، أنساه أنه مفتش، وأن واجبه أن يمتحن عقولنا. وأما الأمر الثاني الذي هدأ من روعنا، فهو وجود ابن زكي مبارك بيننا، ولا أقل من أن يكون الأب مترفقا بزملاء ابنه العزيز سليمان".

وتمضي المقالة على هذه الشاكلة حاوية اللمسة الشخصية، وليست المعلومات الوثائقية.

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٤/٤/١٩٧٥):

"وأخيرا نأتي إلى زكي مبارك. ومن المصادفات العجيبة أن زكي مبارك شغلني في الشهر الأخير بسبب صدور كتاب عنه في بيروت "جناية أحمد أمين على الأدب العربي"، وكتاب آخر في مصر "صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك"، وكتاب ثالث في العراق "زكي مبارك في العراق". وقد قرأت هذه الكتب الثلاثة، ثم أضفت إليها ديوانه "ألحان الخلود"، وراجعت كتبه مراجعة سريعة، واستعدت ذكرياتي معه ومع ابنه سليمان، وجعلت من هذا كله حديثا مستطردا جديدا هو الآن في ذمة ألبير أديب".

"وقد رجعت إلى مجلة "المقتطف"، وتبينت من فهارسها أنه كتب فيها بين عامي ١٩٢٣و ١٩٤٢ مقالات شتى، تحول بعد ذلك أغلبها إلى كتب كبيرة من

تأليفه مثل: "الأخلاق عند الغزالي"، و"التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق"، و"حب ابن أبي ربيعة"، و"النثر الفني" ... إلخ".

وقد وصفت زكي مبارك أنه أكبر أديب مشاكس مباكس عرفته حياتنا المعاصرة، وستقرأ كلامي عنه في حينه، إن قدر لحديثي المستطرد أن يسلم من مخاطر الطريق([13]) وأن يوافق ألبير أديب على نشره".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١١/٧/١٩٨٩م):

"**زكي مبارك** عرفته عن قرب، وإن كنت تجنبته دائما، لأنه كان ـ مع الأسف ـ يجالس الولدان ويعاقر الخمور الرخيصة في البارات المفتوحة، ويتهرب من دفع الحساب، أو يظهر دائما بمظهر زري. وقد سجلت صورته في أحد الأحاديث المستطردة التي نشرتها "الأديب" في يونيو ١٩٧٥، وتطرقت في الحديث إلى كتاب **حسين رشيد خريس** وكتاب أخينا الراحل **عبد الرزاق الهلالي** (الذي توفي في أوائل أكتوبر ١٩٨٥م) ..".

٨-سلامة موسى:

يقول (في رسالته المؤرخة في ٩/٦/١٩٧٦م):

" ... وسؤالك الثاني خاص **بسلامة موسى** ومتى عرفته، وجوابي أنني عرفته وأنا بعد طالب في الجامعة حوالي عام ١٩٤٠م. إذ أننا أردنا في جامعتنا أن نبتدع حركة اجتماعية بين الطلاب والطالبات فأعلنا في مجلة "القافلة" ـ وكنت رئيسا لتحريرها ـ أننا سنجري انتخابا لاختيار الفتاة الجامعية المثالية، وقمنا بإجراء الاستفتاء فأسفر عن فوز طالبة يونانية بهذا اللقب، فنشرنا صورها في "القافلة" وفي مجلة "الإثنين" التي كان يحررها صديقي القديم **مصطفى أمين** مع توأمه **علي أمين** وفي بعض الصحف الأخرى". وكان **سلامة موسى** يصدر وقتها "المجلة الجديدة"،

---

[13] -كانت الحرب اللبنانية الأهلية مشتعلة في هذه الفترة.

فاتصل بالجامعة واستعار "كليشيه" صورة الطالبة الجامعية وكتب عنها موضوعـا في مجلته. وأردنا استرداد "الكليشيه" منه، فسألت عن عنوانه فقيل لي إنـه في شـارع **ميخائيل جاد** في أول الفجالة. وقصدت العنوان ثم دققت الجرس، ففتحـه رجـل بسيط يرتدي جلبابا أبيض فحسبته الخادم. وسألته: هل الأستاذ **سلامة موسـى** في هذا العنوان؟ فأجاب: أنا **سلامة موسى!** فتلعثمت ووجمت وتعـاظم خجلـي ـــ وهو مازال طبيعة مركبة في إلى هذا اليوم ـــ فقلت له إنني منـدوب "القافلة"، وقد جئت لاسترداد "كليشيه" صورة فتاة الجامعة المثالية. فغاب **سلامـة موسى** دقائق، ثم عاد ومعه الكليشيه، فتناولته منه وانصرفت. فكان هذا أول لقاء بيننا، وإن كنت لم أفصح له عن اسمي، ولا كان لاسمي أهمية في ذلك الحين، لأنني كنت مجرد طالب بلا شهرة".

"وفي أثناء الحرب العالمية الثانيـة، افتتحـت السـفارة الأمريكيـة مكتبـا للاستعلامات كانت مهمته الاتصال بالصحف والإذاعة ومدها بالأخبار والتعليقات، هذا إلى جانب إصدار نشرات علمية وكتب مختلفة. وكـانت لي زميلـة جامعيـة تزوجت بمجرد تخرجها من أمريكي يعمل في هذا المكتب. وحدث أنني زرتها في بيت الزوجية، فقدمتني إلى زوجها الذي أخبرني أن المكتب يعد بعض الأحاديث لمحطـة الإذاعة المصرية فيذيعها **أحمد رشدي صالح**، وسألني إن كان لدي وقت لمساعدته في ترجمة نصوص هذه الأحاديث. فرحبت بالفكرة، وبت أتردد على المكتب مرتين في الأسبوع، مرة لتسلم النص الإنكليزي، ومرة لإعادة النص المـترجم، وفي المرتـين أنصرف إلى داري مباشرة دون أن أتحدث مع أحد من موظفي المكتب، بل دون أن أعرف منهم أحدا. وبينما كنت أهم بالانصراف في إحدى المرات نـاداني رجـل متقدم في السن باسمي، وسألني إن كان لدي وقت للجلوس معـه. فدهشت مـن

يكون هذا الرجل؟ وكيف عرف اسمي؟. ولكنني لم أكد أتأمل وجهه، حتى عرفت فيه **سلامة موسى**".

"وجلست معه وقتا طيبا فهمت منه أنه يعمل في هذا المكتب في مراجعة الترجمات، وأنه عندما قرأ ترجماتي أعجبه أسلوبها ودقتها، فرغب في أن يزداد معرفة بي. ومع أن عملي في هذا المكتب ـــ وهو طارئ، كما قدمت ـــ لم يتجاوز عامين، فقد أتيحت لي في خلال فترات ترددي عليه أن أتصل **بسلامة موسى** عن قرب. وبانتهاء عمل المكتب، فوجئت **بسلامة موسى** يزورني بنفسه في "المقطم" ليهديني أحد كتبه ـــ ولعله "تربية **سلامة موسى**" طبعة دار الكاتب المصري **لطه حسين** ـــ وظل يواليني بالزيارة ويهديني كتبه، كما كنت أتردد عليه في الحين بعد الحين على جمعية الشبان المسيحية حيث كان يعقد منتديات فكرية أسبوعية. وطلب مني أكثر من مرة أن أكون المتحدث الرئيس في هذه المنتديات فلم أرفض له طلبا".

"وعندما اعتقلني العسكر عام ١٩٥٢م، ولزمت داري، وعزفت عن الدنيا جميعا، فوجئت برسالة كريمة من **سلامة موسى** يستفسر فيها عن صحتي ويملأني حيوية وتشجيعا".

"ولا أطيل عليك، فقد ظللت على صلة وثيقة **بسلامة موسى** رغم اختلافي معه في كثير من نظرياته السياسية إلى أن زرته لآخر مرة في المستشفى القبطي قبل وفاته فيه بيومين".

"وهو قد كتب عني كثيرا، كما كتبت أنا عنه كثيرا، فأغضبت **أنور المعداوي** الذي شتمني في "الرسالة"، وأغضبت **حبيب الزحلاوي** الذي شتمني في كتابه "شيوخ الأدب الحديث"، مع أن **المعداوي والزحلاوي** كانا صديقين لي".

ويقول (في رسالته المؤرخة في١٣/١/١٩٨٩م):

"**سلامة موسى** كان صديقا حميما لي سنوات طويلة، وقد كتب عني غير مرة، بل دخل معي في جدل نشر وقتها في الصحف، ودعاني غير مرة للحديث في "جمعية الشبان المسيحية". وعند وفاته كتبت فصلا طويلا نشر في مجلة "المجلة"{العدد ٢٢- أكتوبر ١٩٥٨م}، وفصلا آخر نشر في "الأديب"، كما أصدرت عنه كتيبا بتكليف من "جمعية الشبان المسيحية" دون أن يظهر عليه اسمي كمؤلف.

وبعد وفاته راجعت عددا من كتبه المخطوطة والمنشورة، كما قمت "بتطهير" كتابه "الصحافة حرفة ورسالة" الذي نشر بعيد وفاته وتضمن تلفيقا من الناشر للدعاية لإحدى دور الصحف والعاملين والعاملات فيها. فحذفت كل هذا التلفيق، وأضفت فصولا أخرى عثرت عليها كان قد كتبها حول نفس موضوع الكتاب. وقد كان رجلا عقلانيا مستنيرا، والذي يفكر بعقله يغضب كثيرين من الذين يفكرون بعواطفهم، والناس اليوم فريقان: فريق يلعن **سلامة موسى** ويصب عليه نار جهنم، وفريق يعده من أعظم المستنيرين في عصرنا، وأنا من الفريق الثاني — وإن كانت لي تحفظات على كثير من آرائه أبديتها في حياته في تعليقاتي على كتبه".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٨/٣م):

"تسألني عن كتب الذكريات، فأنصحك بتلاوة كتاب "تربية **سلامة موسى**" وكتاب "رجال عرفتهم" **للعقاد**"، وكلاهما عملاق في الفكر المعاصر. وقد اضطر كلاهما إلى محاربة المناوئين في ميادين شتى، وأطلقت عليهما الاتهامات بالزندقة والكفر وبما من شأنه أن يشينهما حتى في حياتهما الخاصة. ومع ذلك فقد ثبتا، وأديا الرسالة إلىمنتهى العمر. وقد كتبت عن **سلامة موسى** غير مرة، في حياته وبعد وفاته، وجرت لي معه مجادلات بعضها في الصحف، وبعضها في الندوات، ولكن الود بيننا ظل نقيا، والاحترام بيننا بقي مصونا، ومهما قيل في **سلامة موسى** فإن

كتبه كفيلة بإقناع أي قارئ محايد أنه كان رجلامن أكبر مفكرينا، وأشدهم بصــرا بالعلوم والحضاريات".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٤/٩/١٢م):

"نعم، اطلعت على مقالات الدكتور **[محمد] عمارة** عن **سلامة موسى**، وعلى رد الدكتور **رؤوف سلامة موسى** عليه. **وسلامة موسى** قد شبع ذما و"تكفــيرا" في حياته وموته، ومهما اختلفنا من حوله فالمؤكد أنه كان من مستنهضي هذه الأمــة، وأنه سبق عصره بعشرات من السنين. وقد شرع ابنه ـــ وهوصاحب دار ومطـــابع المستقبل ـــ في نشر كتاب دوري عنوانه "حوليات **سلامة موسى**" ينشر فيه كـــل جديد وقديم عن أبيه، ليحيي صورته في الأذهان. وقد صـــدر عـــدد مـــن هـــذه الحـــوليات والثاني في المطبعة، واتخذ للحوليات مجلسا استشاريا شرفيا يمثل بلدانـــا عربية شتى، وحشرني في عضويته".

و(في رسالته المؤرخة في ١٩٩٥/٦/١٢م) يقول:

"لم يصدر من "حوليات **سلامة موسى**" عدد ثالث، فصاحبها حريص علـــى جعلها كتابا غير دوري حتى لاتعامل معاملة المجلات التي تخضع لقيود صارمة تجعـــل إصدارها مستحيلا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/٣/٣٠م):

"... قد عرفت ثلاثة من الأربعة الأوائل الذين استوردوا لنا الشيوعية وهـــم **محمود حسني العرابي ومحمد عبدالله عنان وسلامة موسى**، أما الرابع فاسمـــه **علـــي العناني** وهو الذي لم أعرفه. وقد صارحني الثلاثة الذين عرفتـــهم بـــأنهم كفـــروا بالشيوعية بعد الذي رأوه من تطبيقها ولاسيما في عهد **عبدالناصر** ... ، **وســـلامة موسى** قال لي هذا بالذات، وهو على فراش موته. ومع ذلك بقي تجار الشيوعية في الميدان".

٩-طه حسين:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/١٢/٢٦م):

"وسؤالك الأول عن **طه حسين**، وهل عرفته. وجوابي أنني عرفته ونشرت عنه حديثين جريا لي معه في مجلة "الأديب"، أحدهما في الخمسينات والثاني في عام ١٩٦٨م. أما لماذا لم أكتب عنه كما كتبت عن **العقاد**، فذلك راجع أولا إلى ظروفي الخاصة التي لا أعرف متى تتسع ومتى تضيق، وثانيا لأنني كرهت في **طه حسين** نفاقه وحبه للوجاهات، على نقيض **العقاد** الذي كان جريئا في قول الرأي بلا نفاق أو مداجاة، كما كان يفتح بابه وصدره لأمثالنا من البسطاء. ولعلك قرأت ما نشرته عن **طه حسين** وموقفه من الشاعر **محمود أبي الوفا** فتتبين منه أن طه حسين كان ظالما في أحكامه الأدبية لأغراض خاصة في نفسه، ولا هكذا **العقاد**. وعلى كل حال، لو استأنفت "الأديب" الصدور، ولو ساعدتني وسائلي، فربما عقدت على **طه حسين** حديثا مستطردا".

ويقول (في الرسالة نفسها):

"وسؤالك الخامس عن كتاب "شعاع من طه حسين" **لثروت أباظة**، وهو كتيب هزيل — مع الأسف — وقد ألفه صديقنا **ثروت أباظة** لا ليدرس أي زاوية من زوايا حياة **طه حسين**، بل لكي يروي للقارئ ما كان بين أبيه و**طه حسين**، ثم ما كان بينه هو وبين عميد الأدب. وثروت أباظة لم يخلق لأمثال هذه الكتابات، وخير له أن يبقى في ميدان القصة لا يغادره".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٩/١/١٣م):

"أخبرتك من قبل أنني عرفت **طه حسين** كما عرفت **العقاد**. أما **طه حسين** فقد زرته عدة مرات في بيته بمفردي، أو مع بعض الأصدقاء، ولكنه لم يشعرني بأني "صديق" كما كان **العقاد** يفعل. وكان المرحوم الشيخ **محمود أبورية** يزور طه

حسين أسبوعيا، كما كان يزورني أسبوعيا، وكان ينقل إلي في كل زيارة تحيات **طه حسين**، أما **العقاد** فلم أتردد على ندوته إلا مرات قليلة، ولكنني كنت أجتمع به في مواعيد مضروبة خارج الندوة فأجد منه رقة، وكرما، وعاطفة تستغرب ممن كانوا يسمونه "بالكاتب الجبار". وقد أهداني بعض كتبه، كما حياني مرة برسالة كريمة. وكان يسميني بالكاتب المبين لتسجع هذه العبارة مع اسمي".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/٣/٢م): "وقد سمعت أن المقالات التي نشرت بإمضاء **طه حسين** في الصحف بعنوان "نظرات في النظرات" وانتقدت فيها "نظرات" **المنفلوطي** شر انتقاد، لم تكن بقلم **طه حسين** بل كان كاتبها {محمد} **صادق عنبر**، ولعبت الاعتبارات السياسية والحزبية دورها في هذه التزييفات.

وعندما كان **طه حسين** على قيد الحياة حرضت عليه صديقي القديم الشيخ **محمود أبا رية** ــ رحمه الله ــ ليستوضح منه حقيقة "نظرات في النظرات" ولم لم يجمعها في كتبه المنشورة كما فعل "بأحاديث الأربعاء"([١٤]) و"حافظ وشوقي" وما إليها من المقالات الصحفية التي اندرجت في كتب مطبوعة. فقال **طه حسين لأبي رية** ــ وكان يزوره أسبوعيا بينما كنت أنا قليل الزيارة **لطه حسين** لبعد المزار بين بيتي وبيته ــ "إن هذه المقالات عبث شباب"!

١٠-عزيز فهمي:

يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٥/٢م):

" ... وأنت تسألني في رسالتك المؤرخة في ٢٨/٤/(١٩٧٥م) عما إذا كنت عرفت الشاعر **عزيز فهمي**، وأجيبك بأنني لم أعرفه شخصيا، وإن كنت أعرف من هو، فهو ابن الزعيم الوفدي **عبدالسلام فهمي جمعة** باشا، الذي رأس البرلمان غير مرة، وكان محاميا، وكان في الوقت عينه شاعرا. وفي إحدى الفترات نشأت في

---

[١٤] -اسم الكتاب: حديث الأربعاء.

حضن حزب الوفد المصري جماعة من الشباب المتحمس للإصلاح كان على رأسها **عزيز فهمي**، وكانت تنشر في "المصري" مقالات تريد بها تنقية هذا الحزب من شراذمة الوصوليين، ووضع برنامج إصلاحي عصري يكتب للحزب العيش في القرن العشرين.

وكان **عزيز فهمي**، في حياته الخاصة بوهيميا، فلم يتزوج، وكانت له سهرات ممتدة مع "أهل الفن"، حتى إن الراقصة المشهورة **بيا عزالدين** التي ماتت في حادث تصادم في طريق الإسكندرية ـــ القاهرة كانت راكبةً سيارة عزيز فهمي الفارهة الجديدة التي تحطمت بكاملها.

والحق أن **عزيز فهمي** كان شاعراً ممتازاً، وقد نُشر ديوانه بعد وفاته بعنوان "ديوان عزيز"، وقدّم له الكتور **طه حسين**، وأصدرته دار المعارف. ومن قصائد هذا الديوان قصيدة عنوانها "قارئ الكف"، تنبّأ فيها بموته، إذ جاء في سياقها:

يا قارئ الكفِّ ماذا خبَّأ القدرُ   وما عليْكَ إذا لمْ يصدُقِ الخَبَرُ

إلى أن قال:

أمْ أنَّ في مسبَحِ الحيتانِ مُنقَلَبِي   يومَ الرَّحيـــلِ إذا ناداني القَدَرُ

"وقد مات **عزيز فهمي** غرقاً، حين انقلبتْ به سيارة أجرة في ترعة وهو يُحاول اللحاق بقطار الصعيد ليتمكّن من المرافعة في إحدى القضايا في محكمة الواسطي أوبني سويف. وكانت وفاته مصيبة حلت بأبيه العجوز، فاعتزل الدنيا، و"تدروش"، وأقام مسجداً في طنطا دفن فيه ابنه، ثم دُفِن هو فيه بعد ذلك".

"هذا ارتجالاً واختصاراً ما أعرفه عن الدكتور **عزيز فهمي**، وقد كان من أسباب عزوفي عنه أمران، أولهما لونه السياسي وقد كنت ومازلت مستقل التفكير، وثانيهما بوهيمياته الغربية".

١١-علي أحمد باكثير:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في٢٥ /١٩٧٦/٦م) عن المسرحي والروائي **علي أحمد باكثير**:

"**علي أحمد باكثير** لم يكتب في أي صحف، وإنما كان ينشر قصائده في المجلات الأدبية "كالرسالة" و"قافلة الزيت" وما إليهما. وقد عرفت باكثير عام ١٩٤٤ أو ١٩٤٥م عندما اتصلت بلجنة النشر للجامعيين (وقوامها **السحار ونجيب محفوظ وباكثير وعادل كامل**) وظللت على صلة بهم جميعا إلى أن لحق اثنان منهم بالرفيق الأعلى. ومازلت أقابل **نجيب محفوظ وعادل كامل** مصادفة".

"ولا أعرف أن هناك دراسات جامعية كتبت عن **باكثير**، ربما باستثناء رسالة الدكتوراه التي يعكف **الحساني حسن عبدالله** على إعدادها الآن عن قضية الشعر الحر، وفيها كلام كثير عن دور **باكثير** في تطوير الشعر. ولكن كتبت دراسات كثيرة عنه في "الآداب" اللبنانية وسواها، وكان من عادتي أن أوافيه بكل ما يقع عليه بصري من كتابات عنه، ولا أعرف مصير هذه القصاصات بعد وفاته. وقد مات وأنا في مهجري الليبي السحيق، فرثيته في مجلة "الأديب" ولعنت الكتاب الحمر الذين أماتوه قهرا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/١١/١٤م):

باكثير كان أخا حميما منذ ما عرفته في عام ١٩٤٥م وإلى أن لقي وجه ربه حوالي عام ١٩٦٩م، وقد كتبت عنه غير مرة مما أفلح الأخ الدكتور [**محمد أبوبكر] حميد** في ضمه إلى تراث باكثير الذي يعكف على جمعه ونشره.

والحقيقة أن **باكثير** ظلم في مصر كثيرا في حياته حتى أسر إلي بأنه قرر الهجرة إلى إنجلترا، والتحول إلى الكتابة بالإنكليزية وعدم العودة ــ كما ظلم بعد وفاته لأن ما نشر عنه من دراسات، بل ما أعيد نشره من كتب جرى خارج مصر، وعلى

وجه التحديد في السعودية. وكانت لي في "الأهرام" مؤخرا كلمة عن "مظاليم الأدب". ذكرت من جملتهم **باكثير** العظيم، رحمه الله".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٥/٢/١٩٩٣م)، معلقا على مقالة لي نشرتها مجلة "الدعوة" السعودية، وأرسلت له صورة منها:

"حسنا فعلت بالإشادة بأخينا الراحل **علي أحمد باكثير** الذي مازال يعاني من ظلم مطبق يلاحقه، وكأنه منحوس!".

"وأظنك تعرف أنه لم ينجب، ولكن كانت لزوجته ابنة فتبناها، ثم زوجها لموظف حكومي، وكان يعيشان معا في بيته في حي منيل الروضة. فلما توفي قام صاحب العمارة بطرد الأرملة، وابنتها وزوجها، وألقى بكتب **باكثير** على الدرج!".

"أما آخر لقاء لي مع **باكثير** فكان في حديقة الشاي بحديقة الحيوان، إذ كان قد دعا مجموعة من أصدقائه لتناول الغداء تكريما لشاعر عراقي كان يزور مصر وقتها. ورغب إلي في أن أبكر في المجيء حتى تكون لنا خلوة قبل وفود المدعوين. وكنت وقتها في أسوأ حالاتي النفسية إذ مضت علي ثمانية أشهر بلا عمل. وعندما اهتديت إلى عمل كمترجم قانوني في شركة بترول أمريكية في ليبيا "دنحت الدوخات السبع" في سبيل الحصول على تصريح العمل، وتأشيرة الخروج. وكان **باكثير** بدوره في أسوأحالاته النفسية بعدما ضيق عليه الشيوعيون الخناق حتى أخبرني بأنه قرر الهجرة إلى لندن للعمل والإقامة هناك إلى الأبد مع التخلي نهائيا عن اللغة العربية، والتركيز على اللغة الإنكليزية التي يجيدها، ومع أنني شجعته على الهجرة يأسا من أي إصلاح في العهد الشيوعي الفاشي الإجرامي، فقد نصحته بألا يقدم على "قفزة في الظلام"، بل يحاول تدبير عمل ـ أي عمل ـ قبل أن يركب مراكب الهجرة، وودعته بعد الغداء على أمل أن نلتقي في أي مكان خارج القاهرة لأنني كنت قد قررت عدم العودة ... وأثناء وجودي في ليبيا قرأت نعيه، فبكيته بدم

القلب وكتبت عنه كلمة في "الأديب" أودعتها كل حرقي على فقدان هذا الصديق".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٢/٦/١٩٩٥م):

"أما مجلة "الحرس الوطني" فلم أكن أقتنيها ... ولكنني لاحظت من شهرين مضيا اسم صديقنا **باكثير** مكتوبا بخط كبير يستوقف النظر، فاقتنيت العدد واكتشفت أن صديقنا الوفي **أبا بكر حميد** يتابع فصوله عن هذا الأديب المغبون، واقتنيت العدد التالي لأن فيه بقية لفصول **حميد**. وسبق لي أن قرأت فصوله في "الشرق الأوسط" عندما تفضل صديق يقيم في كندا بموافاتي بنسخ منها لمعرفته بمدى الصداقة التي كانت تربطني **بباكثير** ... وكنت قد استخرجت من بين أوراقي ثلاث صور فوتوغرافية يظهر فيها **باكثير** مع مع جمع من الأدباء وأنا منهم، ووعد مراسل "الفيصل" باستنساخها لحسابه وحساب **حميد** وإعادة الأصل لي، ولكنه لم يعد لي هذه الصور ولا صورا أخرى عائلية **لأبي شادي** مهداة منه".

١٢-فتحي رضوان:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٧/٨/١٩٧٨م):

"**فتحي رضوان** أعرفه منذ قابلته للمرة الأولى في منزل صديقنا المجاهد المنسي الشيخ **علي الغاياتي** صاحب ديوان "وطنيتي" المشهور، وصاحب جريدة "منبر الشرق"، وكان **فتحي رضوان** يومها من شباب الحزب الوطني، حزب **مصطفى كامل ومحمد فريد، وحافظ رمضان** من بعدهما، ولكنه كان يختلف عن هؤلاء الزعماء الزاهدين الذين رفضوا تولي أي منصب وزاري (باستثناء **رمضان** باشا) لأنه كان ذا طموح سياسي، فانشق عن حزب الزاهدين، وأنشأ لنفسه فرعا خاصا من فروع الحزب الوطني جعل نفسه رئيسا عليه، وأصدر مجلة سماها "اللواء الجديد"، وارثا بذلك اسم "اللواء"، وهي الجريدة التي كان يصدرها **مصطفى كامل** باشا.

ولما قامت الثورة تحالف معها، فاختير وزيراً للثقافة والإرشاد القومـــي، و لم يتعفّف عن هذا المنصب ، ويزهد فيه. فلمّا أدّى الدور المطلوب منه وانتهت مهمته، عينته الثورة عضواً في مجلس إدارة البنك الأهلي، وجُدِّدت له هذه العضويـــة عـــدة مرات، ولا أدري هل يحتفظ بها إلى الآن أو أنها زالت عنه. ولديه مكتب محامـــاة في وسط القاهرة.

والذي لا ريب فيه أن **فتحي رضوان** متعدد المواهب متدفّق الطاقات، ولكنه في كل ما يكتب لا ينسى نفسه أبداً. اقرأ له كتاب "عصر ورجال" الذي تحدّث فيه عن عشرة من أعلام عصره في السياسة والأدب، تراه يحكم عليهم جميعاً بالسقوط، بحيث لايبقى من هذا العصر إلا **فتحي رضوان** وحده! (أما **سعد زغلول والعقـــاد والمازني ومَيّ والرافعي وسلامة موسى** وسواهم ممن تناولهم في هذا الكتاب فهم لا شيء وحياتهم فقاعات!)

وبسبب هذه الأنانية المفرطة، صرت أجتنب لقاء **فتحي رضوان**. وآخر مـــرة لقيته فيها كانت في حوالي ١٩٥٧ عندما أقام حفلةً بوصفه وزيراً للثقافـــة بمناســـبة صدور مجلة "المجلة" في عهده (و لم يكتب على المجلة أنه مؤسسها كما يكتب (عبـــد العزيز) **الدسوقي** على مجلة "الثقافة" أن مؤسسها (يوسف) **السباعي**)".

١٣-محمد عبد الغني حسن:

كتب الأستاذ **وديع فلسطين** حديثاً مستطرداً عن الشاعر والباحث **محمد عبد الغني حسن** (في جريدة "الحياة" في ١٩٩٦/١/٢٣م). ويقول في حـــوار لي معـــه نشرته مجلة "صوت الشرق" (مايو ١٩٧٦م):

"ربما كنت أقرب عاطفيا ووجدانيا ومن حيث تذوق الأدب إلى جيل **محمـــد عبدالغني حسن**، و**محمد عبدالمنعم خفاجي**، و**علي أدهم**، و**حسن كامل الصيرفي**،

ومصطفى **عبداللطيف السحرتي**، ومحمود **أبوالوفا** مني إلى منْ قُرناء لي من حيث السن، هذا مع مراعاة الفارق الكبير في المترلة الأدبية بين أساتذتي أولاء وبيني".

ويرشح في الحوار نفسه الأستاذ **محمد عبد الغني حسن** لجائزة الدولة التقديرية، فيقول:

"أُزكي **محمد عبدالغني حسن** للجائزة التقديرية لتكامل شخصية هذا الأديب الفذ الذي أعتقد أن مترلته هي الأولى في حياتنا الأدبية بعد عصر **العقاد** وطه حسين. فعبد **الغني حسن** شاعر، وباحث، وناقد، ومترجم، وكاتب سير، ومؤرخ، وعالم فقه ودين، ومحقق لكتب التراث، وهو من أكثر من أربعين عاماً يواصل كفاحه بأشرف كلمة وأوثق تحقيق مع استقامة خُلقية مُثلَى، وإسهام في الحياة الفكرية بأوسع نصيب".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩١/٧/١١م) عن عدم فوز **محمد عبد الغني حسن** وأمثاله بجائزة الدولة:

"الحديث عن جوائز الدولة متعدِّد الجوانب، ولو قرأت مقالة **أنيس منصور** اليوم في "الأهرام"، وكيف أن بعض المرشحين كانوا يُقبِّلون أحذية النساء وأقدامهن حتى يرضى الأزواج عنهم ويختاروهم للجائزة، لعرفت مدى "سفالة" أخلاق بعض الفائزين بالجائزة التي باتت قيمتها المادية تافهة.

وهناك أسئلة بديهية تُطرَح: هل يُعقل مثلاً ألا يفوز بالجائزة الدكتور **عبد الرحمن بدوي** (ولستُ أُحبُّه) أو المرحوم **عبد الغني حسن** في حين يفوز بها تلميذهما **أنيس منصور**؟ وهل يُعقل مثلاً أن يبقى **خالد محمد خالد** بعيداً عن الترشيحات وبالتالي عن الفوز بالجائزة؟ وهل يُعقل مثلاً أن تُوزَّع نياشين على الصحفيين ولا يُمنح **مصطفى أمين** نيشاناً، ولا ينال {محمد} **حسنين هيكل** وساماً، ولا يُكرَّم

أستاذ الصحافة الجامعية الأكبر **خليل صابات**؟ وأيهما أحق بجائزة الدولة التقديرية **شكري عيّاد** أو **الطاهر مكي**؟

إن الجوائز كالقدر تُصيب أو تخيب، ولا شأن لها بأي قيمة أدبية لأنه لا توجد أصلاً معايير لاختيار الفائزين بها إلا معيار العلاقات الشخصية والمساعي "التحتية"! .. ".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٧/١١/١٩٧٧م) حول معركة أدبية كانت في "المقتطف"، وكان **محمد عبد الغني حسن** أحد فرسانها: "لولا أن مكتبتي أهرام متراصّة من الكتب، وأن مُحاولة الرجوع إلى شيء فيها يحتاج إلى هدم وبناء لا يتسع لهما وقتي ولا جلد لي عليهما، لقمت أبحث عن المقالة التي نبّهتني إليها في مجلة "المقتطف"، والتي حاول فيها أستاذنا عبد الغني حسن انتقاد حملة "تضخيم" شاعرية {علي} عبد العظيم و{عبد العزيز}عتيق على حساب غيرهما من الشعراء. فقد انمحت من ذاكرتي هذه المعركة، ولا بدّ أن أعود إليها ذات يوم. أم عبد العظيم فأعتقد أن شاعريته من الطراز الأعلى، وأما عتيق فلم أطّلع إلا على شعر متناثر له لا يكفي للحكم عليه، وهو قد صعد بعد ذلك في مراتب وظائف وزارة المعارف ثم وزارة التعليم العالي ولا سيما بعد نيله درجة الدكتوراه، وإقامته سنوات طويلة في إنكلترة ثم في لبنان حيث يعمل الآن أستاذاً في جامعة بيروت العربية .. هذا كله أبعده عن الشعر، بل عن الحياة الأدبية، و لم يعد يذكره إلا الذين يدرسون تاريخ مجلة "أبولُو" التي كان فيها مُجليا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٢/٦/١٩٧٧م):

"الحمد لله أن كُتب أستاذنا **عبد الغني حسن** انتهت إليك، وهي مهداة منه ... وقد فهمت من **عبدالغني** أنه جاوبك على استفساراتك، كما تلقّى منك ما

يُشعر بوصول الكتب. وهذا الرجل قمة في حياتنا الفكرية اليوم، فـــاحرص علـــى التتلمذ عليه ما استطعت".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/٩/٣م):

"أستاذنا الكبير **عبد الغني حسن** يتصل بي على الـــدوام، إمـــا بشخصـــه أو بالهاتف ، إن ساعدت خطوطه، و لم يذكر لي شيئاً عن حواره المنشور في "الثقافـــة" السورية، وأُرجّح أنه لم يطّلع عليه، اللهم إلا إذا تبرّع صديقنا الدكتـــور **عدنـــان الخطيب** بموافاته بالمجلة أو بمجزوءة منها كما يفعل معي دائماً، وحسناً تفعل بإرســال نسختك من الحوار إليه مع الإلحاح على **حسان الكاتب**، أو **عيســـى فتُـــوح**، أو **عدنان مردم بك**، أو **مدحة عكاش** بموافاتك بمجزوءة أُخرى من الحوار قد تحتـــاج إليها في المستقبل".

ويقول (في رسالته المؤرخة في١٩٨١/٦/١٣م):

" ... واستجابة لرجاء أستاذنا **عبد الغني** وافيتك ـــ على ســـبيل القـــرض الحسن! ـــ بديوان "ماضٍ من العمر"، أما ديوان "من وحي النبـــوة" فقـــد تـــاهت نسختي بين أطنان الكتب ... هذا وقد سافر أستاذنا **عبدالغـــني** منـــذ يومـــين إلى الولايات المتحدة لزيارة أنجاله المغتربين، ولن يعود من هناك قبل شهر أكتوبر المقبل".

ويقول (في رسالته المؤرخة في١٩٨٦/٨/١٦م):

"وافاني صديق يُقيم في الكويت بمجزوءة مما كتبته عن أستاذنا الراحل **محمـــد عبدالغني حسن** في جريدة "الأنباء"، فسرّني منك هذا الوفاء في حين تعـــرّض هـــذا الرجل الفاضل لجحود مُستغرب في مصر، وبادرت بإرسال كلمتك إلى أرملته الـــتي تأثرت منها تأثرا شديداً لأنها كانت تعتقد أن الأوفياء انقرضوا. وبادرت بدورها إلى استنساخ الكلمة، وبعثتْ بها إلى أبناء **عبدالغني** الخمسة الموزعين في أمريكا والبرازيل والأردن".

و(في رسالته المؤرخة في ١٩٨٧/١/١٨م) يقول:

"ديوان "مازلنا نسير" لأستاذنا **عبدالغني** لم يصدر بعد، ولا أظنه يصدر. وهو قد كان أرسله إلى صديقنا **عبدالعزيز الرفاعي** صاحب "دار الرفاعي" في الرياض لنشره هناك بناء على طلبه، فلما حلت النكسة البترولية الأخيرة، تراجعت الدار عن نشر الكتب بعدما كانت موفورة النشاط، وأرسل صاحب الدار إلى أرملة **عبدالغني** يخيرها في أن يرد مخطوطة الديوان إليها أو أن يحتفظ بها لعل الظروف تتحسن وتسمح بنشرها. فجاوبته **أم نبيل** بأنها تؤثر إبقاء المخطوطة لديه مادامت رغبة زوجها انصرفت إلى نشر الديوان عن "دار الرفاعي".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٠/٤/٢م):

" ... ولعلك تعرف أن شابا أجيز أخيرا من الأزهر برسالة ماجستير عن صديقنا الراحل محمد عبدالغني حسن، وكانت أرملة عبدالغني تعتزم حضور المناقشة، فلما عرفت أن المناقشة قد تتحول إلى "سهرة صباحي" عدلت عن شهودها".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٢/٨/١٤م) متناولا أزمة النشر:

"الذي أعرفه من أمر النشر في الوقت الحالي ينهاني عن محاولة نشر أي كتاب أدبي، سواء أكان خاصا بالأحاديث المستطردة أم بسواها؛ **فعبد الغني حسن**، وهو من كبار أعلامنا المعاصرين، لا يكف عن الشكوى من أن كتبه في دار الهلال وفي مؤسسة الكتاب [يقصد الهيئة المصرية العامة للكتاب] معطلة من سنوات، وبعضها ضاعت أصوله ـــ كما قيل له ـــ ...".

ولقد كان لهجرة أبناء **محمد عبد الغني حسن** أثرها الحاد على نفسيته، يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/٩/٣م):

"أستاذنا **عبد الغني** يجتاز أزمة نفسية سببها أن رابع أبنائه ــ وهو طبيب تخرج حديثا ــ ركب مراكب الهجرة ليلحق بأشقائه المهندسين الثلاثة الذين سبقوه إلى أمريكا والبرازيل. وحتى ابنة عبد الغني الوحيدة ــ وهي مهندسة متزوجة من مهندس ــ تفكر في الهجرة بعدما تبين أن الحياة في مصر عبث. فأنجح المهندسين في مصر يحقق في نهاية عمره ما يحققه أخمل مهندس في أمريكا في بداية عمره. ناهيك بالعلم الجديد المتجدد، وبأسباب الرعاية للكرامة الإنسانية والكفاءة الشخصية في أمريكا، ولا يقابل ذلك في مصر إلا إهدار للكرامة الإنسانية وتبديد للكفاءة في سراديب وأدغال البيروقراط".

١٤-محمود أبو رية:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٨/٣م):

"الأستاذ **محمود أبو رية** شيخ حر التفكير ولهذا ارتطم بالمتحجرين من المفكرين، ولا سيما من المحسوبين على الدين. وقد فكرت غير مرة في إدارة حديث مستطرد عليه، ولكنني خشيت أن ينهض لافتراسي شيوخ لا أملك الرد عليهم. ولو أنك راجعت كتب **أبي رية** في الحديث وعن أبي هريرة وفي دين الله الواحد وعن السيد البدوي لتبينت أن **أبا رية** لم يأت من عنده بشيء، وإنما هو ناقل من عشرات الكتب التي يحترمه ويجلها أولئك الشيوخ. والذين يريدون الرد على **أبي رية**، يجب أن يردوا أولا على الكتب التي رجع إليها واستشهد بها ونقل منها.

ولا أدري هل اطلعت على كلمة **طه حسين** في كتاب "أضواء على السنة المحمدية"، لقد قال فيها إنه يتفق مع أبي رية في كل حرف ذكره في الكتاب. وعندما أراد نشر كتاب "دين الله واحد" اعترضت الرقابة عليه، فاتصل **طه حسين** بالوزير المسؤول ــ ولعله **ثروت عكاشة** ــ وقال له إنني موافق على كل حرف في هذا الكتاب ولا أجد فيه خروجا على أي أصل من أصول الدين، فأمر الوزير بنشره.

وحتى تاريخ وفاة أبي رية (أواخر عام ١٩٧٠م) ألف في الرد على كتاب "الأضواء" ١١ كتابا، طبع بعضها في السعودية، والبعض الآخر في سورية، والبعض الثالث في مصر. ولكن هذا الكتاب ترجم إلى الفارسية وإلى الأردية وإلى بعض اللغات الأفريقية.

وأذكر لك على سبيل الاستطراد أن الدكتور **مصطفى السباعي** (الإخواني السوري) وضع كتابا في ألف صفحة في الرد على **أبي رية**، ملأه شتائم تسوق صاحبها إلى محكمة الجنايات. ولما صدر الكتاب أرسل إلي نسخة منه مهداة إلى الشيخ **أبي رية** ــ وحملها إلي **محمد عبد الله السمان** ــ فقرأت الكتاب واستهولت الشتائم المتراصة فيه، وخفت أن أغضب **أبا رية** بتقديمه إليه. وانتهزت فرصة زيارته الأسبوعية إلي (أيام السبت) واستدرجته بأسئلتي حول الشيخ **السباعي** وهل قرأ له شيئا، وهل سمع أنه رد عليه، وهل يهمه الاطلاع على كلامه، وهل يغضب إذا كان في كلامه قسوة. ولما تبينت أن الكتاب لن يثير ثائرته، أخرجته من درج مكتبي وقدمته إليه. وفي الأسبوع التالي زارني يوم السبت كالمعتاد، فسألته إن كان قرأ الكتاب، فقال: نعم قرأته، وليسامحه الله.

وحدث بعد ذلك أن أصيب **مصطفى السباعي** بالشلل، وأدخل مستشفى التأهيل بالعجوزة للعلاج، وكانت حالته في تدهور مستمر، ويئس الأطباء من شفائه. فلما سمع **أبو رية** الخبر سألني إن كنت أعرف عنوان هذا المستشفى، فدللته عليه، وقام من فوره بزيارة **السباعي** الذي تأثر أشد التأثر، وقال **لأبي رية**: لقد كنت عنيفا معك، فسامحني. فقال له **أبو رية**: كلنا نستهدف الحق، ولكل منا أجره سواء أخطأ أو أصاب. وظل يواليه بالزيارة والسؤال عن حالته الصحية إلى أن نفذ في **السباعي** حكم القضاء.

وقصص **أبي رية** كثيرة، ولكنني ـــ كما قلت ـــ أخشى أن يفتح الباب مـــن جديد للحملة عليه وعلي. وأنا كاره للمجادلات، وليست بي رغبة في الرد علـــى المجادلين أيا كانوا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/٦/٩م) ردا على سؤال لي: هل كتبت عن الشيخ **محمود أبي رية**؟:

" لم أكتب مقالا برأسه عن **أبي رية** إلا عند صدور الطبعة الأولى من "رسائل الرافعي"، و لم أكن أعرفه وقتها، وكان هذا المقال ميلادا لموداتنا التي لم تنقطـــع إلى تاريخ وفاته في أواخر سنة ١٩٧٠ أو أوائل ١٩٧١ (فأنا أكتب من الذاكـــرة دون محاولة الرجوع إلى أوراقي).

وكنت أحب أن أكتب عن **أبي رية** بعد ما عرفته عن قرب (كان يزورني كل سبت في مكتبي إلى أن نزحت إلى ديار **القذافي** ... في عام ١٩٦٨) لولا أن مذهبه الطهري الذي أراد به تنقية الدين ... أثارت عليه "السلف الصالح" (كذا) فأصدروا في حياته ١١ كتابا في الرد عليه، متهمين إياه بالكفر والإلحاد والزندقة. وأحد هذه الكتب عنوانه "ظلمات أبي رية"!. وقد أيقنت أن أي كلام طيب أكتبـــه ـــ وأنـــا النصراني كما لا يخفاك ـــ عن **أبي رية** لن يكون من جرائه إلا مضاعفة الحملة عليه. بل إن بعض مهاجميه ـــ ومنهم الشيخ **عبد الرحيم فـــودة** والدكتـــور **مصطفـــى السباعي** ـــ لمحوا في كتاباتهم إلى أن الشيخ **أبا رية** واقع تحت تأثيري! وما كان في وسعي أن أؤثر فيه بمقدار ذريرة، بل لقد كنت أعيب عليه شدة تحمســـه للرافعـــي. والمهم أنني آثرت السلامة له قبل نفسي، فلم أكتب عنه حرفا بعد وفاته، وأرجو أن يمد الله في عمري، فأنصفه بما يستحقه".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٧/٦/٢م):

"كتاب "دين الله واحد" للشيخ **أبي رية** كتاب ممتاز، شأنه شأن كل كتب **أبي رية**. ومع أنني قرأت الكتاب في حينه، فلم أعلق عليه لاعتقادي بأن "الزنابير" (كذا) التي هاجمت **أبا رية** ستوجه كل إغاراتها إلي، لا سيما وهم قد كانوا يلمحــــون في كتاباتهم إلى أنني أنا شخصيا قد "أفسدت" الشيخ **أبا رية**! والحقيقة أنني لا أفسدت **أبا رية** ولا أصلحته، وإنما هو رجل "نظيف المخ"، وقد أراد أن ينظف التفكير الديني (كذا) من الترهات، فاصطدم بما يصطدم به المصلحــون مــن ألــوان الاضطــهاد والتكفير".

١٥-محمود أبو الوفا:

كتب الأستاذ **وديع فلسطين** مقالين عن الشاعر **محمود أبي الوفا** (١-غربـــة الشاعر **محمود أبي الوفا** ، مجلة "الأديب"، أكتوبر ١٩٧٠م. ٢-الشاعر البائس **محمود أبو الوفا**، جريدة "الحياة" في ١٠/٢/١٩٩٥م).

وفي حواري الذي اجريته معه في مجلة "صوت الشرق"(أبريل ١٩٧٦م) قال:

"وأرشح محمود أبوالوفا للجائزة التقديرية لامتيازه المطلق في ميدان الشعـــر وارتضائه مستوى رفيعا حرص عليه في جميع شعره، منفردا في قصائد، أو مجتمعا في ديوان. وإن الإنسانية الفريدة التي تشع من خلال شعر أبي الوفا ناشرة الحب والحنان في الأفئدة قبل الأذهان، لترشح أبا الوفا للخلود الآبد، حتى وإن غالطته في حياتـــه أسباب النكران والكنود. ومن الظلم المفحش أن هذا الخالد العظيم يترك للأهمـــال، مع أنه أهل لكل تكريم إن لم يكن لشعره الملائكي الأنغام، فلشخصه الحافظ لجميع المفاخر الإنسانية".

ويقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ٢/٣/١٩٧٦م):

"كنت أزور الشاعر **محمود أبا الوفا** ـــ وهـــو رهـــين المحـــابس الخمســـة: شيخوخة، وساق واحدة، وعشر عين، وقلب واهن، وفقر مدقع ـــ فسألني:

أتعتقد أن شعري سيهتم أحدٌ بجمعه؟

فقلتُ له: اطمئن. فبعد ألف عام سيقوم محقق ثبت متمكن ويجمع شعرك المنشور في دواوينك ويُضيف إليه قصيدة أو اثنتين عثر عليهما في بعض المجلات، ثم يقوم بشرحه متوسعاً في الهوامش والذيول، ويتقاضى عن تحقيق كل ملزمة مئة جنيه! فضحك أبو الوفا قائلا: أنا مستعد أن أقوم "بتحقيقه" اليوم مقابل خمسة جنيهات فقط للملزمة! فقلتُ له: ولكنك لن تجد ناشراً".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٧/١٠/٢٥م) عن شعر المديح وسوقه الرائجة الآن عند بعض الحكام، مُشيراً إلى موقف لأبي الوفا: "التقيت أمس بشاعر عراقي يزور القاهرة، وأخبرني أن صدّام (حسين) يدفع مليون دينار عراقي (وهي تُساوي ألف دولار بسبب انحطاط العملة) لكل من ينظم قصيدة في مدحه، ويوصف الشاعر صاحب القصيدة بأنه "ملتزم"! وقلت لصديقنا العراقي: إن شاعرنا البائس محمود أبا الوفا طُلِب منه أن ينظم أبياتاً في مدح الطاغية إسماعيل صدقي باشا حتى يُوافق على إيفاده إلى باريس لتركيب ساق صناعية له. فقال لمن طلبوا منه ذلك: لو أصدر صدقي باشا قراراً بسفره، فهو في هذه الحالة ينظم أبياتاً في شكره. أما أن يمدحه ملتمساً شموله بعطفه، فإن كرامته تأبى ذلك".

ويقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٦/٤/٩م):

"الشاعر **محمود أبو الوفا** أصدر طائفة شتى من الدواوين في الأربعين سنة الماضية، منها "الأعشاب"، و"أنفاس محترقة"، و"النشيد"، و"عنوان النشيد"، و"شعري"، و"أناشيد دينية"، و"أناشيد عسكرية". وكان قبل مرضه الحالي يُفكر في نشرها مجموعة كاملة، كما كان يُفكِّر في نشر كتاب عنوانه "**أبو الوفا** في رأي معاصريه"، وفعلا قدّم هذه الأوراق إلى **يوسف السباعي** ليأمر بنشرها، ثم خرج **يوسف السباعي** من الوزارة قبل أن يتحقق هذا المشروع، ويُخشى على هذه

الأوراق من الضياع لأن أبا الوفا لايملك صورة منها. أما رأيـــي في هذا الشـــاعر، فهو أنه أعظم شعرائنا الأحياء بلا منازع، وأن شعره ببساطة ألفاظه ومعانيه وقدرته الإعجازية على التعبير يكتب له الخلود الآبد. وحسبك أن تسمعه يقول عن نفسه:

أحبُّ أضحكُ للدُّنيا فيمنعُني أنْ عاقَبَتْني على بعضِ ابتساماتي

وقوله:

حُبِّي إذا الحبُّ أضناني فمتُّ هوًى

إن يذكروني قالوا: كانَ إنســانا!

وقوله:

يا صاحِبي إنْ تسَلْ عنّي أنا، فأنــا

يا صاحبي لسْتُ شيْئاً غيرَ إنسانِ

"إنه شاعر خالد بكل المقاييس. ولولا فقره، وشيخوخته، وســاقه المبتــورة، ونظره الذاهب، وأمراضه المتأشّبة، لكانت له في حياتنا الأدبية وجاهةٌ شعرية لاتقـــلُّ عن وجاهة **شوقي**. و**شوقي** ــــ كما تعرف ــــ كتب في وصيتهِ بألاّ يقوم على نشر شعره إلا **أبوالوفا**، فنشر جُزْءاً من "الشوقيات"، ثم "اغتصب" صديقُنا [محمد] **سعيد العريان** بقية الأجزاء، بل سائر مسرحيات **شوقي**".

ويقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٧/٤/٤م):

"... تلقيت رسالة من زميل لك ... يقول فيها إنه يعتزم إعداد أطروحـــــة ماجستير للأزهر عن الشاعر **أبي الوفا**، ثم طلب مشورتي في هذا الأمر، فكتبت إليه رسالة مطوّلة لا أدري هل وصلته أو لا، كما نصحته بالاتصال بالشاعر لأن الصلة الشخصية قد تكون ميسورة اليوم، ولكنها تغدو مستحيلة غداً. فلم أسمع منه شيئاً، ولا هو اتصل **بأبي الوفا**".

"وعلى ذكر **أبي الوفا**، لقد طلبت مني مجلة "الوعي العربي" الشهرية أن أكتب لها فصلا، فوافيتُها من يومين بكلمة عنوانها "خلاصة الخلاصة لحصاد الشاعر **أبي الوفا**"، وربما اندرجت في عدد مايو أو يونيو".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٧/٦/٢م):

"... أما **أبوالوفا**، فلعلك قرأت كلمة **مصطفى أمين** عنه في "الأخبار" الصادرة اليوم (٦/٢)، وكلمتي المنشورة في "الوعي العربي" الصادرة اليوم أيضاً. وقد اتصلت به صباحاً بالهاتف فأخبرني أن صحته شديدة السوء، ورجاني أن أزوره "ليستودع" مني، فوعدته بمحاولة زيارته غداً الجمعة".

ويقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/١/١٢م):

"شاعرنا **أبوالوفا** ابتسمتْ له الدُّنيا قليلا، ثم عادت فتجهمت له، لأن المال الذي ناله أطمع فيه أشقاءه وبطونهم وأفخاذهم، فاستغلوا ظروفه الصحية السيئة للاستيلاء على هذا المال، وتركوه نهباً للدّيون!. ثم إن الدولة دبّرت له شقة حديثة في مدينة نصر، فلا استطاع تأثيثها، ولا انتقل إليها. وترتّب عليه أن يُؤدي كل شهر إيجار بيتين، وهو عبء مُبهظ بالنسبة إليه. وهكذا ترى أن للثروة مشكلاتها، ولا سيما إن جاءت في الهرم، وصدق **المتنبي** القائل:

أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبتِه   فسرَّهُم، وأتيْناهُ على الهرَمِ"

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٨/٩/١٧م):

"لولا أن الصحافة تبنت قضية إنصاف الشاعر **محمود أبي الوفا** لما تحرّكت الدولة لتكريمه؛ ففضل الصحافة سابق على فضل الدولة. وإذا توهّمت أن لي فضلا في إيقاظ النائمين لتكريم **أبي الوفا**، فاعرف أنني واليت الكتابة مرة بعد مرة منبِّها المسؤولين إلى مأساة **أبي الوفا**، فلم يستيقظ أحد، ربّما لأنني كنت أتكلم كأديب بأسلوب الأديب. أما عندما جعلت الصحافة من قضية **أبي الوفا** موضوع

حملة يومية منتظمة، فعندئذ ـــ وعندئذ فقط ـــ أحس المجتمع بالظلم الغليظ الواقـــع على الشاعر، وحاول رفعه عنه. فحملة الصحافة أفعل من منطق الأديب".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٣/٦/١٩٨١م):

"وهذا [**عبد العزيز**] **الدسوقي** كتب في مجلته وفي "آخر ساعة" أكاذيب فاحشة عن الشاعر المغبون **أبي الوفا**، ولم يكتف بذلك بل عيره بفقره وكساحه ونفى عنه الشاعرية، واتهمه بالكذب على الحياة الأدبية. وأنا قد كنت لصيق أبي الوفا، وأعرف منه ومن كل عصره ـــ وقد أدركت معظم أعلامه ـــ أنه صادق. ومع هذا فلن أرد على **الدسوقي**، وأرجئ ردي إلى يوم يصفو فيه البال، فأكتب عن **أبي الوفا** حديثا مستطردا أنصفه فيه من "أباطرة" الثقافة في يومنا المعاصر".

و(في رسالته المؤرخة في ١٩/٩/١٩٩٧م) يقول: "في حياة الشاعر **أبي الوفا** نشرت هيئة الكتاب كتابا ضخما عنوانه : "**محمود أبو الوفا**: دواوين شعره وحياته بأقلام معاصريه"، وهو يضم كل شعره تقريبا، لأنه استبعد بعض القصائد التي لم يصبح راضيا عنها، وكنت سمعت عن رسالة الماجستير التي عقدها عليه الدكتور **عبدالجواد المحص** ـــ ولا أعرفه ـــ ولكنني لم أطلع عليها، ولم أسمع أنها نشرت".

١٦-محمود محمد شاكر:

في الحوار الأول الذي أجريته مع الأستاذ **وديع فلسطين** ونشرته في مجلة "صوت الشرق" القاهرية (أبريل ١٩٧٦م)، رشح شاكر لجائزة الدولة التقديرية، وقال:

"أرشح **محمد محمود شاكر** للجائزة التقديرية، لأن هذا العالم الفذ قد وقف كل عمره على الحفاظ على تراث الضاد ، وكأنه ديدبان شاكي السلاح يذب عن حياض الضاد كل متجهم أو متحرش أو متطاول. وأتصور بعين الخيال أن **محمود شاكر** يقيم في قلعة حصينة، في داخل أسوارها كل مقدسات الضاد، وهو الحارس

اليقظ الذي يحمل تبعة مزدوجة، هي الدفاع المتصل عن التراث الذي هو به منوط، والتنبيش الدائم في هذا التراث لاستخراج مفاخره وإعلانها في كتاب محقق أو مقال مكتوب أومحاضرة ملقاة أو حديث مرتجل في ندوة أسماره التي يحج إليها الحجيج من ديارات العرب جميعا.

وإن المرء لتعروه الدهشة إذ يرى هذه القمة المسماة **محمود محمد شاكر** خافية عن عيون مجتمعه، إلا في ما يسيء. وقليلة على **محمود شاكر** عضوية المجامع، بل قليلة عليه جائزة التقدير، ولكن لسان الحق الذي تنطق به العدول من الخلق يدعو في إلحاح إلى إنصاف هذا العالم الأستاذ الذي يجلس في محضره أكابر الباحثين وكأنهم من تلاميذه النجباء، يطمع كل منهم في أن يحسب في عداد حوارييه. فكيف يجهل مجتمع الفكر **محمود شاكر**؟. إن هذه لمأثمة كبرى لا يمحوها إلا التقدير يأتيه ساعيا من أعلى مقام".

وقد سألته عن المعركة التي دارت بين **شاكر ولويس عوض** على صفحات "الرسالة" (عام ١٩٦٥م) ، والتي من نتائجها كتاب **شاكر "أباطيل وأسمار"** فقال (في رسالته المؤرخة في ٣ /١٩٧٥/٨م):

"**محمود محمد شاكر** صديق قديم، وهو جار لي في مصر الجديدة وأزوره كثيرا. أما مقالاته عن **لويس عوض** التي جمعت بعد ذلك في كتاب من جزءين عنوانه "أسمار وأباطيل"، فلو خلت من طابع الحدة لكانت أشد وقعا على **لويس عوض، فمحمود شاكر** حجة في الأدب العربي، وله مواقف خالف فيها **طه حسين** وألزمه الصمت. ولكن المقالات التي نشرها في "الرسالة" ألبست القضية لا ثوب النزاع الأدبي، بل ثوب المعركة الدينية. وقد ترتب على هذه المقالات اعتقال **محمود شاكر** مدة طويلة، فلما خرج من السجن غادرته حدة الطبع، وصار أقل غضبا مما كان".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٧/٦/٢م):

"**محمود شاكر** صديق قديم، كما أنه جار لي، وأزوره مرة كل أسبوعين أوثلاثة. وهو بلا أدنى ريب من أفقه فقهائنا في الأدب العربي وفي الدين، ولولا حدة في طبعه وصلابة في رأيه لما حورب في حياته وفي رزقه. إذا سألته عن **طه حسين** كان جوابه: جاهل. وإذا طلبت رأيه في **أحمد أمين** قال: أمي، وهكذا. فلا غرو أن يكثر كارهوه، وأن يحاولوا إهمال ذكره ومحاربته حتى في لقمة قوته، بل إدخاله السجون الناصرية أكثر من مرة".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٩/٤/٢٠م): "لا أعرف محرر "الهلال"، ويبدو لي أنه مبتوت الصلة بالأدب؛ ففي عدد هذا الشهر من المجلة مقال عن أستاذنا **محمود محمد شاكر** عاشق العربية. وقد رأت المجلة أن تنشر له صورة خطية في ظهر الغلاف الأول من باب التكريم، وكلفت خطاطا لوذعيا كتابة اسمه فجاء اسمه: محمد محمود شاكر!! ولو كنت تعرف جاري الأستاذ **شاكر** وكيف ينفعل بل يثور إزاء أمثال هذه الأغاليط، لعرفت مدى غضبه على المجلة ومحررها. وفي العام الماضي كنت جالسا إلى جواره في حفل افتتاح دورة المجمع، وكان الوزير يلقي كلمة الافتتاح فلحن في القراءة، وكان تعليق جاري وبصوت عال: ياحمار!".

وكتب **وديع فلسطين** لي بعد وفاة **محمود محمد شاكر** يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٧/٩/١٩م) يقول:

"خسارتنا في **محمود شاكر** لا تعوض، وأنا أعرفه من أيام مجلة "المقتطف"، أي من نصف قرن، وكنت منتظما في ندوته الأسبوعية لولا مشاغل الحياة من ناحية، ولولا أن في طبيعته حدة عنيفة تجعلني دائم التهيب وأنا في محضره ـــ مع أنه لم يسئ إليه مرة واحدة، ولا نالني بأي عبارة جارحة بل كان يثني علي دائما في حضوري وغيابي ـــ ، وهذا التهيب هو الذي يجعلني شديد التردد في الكتابة عنه، ولكنني لم

أقصر في القيام بواجب العزاء لأفراد أسرته. وقد اطلعت على معظم ما نشر عنه في الصحف المصرية واللبنانية والصحف العربية الصادرة في أوربا، وطويت هذه المقالات جميعا وبعثت بها إلى نجله الدكتور **فهر**".

"ومن تقاليد المجمع تأبين أعضائه العاملين واستقبالهم عند انتخابهم، والمفروض أن يقيم مجمع القاهرة حفلا لتأبينه بمناسبة الأربعين، كما أن من المتوقع أن يرثيه رئيس مجمع دمشق الدكتور **شاكر الفحام** لأنه يعد نفسه من تلاميذه، كما أن **شاكر** كان عضوا مراسلا في مجمع دمشق سابقا علي مباشرة في العضوية، بمعنى أنني صرت الآن أقدم الأعضاء المصريين المراسلين في المجمع (من الأحياء)".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٧/٩/٢٥م):

"قل ترددي في بضعة الأعوام الأخيرة على أستاذنا محمود شاكر، مع أن بيته قريب من بيتي، وبالتالي لم يهدني كتابه "نمط صعب ونمط مخيف"، وإن كنت قرأت فصوله منجمة في مجلة "المجلة" عندما كان يحيى حقي يرأس تحريرها. وعندي المجموعة الكاملة لهذه المجلة إلى عدد أكتوبر ١٩٦٨م، وهو آخر عدد صدر قبل هجرتي (...) إلى ليبيا ... والذين كتبوا مطولات عن محمود شاكر بعد وفاته غفلوا عن أمرين: **أولهما** أنه هاجم الدكتور **علي جواد الطاهر** العراقي في كتاب مستقل، **وثانيهما** أنه عمل مديرا لمجلة "المختار من ريدرز دايجست" عند صدور طبعتها العربية للمرة الأولى في القاهرة في أثناء الحرب، واختاره لهذا العمل صديقه وأستاذنا الدكتور **فؤاد صروف** الذي كان رئيسا لتحرير هذه الطبعة. ومع أنني أعرف **محمود شاكر** من ٥٠ سنة، فأراني شديد التهيب في الكتابة عنه هو وأصدقائي المشايخ: **خالد محمد خالد، ومحمود أبورية، وأحمد الشرباصي، ومصطفى عبدالرازق** وغيرهم".

١٨،١٧–مصطفى أمين، وعلي أمين:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٢/١٠/١٩٧٥):

"وأنت تسألني عن الأمينين **مصطفى وعلي**، فأقول لك: إن بيني وبينهما صداقة قديمة، وقد عملت معهما في "أخبار اليوم" أول صدورها، كما عملت معهما قبل ذلك في "الإثنين" وكنت يومها مازلت طالبا جامعيا. ومع صداقتي لكليهما، فأرجو ألاتعد كلامي هذا دفاعا عنهما أو عن والدهما، وكان صديقي بدوره.

فإذا أردت أن تفهم الأمينين، فاعرف أنهما ـــ أيا كانت ميولهما ـــ قد شنّا حملةً عنيفةً على الوفد وما فيه من فساد، وعلى حادث ٤ فبراير، ونشرا كثيراً من الأسرار التي زلزلت مصر. ثم اعرف أن الصحافة في مصر كانت طول عمرها خاضعة للرقابة. والرقيب له مهمتان: مهمة البتر والاستئصال والحذف، فيقرأ القارئ نصف الحقيقة أو رُبعها أو عشرها أو لا شيء منها، وأما المهمة الثانية فهي التحسين، أي تعديل ألفاظ المقال بحيث يتحوّل من قدح إلى مدح أو العكس. ثم تظهر الجريدة وفيها مقال لفلان أو علاّن، يقرأه الناس فيسخط على الكاتب وهو لا يدري أن الكاتب مظلوم لأن الرقيب شوّه مقاله.

وقد اُتُّهِم **مصطفى أمين وعلي أمين** بالخيانة، ولم يُوجه مثل هذا الاتهام إلى تلميذهما وزميلهما **محمد حسنين هيكل** الذي ظل يكتب ويُلح في الكتابة قائلاً إن الحرب مستحيلة، وإن قناة السويس مانع لا يُمكن عبوره إلى آخر هذه المثبِّطات! ناهيك بأنه أخذ يحدثنا عن الطهارة الثورية للقذافي، فعرفت الدنيا كلها حقيقة هذا القذّاف الأهبل المُخرِّب الذي يُريد أن يحرق بلاد العرب **كنيرون** لينفرد بحكمها بمفرده جل جلاله (كذا)، هو ونظريته الثالثة الخرقاء!

وعلى مكتبي ثلاثة أعداد قديمة من "روز اليوسف" فيها ثـلاث افتتاحيـات للوطني الأكبر **محمد حسنين هيكل**، وكلها في تقديس ذات **الفاروق**، وفي التغـني بعطفه على الشعب، والإشادة بإصلاحاته الفذة!

إن **مصطفى وعلي أمين** يقودان اليوم حملة لردّ الكرامة والحرية والشرف إلى هذا الوطن بما ينشرانه من صفحات دامغة لعهود البغي الأسود، التي عشناها وكأننا اموات. وهي فضيلة للأمينين تُذكر وتُشاد، مهما تكن رذائلهما الأخـرى. فـاعْطِ الأمينين حرية كاملةً في الصحافة، ثم حاسبْهما حساب الملكيْن بعد ذلك".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٢/٣/١م): "**مصطفى أمين** أعرفه منذمـا كنت طالباً. وأما **علي أمين** فلم أعرفه إلا عندما كان يجري الاسـتعداد لإصـدار "أخبار اليوم"، وهما صحفيان شاطران لأنهما لعبا على كل الحبال. ولكـن المؤكّـد أنهما أحدثا ثورةً في الصحافة بالتركيز على الأخبار المثيرة، والاقتصار على المقالات القصيرة دون المطوّلات، وإيفاد المراسلين إلى الخارج لتغطية الأحداث الهامة، وهـذا نجحا في التقدُّم حتى على "الأهرام". أما "الهلال" في عهد **علي أمين** فقد تحولت إلى صورة أخرى من مجلاّت "آخر ساعة" و"المصور"، وفقـدت شخصيتـها الأدبيـة المعهودة عنها".

١٩-مكرم عبيد:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٧٥/٨/٣م):

"وتسألني عن **مكرم عبيد** باشا، الذي كان الرجل الثاني في حـزب الوفـد المصري ـــ **والنحاس** هو الزعيم الأول ـــ وكان في الحقيقـة المحـرّك الأول لكـل الحزب بما فيه **النحاس** باشا نفسه، وعندما قيل له: "أنت خالق **النحاس** باشا" كان جوابه: هذا شرفٌ لا أدّعيه، وتهمة لا أدفعُها!

وكان مكرم باشا مُحامياً من الطراز الأول، وأديباً خطيباً يُطوِّع للبلاغة حتى تقارير الميزانية العامة للدولة. ففي جميع حكومات الوفد، كان هــو وزيــر الماليــة المُختار. وكان يحفظ القرآن الكريم ويُكثر من الاستشهاد بآياته في مواقف الحســم، فيُخرِس مُشاكسيه.

ولّما قامت بينه وبين **النحّاس** جفوة بسبب الفساد والرشاوى وطُغيان نفــوذ أسرة **النحاس**، خرج من الوفد وأصدر كتاباً أسود عن النحاس سجّل فيــه جميــع وقائع الفساد والرشوة، وكان هذا الكتاب موضوع استجوابات طويلة في البرلمان.

وألّف **مكرم** باشا حزباً أسماه "الكتلة" انضمّ إليه من الشباب جلال الحمامصي وأحمد قاسم جودة وأصدر جريدة "الكتلة"، ولكن الحزب وُلِد هزيــلاً، والجريــدة استنزفت أموال صاحبها.

فلمّا جاءت الثورة حلّت الأحزاب، فلزم داره، و لم يُقَدَّم إلى محاكِم الثورة أو سواها لأي تهمة تنال من نزاهته.

وقد استغرقت السياسة كل حياة مكرم عبيد، حتى صارت المحاماة نفسُها ــ وهي مهنته الأولى ــ عملاً هامشياً، مع أنه كان يكسب منها عشرات الآلاف مــن الجنيهات.

وطبعاً كُتبت عنه مقالات كثيرة في حياته، مدحاً وقدحاً، كأي سياسي كثير المعارك. ولكن **أحمد قاسم جودة** نشر عنه كتاباً سمّاه "المكرميات" جمع فيه طائفة من خطبه التي تتميّز بالطابع الأدبي والبلاغي، وهو فيما أعلم الكتاب الوحيد الذي صدر عنه.

وكان صديقنا المرحوم الدكتور **أحمد زكي أبوشادي** بعد هجرته إلى أمريكــا يعتزم إصدار كتاب عنوانه "الأدباء الأقباط"، فنشر في جريدة "الهدى" النيويوركيــة ثلاث حلقات من فصول هذا الكتاب، واحدة عن **مكرم** باشا والثانية عن **ســـلامة**

موسى والثالثة عني، ولكن الوفاة المبكرة **لأبي شادي** لم تمكنه من إنجاز هذا المشروع".

٢٠-نجيب محفوظ:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩٨٨/١١/٣٠م)، بعد فوز **نجيب محفوظ** بجائزة **نوبل**:

"**نجيب محفوظ** أعرفه، وكتبت عنه وعن أدبه قبل أن يولد معظم مكرميه، ومنهم السيد وزير الثقافة الفنان المبدع! ومع ذلك لم يدعني أحد إلى الاحتفال الرسمي بتكريمه، في حين دعيت جميع الممثلات والفنانات ومن إليهن. وقد فكرت في كتابة كلمة عن بدايات **نجيب محفوظ** التي كنت شاهدا عليها بنفسي ويجهلها كل مجتمعنا الأدبي الحالي، ولكنني نهيت نفسي عن ذلك، أولا لكثرة مشاغلي التي يرتبط بها رزقي، وثانيا لئلا يتوهم متوهم بأنني أريد أن أجد لنفسي مكانا أو دورا في تاريخ **نجيب محفوظ** الأدبي ولا سيما بعدما فاز بالنوبلية الدولية عن جدارة واستحقاق".

"وعهدي بآثار **نجيب محفوظ** ــ التي كان يهديني إياها قبل أربعين سنة بوصفي "أديبا كبيرا" ــ يقف عند "القاهرة الجديدة"، و لم أقرأ له شيئا بعد ذلك لأنني اعتبرت الروايات مادة للتسلية لا للثقافة، فانصرفت عنها بكل أسمائها ومسمياتها".

"ولو سئلت اليوم عن رأيي في أدب **نجيب محفوظ** لآثرت السكينة لبعد عهدي بقراءة آثاره القديمة مثل "رادوبيس"، و"زقاق المدق"، و"خان الخليلي". ويدهشني أن كل ما كتب عنه أخيرا أغفل دور "لجنة النشر للجامعيين" في إبراز **نجيب محفوظ**، وهي اللجنة التي أنشأها **عبد الحميد جودة السحار** في الحرب العالمية الثانية وضمت **علي أحمد باكثير وعادل كامل ونجيب محفوظ**، وانتسب إليها شبان ذلك العصر

مثل محمد عبدالحليم عبدالله وأمين يوسف غراب وأحمد زكي مخلوف وسيد قطب وإخوته وأنا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٣/١/١٩٨٩م):

"**نجيب محفوظ** أعرفه منذ بداياته الأولى، وقد زاملته في لجنة النشر للجامعيين، وكنت من أوائل الذين كتبوا عنه وعرفوا بأدبه. وعندي رواياته الأولى في طبعاتها الأولى مهداة إلى من كان يسميه "بالأديب الكبير" أو "الموهوب". وكنت أزوره ولو مرة في الشهر في مكتبه بوزارة الأوقاف لأقدم إليه العدد الجديد من "الأديب". ولم يعرف **نجيب محفوظ** أديب السويد الكبير **أوجست ستريندبرج**، الذي أشار إليه غير مرة في أحاديثه، إلا من خلال ترجمتي المبكرة لمسرحية "الأب" التي أهديتها **لنجيب** عند صدورها عام ١٩٤٥م، وعلى كثرة الأحاديث التي أفضى بها **نجيب محفوظ** في كل عمره، لم يشر إلي بحرف، وليس في نيتي اليوم أن أذكر الناس بما نسيه صاحبه، ولا سيما وصلتي بالأدب تدخل في دائرة المحاق".

وكان قد قال لي (في رسالته المؤرخة في ٢٥/٥/١٩٧٦م):

"**نجيب محفوظ** أعرفه من عام ١٩٤٤ أو ١٩٤٥م وكنا في ذلك الزمان الخالي ــ زمان الطهارة الأدبية ــ نجتمع كثيرا في مكتبه في وزارة الأوقاف أو في ندوته في كازينو أوبرا أو في مكتبة مصر (**السحار** إخوان) في الفجالة. ولكن لما استشرى داء المخبرين السريين والمتجوسسين على ندوات الأدب، وصار الناس يشكون حتى في أقرب المقربين إليهم أقلعنا عن هذه اللقاءات الدورية في الأماكن العامة، وصرنا نلتقي بمواعيد مضروبة أو وفقا لتساهيل المصادفات السعيدة، وآخر هذه المصادفات من نحو أسبوعين.

وأعترف بأنني وقفت في مطالعاتي **لنجيب محفوظ** عند مرحلة "زقاق المدق" و"القاهرة الجديدة"، أما ما تلا ذلك من روايات "كالثلاثية" و"أولاد حارتنا"

و"الكرنك" ... إلخ فلم أُطالعه، واعتقادي ـــ من واقع مطالعاتي الأولى لنجيب ـــ أنه فنان عظيم، وأنه يستحق كل تكريم يناله، ولاسيما وأن له شخصية أصلب عوداً من **توفيق الحكيم** الزئبقي الرجراج. **فنجيب محفوظ** لم ينغمس في التأييد الأعمى للإجراميات والإنكشاريات والإرهابيات التي عشناها ربع قرن كما فعل "فاقد الوعي" **توفيق الحكيم** ، ومن ثم لم يعوزه الأمر إلى "صك غفران" يقدمه إلى الجمهور ليصفح عن خطيئته كما فعل **توفيق الحكيم** في "عودته إلى الوعي".

"صحيح أن التكريم الذي ناله **نجيب محفوظ** هو حصة الأسد، وأن بعض أقرانه أو السابقين عليه يستحقون تكريماً مماثلا **كإبراهيم المصري**، **ومحمود البدوي**، والمرحوم **عبدالحليم عبدالله**، والمرحوم **أمين يوسف غراب**، **وعلي أحمد باكثير**. ولكن الحياة غير ذات مقاييس سليمة. ومن مقتضاها الإسراف هنا والتقتير هناك".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٩/١٢/١٩٩٤م):

"لا أدري هل تناولت الصحف السعودية قضية "أولاد حارتنا" أوْ لا؟؛ فقد نشرت عندنا في الفترة الأخيرة عشرات من المقالات التي تدافع عن هذه الرواية باعتبارها إبداعاً فنيا أدبيا وليس موضوعاً دينيا، ولكن هذه الموضوعات لم تُقنع ذوي الاختصاص بالإفراج عن الرواية على الرغم من أن جريدة "الأهالي" نشرتها مؤخراً، فضلا عن أن الطبعة البيروتية تُهرَّب إلى مصر، وتُباع بخمسة وثلاثين جنيهاً للنسخة الواحدة. وقد قام الشيخ (محمد) الغزالي ـــ وهو صاحب التقرير الأصلي الذي حكم على هذه الرواية بالإعدام ـــ بزيارة مؤلفها، وحاول حواريو المؤلف تفسير هذه الزيارة بأنها "توبة" من جانب الشيخ، ولكن الوضع لم يتغيَّر. والقضية على كل حال قضية خاسرة مهما ترافع فيها بُلغاء المحامين ـــ ولستُ منهم ـــ ...".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٥/٩/١٩٩١م):

"لم أتابع "أولاد حارتنا" لنجيب **محفوظ**، وتوقفت قراءاتي للأدب الروائي — بما في ذلك أدب صديقنا **نجيب محفوظ** — عند "خان الخليلي" و"زقاق المدق"، و"رادوبيس" و"القاهرة الجديدة"، وقد كتبت عنها جميعا في الفترة ١٩٤٤، ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧م وهو ما ذكره **علي شلش** في كتابه عن **محفوظ**، ولكن الذي عرض الكتاب في عدد هذا الشهر من "الهلال" تعمد إسقاط اسمي!".

ويقول (في رسالته المؤرخة في٣١/١/١٩٩٦م):

"حتى هذه اللحظة لم أقرأ كتاب **محمد جبريل** عن "آباء الستينيات"، وفي اعتقادي أنه كان يستفيد كثيرا من شهادات الذين عاصروا قيام لجنة النشر للجامعيين والباقين على قيد الحياة حتى اليوم مثل **عادل كامل ونجيب محفوظ** وأنا، ولكنه لم يفعل. وعلى كل حال لاأريد من ناحيتي أن "أتمسح" في هذه اللجنة أو في محفوظها، وأوثر أن أبقى مثل "النبت الشيطاني" الذي يخرج إلى الدنيا من تلقاء نفسه ولا يعتمد إلا على نفسه، ولا ينتسب إلا إلى نفسه".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٠/١٢/١٩٩٥م) عن "أصداء السيرة الذاتية"، وهي آخر ما كتب **نجيب محفوظ**:

"لم أقرأ "أصداء السيرة الذاتية"، ورأيي الصريح فيها أنها مزيج من الحكمة والهلوسات، وإن كان نصيب الهلوسات أكبر. ولعل **نجيب محفوظ** ندم على كتابة هذا السخف، بدليل رفضه نشرها في كتاب".

ويقول مرة أخرى عن "أصداء السيرة الذاتية" (في رسالته المؤرخة في٤/١/١٩٩٧م):

"قرأت ما نشرته "الأهرام" من فقرات "أصداء السيرة الذاتية"، ثم قرأت نصها الكامل في جريدة "أخبار الأدب"، ولعلي صارحتك برأيي فيها من قبل، وهو أن الأصداء مزيج من الحكمة والهلوسة، وجرعة الهلوسة فيها أكبر. ولولا جائزة نوبل

التي رفعت **نجيب محفوظ** إلى مرتبة آلهة الحكمة (كذا) لما اهتم أحد بهذه الأصداء غير المترابطة".

وفي الرسالة نفسها يشير إلى عدم وفاء **نجيب محفوظ** تجاه رفقاء رحلته ودربه، يقول:

"وستلاحظ في حديثي عن **باكثير** أنني عاتبت **نجيب محفوظ** لأنه يهتم اليوم بحرافيش جدد ولا يقول كلمة إنصاف في زملاء أول الطريق: **السحار، وعادل كامل، وباكثير**. وقد حذف المحرر فقرة قاسية العبارة، ومع ذلك فإن استشهادي ببيت الشعر الوارد في الحديث كاف في حد ذاته لقول ما كنت أريد قوله".

وبعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب صدر كتاب **"نجيب محفوظ" لرجاء النقاش**، وهو يضم مقابلات مسجلة مع **نجيب محفوظ**، أثارت لغطا شديدا في الحياة الثقافية المصرية، لدرجة أن مجلة **"الأهرام العربي"** خصصت أحد أعدادها (في يوليو ١٩٩٨م) لمناقشة الآراء الواردة في الكتاب. وقد أشار الأستاذ **وديع فلسطين** إلى هذا الكتاب في أكثر من رسالة.

ويقول (في رسالته المؤرخة في ٦/١٠/١٩٩٨م): "الخطب التي ألقيت في عيد ٦ أكتوبر تعمدت الرد بصورة غير مباشرة على **نجيب محفوظ** الذي وصف حرب الاستتراف بأنها كلام فارغ و"شلفط" **عبد الناصر** وكل تاريخه الإجرامي. ومازال المشاغبون يحملون على **نجيب محفوظ** بسبب ما اعتبروه "تخريفات" الشيخوخة الرذيلة، وحاول **عبد العظيم أنيس** استدراج **نجيب محفوظ** للاعتراف بأنه في عربدات شبابه كان "يعاقر" اليهوديات في حي العباسية كما كان هو يفعل! أليس هذه "كلينتونيات"!!؟"([15]).

---

[15] يشير إلى الفضيحة الأخلاقية لكلينتون ــ رئيس الولايات المتحدة ــ مع الفتاة اليهودية "مونيكا لويسكي" التي أثيرت هذا العام.

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٨/١٠/١٩٩٨م): "توقفت نسبيا الحمــلات التي شنت على **نجيب محفوظ** بسبب آرائه السياسية الواردة في مذكراته، وهو نفسه قد تراجع عن بعض هذه الآراء زاعما بأنه لم يقرأ أصول الكتاب قبل نشره، مع أنه أملاه بصوته على المسجل، ومن ناحية أخرى تضمنت الخطب الرسمية التي ألقيت في أعياد ٢٣ يوليو و٦ أكتوبر ردا غير مباشر عليه، وكان ابن شقيقة **نجيب محفوظ** قد رفع دعوى عليه وعلى ناشر الكتاب مطالبا بمصادرته، لأنه تضمن كلاما يسيء إلى أسرته".

٢١-نزار قباني:

يقول الأستاذ **وديع فلسطين** (في رسالته المؤرخة في ١٩/٥/١٩٩٨م):

"لعلي أنا وسهيل إدريس صاحب مجلة "الآداب" **أقدم أصدقاء نزار قبـــاني، فصلتي به ترجع إلى عام ١٩٤٨م عندما كان شاعرا ناشئا، فلما ملأ الدنيا وشغـــل الناس، وعرف المطربين والمطربات** ... نسيني، وكنت أرجئ **أي كلام عنـــه إلى أن تنفض "الزفة الحالية"، ولكن مجلة "نصف الدنيا" ألحت في أن أملي عليها بالهـــاتف ذكرياتي عن تلك الفترة الباكرة من حياة نزار ففعلت، ولعلي أتناولـــه ذات يـــوم، ولكن بصورة موسعة أتحدث فيها عن علاقته المتقلبة مع مصر، إذ كان آخر عهده بها اختيارها سكنا بعد مصرع زوجته في بيروت، فلما سئم الحياة في مصر، تركـــها إلى لندن قائلا: إنه لا يريد أن يعيش في بلد ثقافته هي ثقافة أحمد عدوية".**

ويقول في موضع آخر من الرسالة نفسها: "**رجاء النقاش** كتب عدة مقالات عن **نزار قباني** هاجم فيها **صالح جودت**، واتهمه بالدس والتحريض على نـــزار ولا سيما بعد قصيدته "على هامش النكسة"([16])، فعندما حلت بنا النكبة الناصرية التي سموها بالنكسة، وانفعل نزار ناظما قصيدته "الهوامش" رأى صالح جودت أن هـــذه

---

[16] -اسمها: هوامش على دفتر النكسة.

هي فرصته للتمسح بالمتكوسين والتحريض على نزار، كيما يبرهن للمنكوسين على أنه أصدق المدافعين عنهم، مترتفع بذاك أسهمه في أعينهم ... والغريب أن رجاء النقاش زعم أن عبارة "السلطان" الواردة في قصيدة "الهوامش" لم يكن عبد الناصر هو المقصود بها شخصيا، بل كان المقصود بها أي حاكم آخر! مع أن القصيدة كلها مفصلة تفصيلا تاما على مقاس عبد الناصر وعهده الأسود ونكباته ونكساته"!.

"والأغرب أن نزار قباني رثى عبد الناصر بعد وفاته قائلا: "قتلناك يا آخر الأنبياء"! وقال عنه: "إن الخوارق ليست تعاد"! والشعراء مثل المحامين؛ فالمحامي "الشاطر" هو الذي يستطيع أن يدافع حتى عن الشيطان ويحصل له على البراءة. والشعراء يفعلون نفس الشيء، يدافعون عن الشيطان ويؤممونه، لأنهم يلبسون لكل حال لبوسها. وأكبر دليل على ذلك بدر شاكر السياب والجواهري؛ فشعرهما السياسي كان يتلون بلون الأنظمة، وكان الواحد منهما ينتقل من النقيض إلى النقيض. وما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته، ولا سيما الشعر".

وقد كان يتابع اقضايا التي يثيرها شعر نزار، يقول (في رسالته المؤرخة في ١٩/١٢/١٩٩٤م): "لعلك تابعت الحملة الشعواء التي شنتها طائفة من الشعراء في مصر على نزار قباني بسبب قصيدته التي نعي فيها أمة العرب([١٧]). ولا أدري هل كان لهذه القصيدة صدى عندكم أو لا؟. وأكبر خطأ وقع فيه الشعراء أنهم اتهموا نزارا بكل نقيصة، ابتداء من العربدة وانتهاء بالخيانة، وهي اتهامات لايصح أن تطلق في معرض النقد الأدبي، وقد سئلت عن رأيي في هذه القضية ـــ ولم أطلع حتى الآن على نص القصيدة ـــ فقلت: إن هذه الحملات لن تسكت نزارا أو تخرسه، وإنما الذي يسكته هو أن يصلح العرب من أنفسهم، وأن يبرهنوا على أنهم يعيشون في

---

[١٧] -القصيدة بعنوان "متى يعلنون وفاة العرب؟"، وقد نشرتها جريدة "الحياة" اللندنية، التي آثرها نزار قباني بنتاجه على امتداد السنوات السبع الأخيرة من عمره.

النظام العالمي الجديد، ويتهيأون لاستقبال القرن الحادي والعشرين، وعندئذ لا يجد نزار مطعنا يوجهه إلى العرب. وعلى كل حال ، فليست لدي أية نية في التعرض لهذه القضية لأنها تمس جوانب سياسية لا شأن لي بها".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٥/١/٢٦م): "قرأت قصيدة **نزار قباني** متأخرا، والشاعر معذور إذا ما سخط على أوضاع أمة العرب قائلا لهم: إما أن تعيشوا أو تموتوا، ولن يحزن عليكم أحد. وقد دافع عنه **فاروق جويدة** في "الأهرام" دفاعا جريئا، أما المهاجمون فقد خرسوا".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٧/١١/١٢م): "سألت عن صحة الشاعر نزار قباني، فقيل لي إنها مستقرة، فلا هي تتحسن أو تسوء، ولكنه عاجز طبعا عن الاستنجاد بربة (؟) الشعر".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٨/١/١٧م): "سألت عن صديقنا الشاعر نزار قباني، فقيل لي إنه غادر المستشفى، وإن صحته مستقرة، فلا هي تسوء ولا تحسن، وإذا استمرت حالته على هذا الوضع كان معنى هذا أن شاعريته قد بلغت "نقطة الصفر" لعجزه عن الإتيان بأي جديد، لطف الله به، فأنا أعرفه منذ عام ١٩٤٨م، أي من نصف قرن تماما".

ولقد نشرت مجلة "نصف الدنيا" حوارا مع الأستاذ وديع فلسطين (العدد ٤٣٠- ١٩٩٨/٥/١٠م، ص٧٢،٧٣) تحت عنوان: "وديع فلسطين: أنا أول من كتب عن نزار قباني في مصر"، قال فيه: "عام ١٩٤٨ دعاني الصديقان السوريان الدكتور **زكي المحاسني** وزوجته **وداد سكاكيني**، وكانا وقتها يقيمان في القاهرة، لحضور حفل شاي أقاماها لزميلهما **نزار قباني** الذي عين وقتها ديبلوماسيا ناشئا في المفوضية السورية بالقاهرة، ودعي إلى نفس الحفل عدد من الأدباء والشعراء لاأذكر منهم سوى **محمد عبد الغني حسن**، و**عادل الغضبان**. وكان هذا اللقاء بدء تعارف

لم يلبث أن أصبح صداقة وثيقة بيني وبين **نزار**. وكنت ألتقيه كثيرا، وكان وقتها قد قرر أن يطبع ديوانه الثاني في القاهرة، وعنوانه "طفولة نهد"، بينما كان قد طبع ديوانه الأول في دمشق وعنوانه "قالت لي السمراء"، والذي أثار ضجة كبيرة في ســـورية، وقامت قيامة الدنيا عليه، لأنه نشر في ذلك الوقت قصيدة عنوانها "خبز وحشيـــش وقمر"، فأثيرت القضية في البرلمان السوري لأن نزارا كان موظفا بالخارجية. فكيف لا يحترم وضعه الوظيفي، ويبتعد عن الموضوعات النسائية والنقـــد الاجتمـــاعي في كتاباته؟. ولكي تهدأ العاصفة تقرر نقله إلى القاهرة، ليكون بعيـــدا عـــن حمـــلات النواب".

"نعود لديوانه الأول (في القاهرة) "طفولة نهد"، وكان مطبوعا طباعة فاخرة، واللوحات من رسم الفنان **بيكار** وبالألوان، وأهداني نسخة منه، وسألني: ما السبيل إلى إهداء هذا الديوان للشعراء والنقاد المصريين، وكنت ــ بحكم عملي الصحفي في ذلك الوقت ــ أعرف عددا كبيرا منهم، ودعوته إلى دار "المقتطف والمقطم" الـــتي كنت أعمل فيها، لأننا كنا في كل يوم جمعة نقيم ندوة أدبية يتردد عليها الكثير من الأدباء والشعراء من المصريين والعرب، وفي هذه الزيارة أهدى **نزار** ديوانه للعديـــد منهم.

وكان **سيد قطب** يعد من أكبر النقاد في مصر آنذاك، وكان يشار إليه بأنـــه "ناقد مجلة الرسالة"، فرغب **نزار** أن نزوره لنقدم إليه الديوان. وزرناه فعلا في بيتـــه بحلوان، وعرفته على **نزار** الذي أهدى إليه الديوان، ولكن **سيد قطب** لم يكتب عنه شيئا، ويرجع ذلك ــ في ظني ــ إلى أن **سيد قطب** كان محافظا، وشعر **نزار** كان جريئا جدا. وترد به كلمات لم يعتد عليها المجتمع وقتئذ، ولم تستسغها بعـــد عـــين الناقد، ولا أذن القارئ!".

"وأيضا أخذته وذهبنا لمنزل **العقاد** في مصر الجديدة، وأهدى لـــه الديـــوان. والأرجح أنه لم يكتب عنه أيضا لموقفه الشهير من "الشعر الحر" كما كان يسمى في ذلك الوقت".

"والخلاصة أن جميع الذين أهدي إليهم الديوان تجاهلوه تماما، و لم يكتب عنه أحد غيري، وكنت أول من كتب عن **نزار** في مصر. واتفق أن تلقيت ديوانا آخـــر من الشاعر **حسن كامل الصيرفي** فكتبت مقالا واحدا عن الديوانين معا، ولما نشـــر المقال عاتبني **الصيرفي** قائلا: "من **نزار قباني** هذا الذي تقدمه علي؟". وكان دفاعي ــ وهو دفاع ضعيف ــ "أنني كتبت عن الديوانين بحسب ورودهما إلي".

"وبعدما كتبت أنا، كتب **أنور المعداوي** ... في مجلة "الرسالة. وعندما تحدث **نزار** عن تلك الفترة ذكر **المعداوي** ونسيني، وعلاقتي به بقيت طوال فترة وجوده في القاهرة، وكنا نلتقي دائما".

ومن الطرائف التي يذكرها وديع فلسطين في نهاية هـــذا الحـــوار "أن أنـــور المعداوي حين كتب عن ديوان "طفولة نهد" في مجلة "الرســـالة" اضطـــر إلى تغيـــير العنوان إلى "طفولة نهر"، ويقال إن أحمد حسن الزيات ـــ صـــاحب "الرســـالة" ـــ تدخل في تغييره، وذلك لأنها كانت مجلة محافظة ونزار كان جديدا ومتدفقا وهادرا في شعره وكلماته مما صدم المجتمع والنقاد، ويجوز أن يكون هذا سر عدم الاحتفاء به في فترة وجوده بمصر".

ويقول (في رسالته المؤرخة في ١٩٩٨/٩/١٤م): "سمعت أن الدكتورة سعاد الصباح ــ بعد نشرها كتابا من جزءين عن نزار قباني منع من دخول الكويـــت ــ تعكف حاليا على جمع كل ما قيل عن نزار في حياته وبعد وفاته لإصداره في كتاب ضخم، ولا أدري من يشتري هذه الكتب التي يصل ثمنها إلى مئات الجنيهات؟".

الفصل الخامس

هكذا تحدث وديع فلسطين

القسم الأول:

(ثلاثة حوارات أجراها المؤلف)

أعددت ثلاثة حوارات طويلة مع الأديب المصري الكبير **وديـــع فلســطين** نشرتها في مجلات "**صوت الشرق**" القاهرية (أبريل، ومـــايو، ويونيـــو ١٩٧٦)، و"**الإخاء**" الإيرانية (١٩٧٦)، و"**الرافعي**" المصرية (١٩٨٧)، وهذه هي الحوارات:

الحوار الأول

***أين ترى نفسك في الحياة الأدبية ؟**

ـــ أرى نفسي في أقصى مقعد خلفي من مقاعد المتفرجين على مواكب الحياة الأدبية، وهو مكان آثرته لنفسي بعدما "توظف" الأدب، وصار الأديب يعرف لا بإنتاجه بل بدرجته الوظيفية أو عضويته للجان والمجالس المختلفة. فإذا توافر الأديب على أداء رسالته في ترهب الناسكين **كعلي أدهم**، أو إذا أبت عليـــه كبريـــاؤه أن يسخر شعره في الاسترضاء أو الاستعطاء **كمحمود أبي الوفا**، أو إذا ضاق بشموخ عقله القالب المصبوب **كمحمود محمد شاكر**، أو إذا ازور عن القعــود في " قـــهوة الفن" **كمحمود البدوي** ، فبشرهم بالنسيان حاضرا، وإن كنت علـــى يقـــين أن المستقبل لن ينساهم مهما استطالت أزمنة الجحود.

***وماذا رأيت من مقعدك بين المتفرجين؟**

ـــ رأيت ظواهر أغلبها لاأرتاح إليه ، أذكر بعضها في تعميـــم لاتخصيـــص: فهناك نزعة احتكارية بادية معالمها في الجو الأدبي كله. فخمسة أو ستة أو عشرة من

الأدباء هم الذين آلت إليهم منابر الأدب جميعها؛ فهم في مجلس الفنون ، وفي جمعية الأدباء، وفي نادي القصة ، وفي اتحاد الكتاب ، وفي مجلات الأدب ، وفي أركان الإذاعة، وفي "استوديوهات التليفزيون"، وفي منتديات الأدب ومؤتمراته. وهناك إحجام عن التعريف بالكتب الجيدة القليلة الصادرة، و"إسهال" في التعريف بالكتب التي تشول في ميزان النقد. وهناك جنوح إلى الأخذ بأساليب "الموضة" في الأدب. و"الموضة" معناها قيام مناسبة ما، فيتسابق على التأليف فيها الأدباء والشعراء، حتى إذا جاءت مناسبة أخرى سايروا "موضتها"، وهكذا دواليك. وهناك استخفاف بأهم عنصرين من عناصر الكتابة الأدبية، وأعني بهما الأسلوب والفكرة. وما أكثر ما نقرأه، فإذا هو مسلوب من الأسلوب ومحروم من الفكرة.

ومن الظواهر التي لا تعجبني في الحياة الأدبية انعدام النقاش الحيوي بين الأدباء، سواء لتقصير من جانبهم، أولتعسف من دوريات الأدب. فما أكثر ما نُطالعه مما يستحق الرد والنقاش، ولكن باب النقاش لايكاد ينفتح، ويبقى الرأي منحصراً في جانب واحد لاغير.

ولكن أشد ما يفزعني وأنا لصيق مقعدي بين المتفرجين، هو أن أفذاذنا من المفكرين والأدباء إذ يُخلون مكانهم لايجدون من توافرت لهم الأهلية لاستخلافهم. فطه حسين والعقاد وسلامة موسى ومصطفى عبدالرازق وهيكل والمازني ومن إليهم قد مضوا عن دنيانا دون أن نستطيع بإنصاف أن نشير إلى خليفة لأي منهم. فمع انتشار أسباب العلم والثقافة كان ينبغي أن يكون هناك عشرات من أمثال العقاد وطه حسين يملأون علينا حياتنا الفكرية، ولكن الواقع الصارم يُؤكد لنا أن حياتنا الأدبية خلوٌ من "الخلفاء الأكفاء" لجيل العباقرة.

***إلى أي جيل تنتمي من حيث تكوينك الأدبي ؟**

ـــ ليس هينا علي أن أحدد الجيل الذي أنتمي إليه سواء بمطـــامح شبـــابي أو بواقع حاضري. ففي شبابي الأول فتنت "بمدرسة المقتطف" التي خالطت أعلامـــــها، وكنت على مودات أثيرة بأغلبهم؛ فالدكتور **فؤاد صروف** و**خليل ثابت** والدكتور **فارس نمر** و**خليل مطران** و**نقولا الحداد** و**إسماعيل مظهر** و**سلامة موسى** والأمــــير **مصطفى الشهابي** كانواجميعا يبذلون لي صداقاتهم الملهمة وأستاذيتهم النيرة، فنشأت ولي من المطامح ما يشدني إلى هذا الجيل الرائد أملا في أن أكون في غد شعاعا من أشعتهم، وكنت إلى هذا الجيل منجذبا وإلى مناهجه وقيمه واتجاهاته مستجيبا. ولكن احتجاب "المقتطف" كواحدة من أتعس فواجع الأدب، ثم انتهاء جيل الرواد الكبار ، وتعاقب موت المجلات الأدبية والعلمية "كالرسالة" و"الثقافة" و"مجلة علم النفـــس" و"الكتاب" و"الكاتب المصري" و"الفصول"، كل هذا أشعرني بأنه ليس في حياتنـــا الفكرية موضع للأدب الجاد، فقد فشت السوقية، واســـتهتر الأدبـــاء بالأســـاليب الرصينة، وجاءت بدعة الشعر الجديد بألفاظه المنكـــرة "كالغثيـــان"، و"الســـأم"، و"القرف"، وسيطر على الحياة الفكرية قوم إلى الجهالة أقرب، فماتت في مطـــامحي القديمة وإن بقيت على ولائي ووفائي "لمدرسة المقتطف"، أعد نفسي منـــها دون أن أكون لها امتدادا.

أما الجيل الذي أنتمي إليه بحكم عمري، فلعلي لا أجد بيني وبين أحد منـــهم مشابهة. وربما كنت أقرب عاطفيا ووجدانيا ومن حيث تذوق الأدب إلى جيل **محمد عبدالغني حسن**، و**محمد عبدالمنعم خفاجي**، و**علي أدهم**، و**حسن كامل الصيرفي** ، و**مصطفى عبداللطيف السحرتي**، و**محمود أبوالوفا** مني إلى من قرناء لي من حيـــث السن، هذا مع مراعاة الفارق الكبير في المترلة الأدبية بين أساتذتي أولاء وبيني.

وهكذا ترى أن مكاني ضائع بين الأجيال، وهي جميعا تكاد تنكـــرني، ممـــا يجعلني أوثر الاستقلال على ادعاء الانتماء إلى هذا الجيل أو ذاك.

***ماذا تقصد "بالأحاديث المستطردة" التي تكتبها عن أعلام المفكرين الذين عرفتهم ؟**

ــ ليس يخاف عليك أن التكتلات أو "الشلل" التي تهيأت لها أسباب النشوء والترعرع في حياتنا قد نجحت في إهمال ذكر كثيرين من الأدباء الذين لا ينتمون إليها، وإنكار كل فضل لهم في الحياة الأدبية. وهذه الحقيقة نبهتني إلى ضرورة "إثبات وجودي"، أو بتعبير أرباب المعاشات، تقديم "شهادة وجود على قيد الحياة"، فاستصوبت أن أسوق أحاديث مستطردة عن كبار الأدباء متوخيا ــ في غير ما تفاخر أو ادعاء ــ أن أسرد طرفا مما كان لي معهم من مودات وثقى، مؤكدا دائما ما تخلق به هؤلاء الكبار من أريحية أستاذية طوعت لهم أن يفيضوا بعلمهم وأدبهم وتجاربهم على من هم بمقام التلاميذ مثلي. ولئن حسب البعض أنني استهدفت غرضا أنانيا من سوق هذه الأحاديث، ولئن توهم بعض الفضلاء ــ كالصديق الأستاذ **إميل توفيق** ــ أنني ابتغيت الإعراب عن وفاء التلميذ لأساتذته، فقد كان من أهم مقاصدي أن أبين للجيل الطالع كيف كان أعلام عصر مضى يحدبون على الناشئة ويشجعونهم ويتعهدونهم بالتوجيه والتزكية، وهذا هو ما اصطلحت على تسميته "بالأريحية الأستاذية".

فالعالم العظيم هو الذي يبذل أسباب العلم لمن يحملونه بعده. أما العالم الذي يقول: لا قبلي ولا بعدي، ويحتكر في صدره وفي ذاته ما استقام له من حظوظ العلم، فهو بتصرفه هذا ينكر بديهة علمية هي أن العلم تراث إنساني مبذول للناس جميعا، ومن الخير الجزيل أن يصرف العالم الكبير بعض جهده في تربية تلاميذ يحملون من بعده المشاعل.

"فالأحاديث المستطردة" ، وإن نسبتني بحق التلمذة إلى أعلام عصري ، فقد أتاحت لي أيضا أن أذكر التكتلات الأدبية ــ أو الشلل ــ بأن الحياة الأدبية أوسع

من أن نحصرها في فئة قليلة لها وحدها حيثيات الأدب ووجـــاهاته ، وليس لسواها إلا خمول الذكر.

وقد وهم البعض أنني في هذه الأحاديث المستطردة أؤرخ للأدب المعـــــاصر، ومضوا يؤاخذونني على إهمال تواريخ الميلاد وتواريخ الوفاة، وإغفالي الحقائق المتعلقة بالنشأة والدراسة، وعدم احتفالي بسرد قوائم مؤلفات أولئك الأعلام، وما إلى ذلك مما يدخل في باب السيرة. ولكنني في حقيقة أمري لم أنشد كتابة تاريخ للأدب، فهي مهمة واقع عبؤها على عاتق رجال التاريخ الأدبي. وإنما كان مبتغاي أن أروي مـــا ارتسم في ذهنـــي وانطبع في قلبي من معاصرة أولئك الأعلام لفرط قـــربي منـــهم واتصالي بهم. وطبيعي أن مسؤولية القلم التي أنا بها مؤمن، واعتبارات الأخلاق التي بـــها أدين قد ألزمتني ألا أنشر إلا ما هو جائز في عرف الحق والخلق، وأما مالا ينفع الناس فلست موكلا بتسجيله ولا أتاني خبره.

***منذ ما صدر كتابك "قضايا الفكر في الأدب المعاصر" في عام ١٩٥٩ نقرألك كتابا منشورا، فهل ثمة تعليل لذلك؟**

ـــ نعم هناك تعليل فالأدب قد صارت تسري عليه نواميس التجارة، بـــل إن هذه النواميس هي وحدها التي تتحكم في الأدب أيا كانت قيمته. فإذا أردت نشـــر كتاب، فلن تجد ناشرا يغامر بهذه المهمة إلا إذا اطمأن سلفا أن الكتاب مربح مـــن الناحية التجارية المجردة. وأنت مطالب بأن تكون لك "سمعة محل"، أي شهرة، أي استمالة جماهيرية تكتب لكتابك الرواج المؤكد. فإن خرج الناشر مـــن حســـابات الضرب والطرح بأن كتابك غير رائج في سوق العرض والطلـــب، اعتـــذر لـــك بعشرات من الأسباب.

فإن رغبت في طبع كتابك على نفقتك الخاصة، نهاك عن ذلك ارتفاع أسعار الورق، وبهاظة تكاليف الطباعة، وزهد موزعي الكتب في القيام عنك بأعباء التوزيع،

وانعدام أبواب النقد الأدبي في الصحف التي تنبه الناس إلى صدور كتابك، وتضخم أسعار الإعلانات في الصحف وما إليها من وسائل الإعلام.

وصفوة القول: إنه يتعين عليك قبل أن تؤلف كتابا أن تطبق عليه المقـــاييس التجارية المألوفة في أسواق البصل، وأنا جاهلها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن صدور كتاب جديد لك يقضي عليك بإمساك دفاتر "دوبيان" تقيد بهـــا الدخـــل والمنصرف، وتتحول من أديب إلى كاتب حسابات ، ومن شاعر محلق في دنيا الخيال إلى "ممول" تجابه سوق البصل بأغلظ نواميسها!.

وكان سيادة الرئيس **أنور السادات** قد وعد في غير مناسبة واحدة بإعفـــاء الكتب من جميع المكوس والفرائض المالية ليتسنى للأدباء أن يتفرغوا للأدب خالصـــا دون هموم "سوق البصل"، وهو وعد نأمل استنجازه في أقرب وقت.

وصفوة القول: إن الأدب لن يزدهر إلا إذا تخلص من اعتبـــارات التجـــارة المفروضة عليه سواء من الناشرين أو من المجتمع نفسه .

***لو طلب منك أن ترشح الأدباء لجوائز الدولة التقديرية ، فمن ترشح ؟**

ـــ مع تسليمي بأن هذا افتراض مستحيل، فلا بأس مـــن أن أزكـــي **محمـــد عبدالغني حسن** للجائزة التقديرية لتكامل شخصية هذا الأديب الفذ الذي أعتقد أن منزلته هي الأولى في حياتنا الأدبية بعد عصر **العقاد** و**طه حسين**. **فعبد الغني حسن** شاعر، وباحث، وناقد، ومترجم، وكاتب سير، ومؤرخ، وعالم فقه ودين، ومحقـــق لكتب التراث، وهو من أكثر من أربعين عاما يواصل كفاحه بأشرف كلمة وأوثـــق تحقيق مع استقامة خلقية مثلى، وإسهام في الحياة الفكرية بأوسع نصيب.

وأرشح **علي أدهم** للجائزة التقديرية لأنه شارف قمة **العقاد**. وكان وما زال جامعا أتم جمع بين الثقافتين الغربية والعربية في عمق وبصر واستيعاب عظيم، كما أ.

ن **علي أدهم** عاش بدوره يمحض الأدب أرصن آثاره في أكثرمن أربعين سنة، تأليفا وترجمة، وبحثا وتسجيل سير.

وأرشح **محمد عبدالله عنان** للجائزة التقديرية لأنه أنشأ هرما ضخما من الدراسات الاجتماعية والتاريخية، وارتفع إلى أسنى القمم بموسوعاته الفذة عن الأدب الأندلسي والتاريخ الإسلامي، حتى بات المرجع الموثق لجميع الباحثين في الغرب قبل الشرق.

وأرشح إبراهيم المصري للجائزة التقديرية لأنه كان من الطلائع الأولى التي حملت إلى مصر آيات العرفان الحضاري من الغرب، ولأنه كان و لم يزل أمينا على مقدسات الأدب والفكر يرفدها بنظراته الإنسانية البصيرة، وآدابه الروائية الرفيعة، دون أن يحتكم إلى السوقية الرخيصة. وهو أديب عالمي بكل مقياس، ومثله قد تأخرت أسباب تكريمه، وتحالفت عليه أسباب الجحود بشراستها الضارية.

وأرشح محمود محمد شاكر للجائزة التقديرية، لأن هذا العالم الفذ قد وقف كل عمره على الحفاظ على تراث الضاد، وكأنه ديدبان شاكي السلاح يذب عن حياض الضاد كل متجهم أو متحرش أو متطاول. وأتصور بعين الخيال أن محمود شاكر يقيم في قلعة حصينة، في داخل أسوارها كل مقدسات الضاد، وهو الحارس اليقظ الذي يحمل تبعة مزدوجة، هي الدفاع المتصل عن التراث الذي هو به منوط، والتنبيش الدائم في هذا التراث لاستخراج مفاخره وإعلانها في كتاب محقق أو مقال مكتوب أومحاضرة ملقاة أو حديث مرتجل في ندوة أسماره التي يحج إليها الحجيج من ديارات العرب جميعا .

وإن المرء لتعروه الدهشة إذ يرى هذه القمة المسماة **محمود محمد شاكر** خافية عن عيون مجتمعه، إلا في ما يسيء. وقليلة على **محمود شاكر** عضوية المجامع، بل قليلة عليه جائزة التقدير،ولكن لسان الحق الذي تنطق به العدول من الخلق يدعو في

إلحاح إلى إنصاف هذا العالم الأستاذ الذي يجلس في محضره أكابر الباحثين وكـأنهم من تلاميذه النجبـاء، يطمع كل منهم في أن يحسب في عداد حوارييه. فكيف يجهل مجتمع الفكـر محمود شاكر؟. إن هذه لمأثمة كبرى لا يمحوها إلا التقدير يأتيه ساعيا من أعلى مقام.

وأرشح **محمد أبو الفضل إبراهيم** للجائزة التقديرية ولو لجـهده المفـرد في إخراج كتاب "الأغاني"، فكيف وكتب التراث التي حققها نيفت علـى الأربعـين كتابا، وتعددت أجزاء بعضها حتى وقعت في عشرة أجزاء بل أكثر.

إن هذا العالم الفذ الذي تجتمع على أطراف أصابعه حقائق الأدب وأعلامـه وآثارهم، وحقائق الدين ومفكريه ومناهجهم، هو من المفاخر المعاصرة الـتي ازداد التراث العربي بها مجدا ومؤازرة. وقد عكف **أبو الفضل إبراهيم** على استنباط الحقيقة العلمية المجردة من عشرات من المخطوطات، أجهد البصر والصحـة في قـراءة خطوطها، وتمييز معانيها، وكشف غوامضها، وجعل هذا التراث الملغز كتبا مقروءة مشروحة مخرجة خير تخريج، فيها من الفهارس ما يجعلها ميسرة أمام الباحثين.

إن رجلا حقق" تاريخ **الطبري**" و"الأغاني" لهو رجل عظيـم في الرجـال، ومكانه الحق في الصدارة الأولى من حياتنا الفكرية. فلا أقل من أن تواتيـه جوائـز التقدير معزية عن عناء الكفاح في دنيا المخطوطات.

وأرشح **حسن كامل الصيرفي** الشاعر الناقد، والمحقق المدقق، والمفكر الـذي أخصب دنيانا الأدبية في "المقتطف"، وفي "أبولـو"، وفي "المجلـة"، وفي "الكتـاب العربي"، والشاعر الذي تغنى للجمـال ودخل برومانسيته القلوب ومازال، والمحقق الذي بعث شعر **البحتري** بعثا، وانتهج منهجا فريدا في تحقيق الشعر الجاهلي أحدث به حدثا ثوريا في التحقيق.

إن **الصيرفي** بشعره ونثره وتحقيقه، وبسفارته بين أدباء الوطن والمهاجر والمستشرقين، وبريادته في الصحافة الأدبية، وبسمته العلمي الرصين، أهل لجوائز التقدير ولو تعددت.

وأرشح **محمود أبوالوفا** للجائزة التقديرية لامتيازه المطلق في ميدان الشعر وارتضائه مستوى رفيعا حرص عليه في جميع شعره، منفردا في قصائد، أو مجتمعا في ديوان. وإن الإنسانية الفريدة التي تشع من خلال شعر **أبي الوفا** ناشرة الحب والحنان في الأفئدة قبل الأذهان، لترشح **أبا الوفا** للخلود الآبد، حتى وإن غالطته في حياته أسباب النكران والكنود. ومن الظلم المفحش أن هذا الخالد العظيم يترك للأهمال، مع أنه أهل لكل تكريم إن لم يكن لشعره الملائكيِ الأنغام، فلشخصه الحافظ لجميع المفاخر الإنسانية.

وأرشح **مصطفى عبد اللطيف السحرتي** للجائزة التقديرية لأنه في ريادته للأدب قد أرسى للنقد أسسا قوامها الذوق والخلق والعمق والفن والأصالة والاستشراف الإنساني. ثم إنه قد احتضن الأدباء الشداة كأب عطوف، وكان شديد البر بهم في أبوته الأدبية. كما أنه عين نفسه راصدا دؤوبا للحياة الأدبية المعاصرة، فعرف بنسبة كبيرة من الكتب الأدبية الصادرة في نصف قرن، ونهض بالحركة الأدبية بجهده الأمين الذي بذله في إنشاء الجمعيات الأدبية وربطها بالهيئات الفكرية في البلاد العربية. وهو صاحب فضل على عشرات بل مئات من الوجوه الأدبية التي استقرت منازلها في حياتنا. وبهذا استحق **السحرتي** أن ينال تقدير المجتمع من أشرف مستوياته.

وأرشح **محمود البدوي** للجائزة التقديرية لأنه أبدع من كتب الأقصوصة في مصر، وأصدق من صور حياة الكادحين في الريف والحضر، وأعظم من جعل الفن

الصادق هدفا روائيا جميلا، وأجمل كتاب الأقصوصة بالمقارنة بالكتـــاب العـــالميين كتشيكوف.

إن **محمود البدوي** عاش للفن في غير ارتخاص، ومهر الفن القصصـــي أخلـــد روائعه محققا رسالة الفن الخالص لوجه الفن الخالص. فلم تغره ".سينما ولا المسارح بأضوائها وفلوسها، بل آمن بأن مهمته تبدأ وتنتهي بالإبداع القصصي يهديـــه إلى القارئين كتحفة متفردة في روعتها.

إن هذا الفنان العظيم الذي عرف المستشرقون قيمته دون إعلان أو دعاية أو جعجعة، قمين بأن ينال من أقوامه أعلى آيات التشريف ، ليزداد الناس إيمانا بـــالقيم والمثل وأسباب الشرف التي يمثلها الفن الأصيل **لمحمود البدوي** .

وأقول بين عضادتين إنني وإن كنت صديقا شخصيا لجميع الذين رشحتـــهم لتلك الجائزة، فقد راعيت في ذلك اعتبارات الحق والصدق والأمانة، وغلبتها علـــى اعتبارات الصداقة، على اعتزازي بها وولائي لها.

***ماهي أمنيتك للحياة الأدبية ؟**

ـــ أمنيتي هي أن تتميز الحياة الفكرية بالجد لا بالهزل، وبالأصالة لابالهوائيـــة، وبالصدق لا بالرياء، وبالشرف لا بالبهلوانيات، وبالحرية لا بنقيضها. فليكن الأدب خالصا للأدب، بريئا من الترهات العقائدية الفارغة حرا، حرا، حرا.

الحوار الثاني

*** عملت في بداية حياتك العملية في "المقتطف" التي مازلت تحمل لها الوفاء والتقدير، فهل ترى أن "المقتطف" كانت تمثل مدرسة فكرية متميزة؟**

-إن "المقتطف" يمثل جامعة لامدرسة ، بمعنى أنه كان دائرة معـــارف حيـــة يتناول كتابها موضوعات الاقتصاد والزراعة والطب واالأدب والشعر ومشكـــلات الاجتماع والمؤتمرات العلمية، هذا عدا أبواب الكتب الجديـــدة وســـير الأعـــلام،

ومساجلات القراء، وأخبار الحركة الفكرية في البلدان العربية والعالم. ولعلك تدهش إذ تعلم أن "المقتطف" كان في يومه رائجا في الريف بين المشتغلين بالزراعة، لأنه كان يقدم إلى القراء آخر التطورات في مستحدثات الآلات الزراعية، ومكافحة الآفات، وتربية النحل والبهائم، وما إلى ذلك من الموضوعات. وطبعي إذن أن تتسع هذه الجامعة لكل شيء حتى للآثار وتاريخها، بل حتى لموضوعات تحضير الأرواح، والتراسل الذهني، ولمغامرات الرحالة وصيادي الوحوش في الأدغال.

ولما كان معظم كتاب "المقتطف" من أهل العلم والمتطوعين وكلهم لا يشتغلون وظائف تحريرية مأجورة في المجلة، فقد تفاوتت أساليبهم ومناهجهم واتجاهاتهم، ولكنها جميعا تشترك في خصائص معينة هي الوضوح الكامل مهما كان الموضوع فيها شديد التعقيد، والحرص على اللغة العربية كأداة للتعبير حتى عن المصطلحات الأجنبية العلمية، ثم الحرية المطلقة في التعبير عن الآراء، باستثناء موضوعين كانت المجلة تتحاشاهما، هما الدين والسياسة.

وأعتقد أن هذه المجلة مازالت تحتفظ بجدية موضوعاتها إلى اليوم، وهي مرجع لاغنى عنه لأي دارس للحركة في البلاد العربية في القرن الأخير، وقد عمرت ٧٧ عاما.

*** في أول حياتك الأدبية ترجمت مسرحية "الأب" للأديب السويدي سترندبرج ، فلماذا لم تترجم مسرحيات أخرى وأنت صاحب أسلوب عذب ؟**

- إنني بعد تخرجي من الجامعة عام ١٩٤٢م لاحظت انعدام المكتبة المسرحية انعداما كاملا في الأدب العربي، كما لاحظت أن كبار المثقفين يجهلون روائع المسرح الغربي، فقررت أن أسد هذه الثغرة بادئا بمسرحية "الأب" التي ترجمتها في ثلاثة أيام عام ١٩٤٢م، ولم يتسن نشرها إلا عام ١٩٤٥م عندما اتصلت بلجنة النشر

للجامعيين ، أعضائها العاملين: **عبدالحميد جودة السحار، ونجيب محفوظ، وعادل كامل، وعلي أحمد باكثير.**

وثنيت بترجمة مسرحية "دعوى قذف" **لإدورد وول**، وحاولت نشرها في نفس السلسلة (سلسلة الجامعيين)، ولكن **السحار** ثبط همتي، وأفهمني أن المسرحيات للتمثيل لاللمطالعة، وطويتها ضمن أوراقي إلى هذا اليوم، و لم أحاول بعثها في ثلاثين سنة كاملة، وكنت قطعت شوطا في ترجمة مسرحية ثالثة عنوانها "الطريق المقفر" للمسرحي النمسوي **آرثر شنتزلر**، ولكنني نفضت منها اليدين زهدا في بضاعة لا سوق لها.

ومع أنه ظهرت بعد ذلك سلاسل جديدة للمسرحيات: واحدة أصدرتها وزارة الثقافة، وواحدة أصدرها **عبدالحليم البشلاوي**، وثالثة مازالت تصدر في الكويت، فلم أحاول طرق أي من هذه الأبواب.

***أنت صادقت معظم أدباء العالم العربي وراسلت الكثير منهم، فلماذا لاتنشر رسائل الراحلين منهم حتى تفيد تاريخ الأدب بنظراتهم وآرائهم، ولعلك اطلعت على مانشره صديقكم "نقولا يوسف" من رسائل عبد الرحمن شكري في مجلة "الأدب"، فقد أفاد منها كثير من الباحثين.**

-أخبرك أن لدي أطنانا من رسائل الأدباء تلقيتها منذ أكثر من ثلاثين سنة و لم يضع منها شيء. وصحيح أن **نقولا يوسف** نشر رسائل **عبد الرحمن شكري** في مجلة "الأدب"، كما أن الدكتور **فؤاد صروف** نشر رسائل **شكري** في مجلة "الأبحاث" البيروتية، ونشر **أحمد محمد عيش** رسائل **الزهاوي**، ونشرت كذلك رسائل **الرافعي** إلى الشيخ **محمود أبي رية**، ورسائل **مي وجبران**، و**مي ولطفي السيد**، ورسائل **أمين الريحاني**، ورسائل الأمير **شكيب أرسلان**، ورسائل **الحبيب بورقيبة** إلى **محمد علي الطاهر**، ورسائل الأب **الكرملي وأحمد تيمور** باشا، ورسائل

الشيخ **محمد رشيد رضا** ... وقد اطلعت على هذه الرسائل جميعا، وأغلبها تحـــت يدي، ولكن لي رأيا أعلنته غير مرة، وهو أن رسائل الأدباء من الخصوصيات الـــتي تعرض أصحابها لأشد الحرج في حالة نشـــرها كما أنها تسيء إســـاءات بالغـــة إلى كاتبيها، إذا كانو فيها صرحاء، و لم يكتموا ما في صدورهم، ولذا أرفض رفضا باتا نشر ما عندي من رسائل وقد جاءتني من أعلام معاصرين، ومن أعلام مفكري الأمة العربية، ومن جميع الطبقات، هذا مع العلم بأنني لو نشرت هذه الرسائل لدخلـــت تاريخ الأدب من أوسع أبوابه، لأن فيها من عبارات الثناء الموجهة إلي مـــا يجعلـــني كبيرا في نظر الناس. وحسبك أن تعرف أن من هذه الرسائل التي عندي ماجاءني من الأمير **مصطفى الشهابي**، و**سلامة موسى**، و**العقاد**، والشاعر **القروي**، و**إسمـــاعيل مظهر**، و**سيد قطـــب**، و**أحمد أمين**، و**فارس نمر** باشا، و**خليل ثابت** باشا، و**محمـــد علي علوبة** باشا، ومفتي فلسطين الأكبر الحاج **محمد أمين الحسيني**، ورئيس حكومة عموم فلسطين **أحمد حلمي** باشا، و**صالح حرب** باشا، والكتور **حافظ عفيفي** باشا، و**عادل زعيتر**، و**أكرم زعيتر**، و**قدري حافظ طوقان**، و**علي أدهم**، و**أبـــو ريـــة**، و**محمود أبوالوفا**، والشيخ **علي عبدالرازق** باشا، و**عبدالرحمـــن الرافعـــي** بـــك، و**عبدالقوي أحمـــد** باشا، و**حسين فهمي** بك، والدكتور **فؤاد صروف**، والدكتور **قسطنطين زريق**، و**محمد علي الطاهر**، و**بولس سلامة**، و**نزار قباني**، و**أمين نخلـــة**، و**محمد جميل بيهم**، و**نظير زيتون**، و**إلياس فرحات**، و**جورج صيـــدح**، و**إليـــاس وزكي قنصل**، و**أبو شادي**، والدكتور **فيليب حـــتي**، والمســـتشرق **جرمـــانوس**، والدكتور **أمير بقطر**، و**طاهر الطناحي**، و**عادل الغضبان**، و**إبراهيـــم المصـــري** ، وماشئت من أسماء الأحياء من الأدباء في مصر، والبلاد العربية، والمـــهاجر، وديـــار الاستشراق.

*** أخيرا .. لماذا أنت مقل في الكتابة هذه الأيام ؟**

ـــ إنني وإن كنت سيال القلم ـــ كما وصفني رئيس مجمع اللغة العربيـــة في دمشق ـــ فإنني أعد نفسي مقلا بالنسبة لما في ذهني من موضوعات أحـــب الكتابة فيها، ورغبـــات أشتاق إلى تنفيذها، ولكني مضطر إلى صرف نحو ١٠ ساعة يوميا في العمل المتصل برزقي، فلا يبقى لي بعد ذلك من الجهد أو الوقت أو صفاء البال ما تهون معه تأدية تبعات الأدب على الوحه الذي أحب.

الحوار الثالث

في العام ١٩٨٦م اختير الأستاذ **وديع فلسطين** عضوا مراسلا في مجمع اللغـــة العربية بدمشق، ولم ينشر هذا الخبر في صحيفة أو مجلة من التي يسيطر عليها أباطرة الثقافة في عصرنا الأنكد، وهم لا يعرفون شيئا عن الثقافـــة الحقيقيـــة، والمثقفـــين الحقيقيين، وربما هذا ما دعا الأديب الناقد الدكتور **حلمي محمد القـــاعود** إلى كتابة مقال بعنوان:" حين يأتي التكريم من خارج الحـــدود" (انظـــر الفصـــل الخـــامس "**شهادات**")، وقد أجريت هذا الحوار مع الأستاذ **وديع فلسطين**، بعد اختياره عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق، ونشرته **في مجلة "الرافعي" (طنطـــا)، العـــدد (٣)، السنة الرابعة، أغسطس ١٩٨٧:**

***لعلكم آخر من اختيروا لعضوية المجامع ، فهل لكم تعليق على ذلك ؟**

ـــ عضوية المجامع هي أعظم شرف يناله مشتغل بالحياة الأدبيـــة أوالفكريـــة أوالعلمية، لأن عضوية المجمع تقتصر على عدد معين لاتجاوزه، والأعضاء يختارون لا لمناصب سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية يمثلونها، بل لخصائص شخصيـــة تقدرهـــا المجامع دون أن تدخل فيها اعتبارات المجاملة أو اتجاهات السياســـة، ثم إن أعضـــاء المجامع ـــ الذين يوصفون عادة بالخالدين ـــ يحتفظون بعضويتهم فيها مدى الحياة، فلا يعزلون أو يجردون من شرف العضوية. وما دامت رسالة المجامع رسالة أدبيـــة

علمية فكرية خالصة تستهدف الحفاظ على تراث الأمة العربية ولغتها وحضارتها، والسعي إلى النهوض بالعلم وأسباب العمران والتكنولوجيا بما تصدره من معاجم وما تسكه من مصطلحات، فستظل المجامع بعيدة عن المعتركات السياسية وعن الانشغال بالقضايا اليومية الدارجة، فالمجامع حصون مشيدة لتحقيق مجد أمة العرب من الجوانب الفكرية العريضة ليظل اللسان العربي فصيحا بليغا معبرا أصدق تعبير عن جميع مقتضيات التقدم الحضاري في عصرنا وفي عصور كثيرة لما تأت.

وما دامت المجامع تشتغل بالتراث واللغة والعلوم والمعارف، فهي تنهض برسالة غير إقليمية تجمع عليها أمة العرب جميعا. فإن كان المجمع السوري سوريا في المقام الأول، فله من أعضائه المراسلين المنتشرين في جميع البلدان العربية وديارات الاستشراق مايجعل منه مجمعا عالميا، لأن الضاد والمعارف والعلوم عالمية في أساسها. وما يصدق على المجمع السوري يصدق على المجمع المصري، والمجمع الأردني، والمجمع العراقي، وعلى الأكاديمية المغربية. وهي وإن تكن هيئات مستقلة، فبينها من التعاون ومن العضويات المشتركة ما يكفل لها وحدة في الأهداف والمرامي والغايات، وإن اختلفت الوسائل. وهناك اتحاد عام يضم هذه المجامع لأنها مازالت على قدر كبير من الاستقلال الذاتي، وكل محب للضاد يأمل أن يزداد التلاحم بين المجامع العربية إلى أن تذوب شخصياتها الإقليمية في مجمع عربي قومي كبير، يضم صفوة الصفوة في عالمنا العربي المعاصر.

***اتصلت في فجر حياتك بمجلة "المقتطف" التي لم يعد أبناء هذا الجيل يعرفون عنها شيئا، فهل تحدثنا عن هذه المجلة ودورها في الحركة الفكرية في العالم العربي؟**

ـــ أنشئت مجلة " المقتطف" في بيروت عام ١٨٧٦م، وانتقلت إلى مصر في عام ١٨٨٤م، وظلت تصدر بصورة شهرية منتظمة إلى آخر عام ١٩٥٢م، أي أنها

عاشت سبعة وسبعين عاما، وكانت وقتها أطول المجلات العربية عمرا، وإن كانت "الهلال" واصلت السير حتى كادت أن تتم عامها المئة.

وكانت "المقتطف" طوال عمرها الممتد منبرا رصينا للعلوم والمعارف جميعا، كما شارك في تحريرها كبار العقول العربية في أكثر من ثلاثة أرباع قرن، عدا ما كانت تنشره من ترجمات عن المجلات العلمية المتخصصة لمسايرة التطورات في الميادين العلمية والصناعية والعمرانية.

أحص وجوه الأمة العربية فلن تجد منهم أحدا تخلف عن المساهمة في تحرير "المقتطف"، مثل: **أحمد شوقي**، والشيخ **محمد عبده**، والشيخ **جمال الدين الأفغاني**، و**خليل مطران**، و**شبلي شميل**، و**عباس محمود العقاد**، و**إبراهيم عبدالقادر المازني**، والشيخ **عبدالقادر المغربي**، والأمير **مصطفى الشهابي**، والفريق **أمين باشا المعلوف**، و**عيسى اسكندر المعلوف**، و**أحمد زكي أبو شادي**، والدكتور **فيليب حتي**، و**مصطفى صادق الرافعي**، وشيخ العروبة **أحمد زكي** باشا، و**ميخائيل نعيمة**، و**جميل صدقي الزهاوي**، والأب **أنستاس ماري الكرملي**، و**إيليا أبو ماضي**، و**علي محمود طه**، و**حافظ إبراهيم**، و**طه حسين**، و**سلامة موسى**، و**مي زيادة**، والأمير **شكيب أرسلان**، والدكتور **أمير بقطر**، و**لطفي السيد** باشا ... إلخ.

وقد أنشأ هذه المجلة أستاذان شابان يدرسان العلوم في جامعة بيروت الأمريكية لينشرا فيها خلاصة لما يطلعان عليه من بحوث علمية في المجلات الغربية المتخصصة. وحمل عددها الأول الصادر في مايو ١٨٧٦م عبارة "جريدة علمية صناعية" لمنشئيها: **يعقوب صروف** معلم الفلسفة الطبيعية والرياضيات و**فارس نمر المعهد** في المرصد ومعلم علم الهيئة واللاتيني في المدرسة الكلية السورية (وهو الاسم القديم لجامعة بيروت الأمريكية). ولكن المجلة لم تلبث أن اتسعت لبحوث أوسع نطاقا من مجرد "العلوم" و"الصناعة" ، مما أزعج السلطات العثمانية الحاكمة ، فنقلا

المجلة إلى القاهرة حيث وجدت ترحيبا من **شريف باشا** رئيس الوزراء، وأصدرا إلى جانب هذه المجلة الشهرية جريدة يومية اسمها "المقطم" في عام ١٨٨٨م.

وقد اختص الدكتور **يعقوب صروف** بتحرير مجلة " المقتطف"، في حين توافر زميله الدكتور **فارس نمر** باشا على تحرير"المقطم" . وتعاقب على تحرير "المقتطف" **يعقوب صروف**، ثم ابن أخيه **فؤاد صروف**، ثم الدكتور **بشر فارس**، **وإسماعيل مظهر**، **ونقولا الحداد**، وأخيرا **سبيرو جسري** الذي صحح اسمه إلى **سامي الجسري**.

ولو قلب القارئ مجموعة "المقتطف" الصادرة في (٧٧) عاما، أو حتى فهرسها المنشور في ثلاثة مجلدات ضخام، لتبين أن هذه المجلة الباذخة تناولت جميع قضايا العصرمن اقتصادية وأدبية وعلمية ومن نظريات سياسية وفلسفية ومذهبية، وأنها كانت سجلا عظيما لكل ما عمر به هذا العصر من مظاهر الإبداع الفكري والحضاري، وإليها يرجع الفضل في نشر أول معجم للفلك، وأول معجم للحيوان، ومعجم للنبات، وهي التي ترجمت نظرية أينشتين، ووصلت أدباء المهجر بأدباء الوطن المقيم. وكانت المجلة في كل تاريخها مجلة علمية رصينة، تجتنب المهاترات وترحب بالمناقشات الجادة، وإن كانت آلت على نفسها ألا تخوض في المسائل الدينية والمسائل السياسية (باستثناء النظريات السياسية) لتنأى بنفسها عن ميادين الجدل العقيم .

وقد عاصرت السنوات العشر الأخيرة من عمر "المقتطف"، وكنت من محرريها ومديريها المسؤولين، وكانت لنا في مقرها ندوة أسبوعية عمرت بوجوه كريمة من رجال الأدب والعلوم والفلسفة. وفي اعتقادي أن احتجاب "المقتطف" خسارة لاتعوض، وأن الدور الذي أدته في الحياة الثقافيةالعربية يحتاج إلى دراسة جادة.

ومن أسف أن ندوة المجلات العربية التي أقامتها مجلة "العربي" بمناسبة احتفالها بانقضاء ربع قرن على إصدارها قد شهدت أحكاما متسرعة جائرة على مجلة "المقتطف"، و لم ينبر أحد للرد عليها إنصافا للتاريخ الفكري لأمتي العربية.

***ما مشروعاتك الأدبية الحالية ؟**

ـــ المشروع الذي أتوافر عليه هو إخراج أربعة دواوين مخطوطة مات عنها المرحوم الدكتور **أحمد زكي أبو شادي** في أمريكا و لم تر النور منذ وفاته في[١٢ من أبريل] عام ١٩٥٥م، ويخشى عليها من الضياع. وقد تكرمت الأديبة **صفية أبو شادي** ابنة رائد جماعة ابولو، فوضعت تحت تصرفي النسخ الأصلية المخطوطة لهذه الدواوين، وقمت من ناحيتي، وفاء لهذا الصديق العظيم، بإعدادها للنشر مع هوامش رأيت ضرورة إثباتها من قبيل الإيضاح. وقد وفقت فعلا إلى إصدار أول هذه الدواوين وعنوانه " الإنسان الجديد"، وبقية الدواوين الأربعة تنتظر دورها لدخول المطبعة.

وفي المهاجر الشمالية والجنوبية في أمريكا عشرات من المخطوطات من دواوين الشعراء ومؤلفاتهم، وقد مات عنها أصحابها، وآلت إلى أبناء يجهلون العربية. فليت هيئاتنا الثقافية تنبري للاتصال بهؤلاء ومحاولة إنقاذ هذه الآثار قبل أن تتبدد إلى الأبد. وإذا كانت هيئاتنا الثقافية تعنى بتصوير المخطوطات المحفوظة في المكتبات العالمية، فأحرى بها أن تعنى بهذه المخطوطات التي آلت إلى من لا يعرفون قيمتها أو لغتها، والتي مصيرها المؤكد الضياع، إن لم تكن ضاعت فعلا.

القسم الثاني:

حوار مع وديع فلسطين ([18])

سعد العتيبي

(١)

يحار المرء عندما يود أن يقدم شخصية لها مكانتها الرفيعة في حياتنا الأدبية المُعاصرة، ذلكم هو الصحفي والأديب الأستاذ وديع فلسطين أحد الذين كانت لهم صولات وجولات في صحافة الأربعينيات من هذا القرن، فمن يتصفّح مجلدات "المقتطف" أو"الرسالة" أو"الأديب" سيجد أن الأستاذ وديع فلسطين كان من أبرز الكتاب وأغزرهم إنتاجا، كما شارك بمقالاته ودراساته في العديد من المجلات الأدبية والثقافية في مختلف أرجاء الوطن العربي، إضافة إلى ذلك فهو يتمتع بذاكرة عجيبة تستطيع أن تتذكر حوادث موغلة في القدم، وقد أطلق عليه أحد الأدباء لقب "سفير الأدب المعاصر"([19])، ويقول عنه صديقه الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي: "والوديع كاتب عملاق، واسع الثقافة، رحب الاطلاع، قلّما يصدر كتاب ذو بال في اللغة العربية أو الإنجليزية إلا ولديه عنه علم، أو له به اطلاع، أو عليه فيه نقد أو تعريف".

كما أنه يعد من أصدقاء العقاد الخُلّص، وفي هذا اللقاء سوف نعرف رأيه في الذين يُحاولون النيل من الأستاذ العقاد، كما سنعرف رأيه في قضايا وموضوعات

---

١٨ - نشر هذا الحوار في جريدة "المسائية" السعودية في العددين ٤٢٨٣، ٤٢٨٩ في ٢٦ مارس ١٩٩٦م، و٢ أبريل ١٩٩٦.

١٩ -هو الأديب وحيد الدين بهاء الدين، كما أشار الأستاذ وديع فلسطين في رسالته إلى المؤلف المؤرخة في ١٩٩٧/١٠/٢٥.

تشغل الساحة الثقافية. ومع أن الأستاذ وديع فلسطين لايسعى إلى الأضواء إلا أننا استطعنا أن نظفر منه بهذا اللقاء الثري، والذي خص به جريدة "المسائية".

والأستاذ وديع فلسطين من مواليد ١٩٢٣م في محافظة سوهاج بصعيد مصر، حصل من الجامعة الأمريكية بالقاهرة على درجة "البكالوريوس" في الأدب مع التخصص في الصحافة عام ١٩٤٢م، وعمل بعد تخرجه في إدارة جريدة الأهرام، ثم انتقل إلى جريدة "المقطم" حيث عمل في وظائف تحريرية مختلفة إلى أن اختير عضوا في مجلس تحرير وإدارة الجريدة ومعها مجلة "المقتطف"، وذلك إلى ما قبل إغلاقها عام ١٩٥٣م، رأس تحرير مجلة "الاقتصاد والمحاسبة" التي كان يصدرها نادي التجارة الملكي، قام بتدريس علوم الصحافة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة بين عامي ١٩٤٨-١٩٥٧م، أنشأ مع الشاعر الدكتور إبراهيم ناجي "رابطة الأدباء" عام ١٩٤٥م، اختير عضوا مراسلا لمجمعي اللغة العربية في دمشق وعمّان، وعمل مراسلا لمجلة "قافلة الزيت" السعودية، و"الأديب" البيروتية، وله أكثر من ستة عشر كتابا مطبوعا مابين تأليف وتحقيق وترجمة.

حصل على جائزة فاروق الأول للصحافة الشرقية عام ١٩٤٩م، ونيشان الاستحقاق المدني من طبقة كوماندور الممنوح من إسبانيا عام ١٩٥٢م.

***الأستاذ وديع فلسطين، متى بدأت مشوارك مع الكلمة؟**

-بدأت مشواري مع الكلمة منذ تخرجت من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٤٢م، وبيميني شهادة على أنني أحمل درجة البكالوريوس في الأدب مع التخصص في الصحافة، وهي شهادة لم يكن كثيرون يحملونها، لأن معاهد الصحافة في العالم العربي تأخر إنشاؤها، ولأن الصحافة في ذلك العهد كانت "صحافة اجتهاد" أكثر منها صحافة تأهيل جامعي في هذا التخصص بالذات. والواقع أنني جربت حظي في الكتابة حتى قبل التخرج لأنني نشرت وأنا طالب مقالات في جريدة "الدستور" اليومية، وفي مجلة "اللطائف المصورة" الأسبوعية، وفي مجلة "الطلبة" التي أصدرها

طلاب الجامعات في ذلك الوقت، كما أن جامعتي اختارتني رئيسا لتحرير مجلتها "القافلة" فتمرست فيها على الكتابة.

وكان السؤال الذي واجهني عند تخرجي هو: من أين أبدأ؟ فالتجارب العملية مازالت محدودة إن لم تكن منعدمة، وميادين الكتابة تُحتم الإجادة أسلوبا وموضوعا، وهو ما لايسعني فيه أن أُجاري فيه الفحول في ذلك الوقت، وثقافتي الأفرنجية جعلتني مبتدئا في فنون الأدب العربي، فالتمست جوابا على هذا السؤال في الترجمة، أي أن آخذ مقالا أو عملا أدبيا لكاتب غربي راسخ القدم فأنقله إلى اللغة العربية مجوِّدا في أسلوبي قدر المُستطاع، ثم أبعث به إلى المجلات الأدبية بالبريد موقعا بعبارة "بكالوريوس في الصحافة" لإحداث الأثر المطلوب في رؤساء التحرير. وكنت أخاف من مواجهتهم بنفسي خشية أن يروا في صغر سني ما يزهدهم في نشر مقالاتي. وهكذا نشرت في "رسالة " الزيات أول مقال لي عام ١٩٤٣م عن المسرحي النرويجي هنريك إبسن، ونشرت في مجلة "المقتطف" في السنة عينها أول قصة ترجمتها، وكان عنوانها "كف القرد"، وظللت أتوكا على الترجمة وعلى رخصة "البكالوريوس" عامين أو ثلاثة كنت في أثنائها أعكف على لغتي العربية بالإجادة والصقل، وأعكف على المُطالعات العربية حتى أُقيم مايُمكن أن أُسميه "بالبنية الأساسية" اللازمة لمن يشتغل بالصحافة ويطل منها على ميادين الأدب الفسيحة. ومع الوقت، ومع الجهد والمثابرة، أفلحت في الدخول إلى عالم كنت أهابه، وبت أطل بوجهي على رؤساء التحرير عوضا عن التوسل بالبريد إليهم.

***في أواسط الأربعينات عملت محررا في مجلة "المقتطف"، فكيف وجدت الفرق بين صحافة الأمس وصحافة اليوم؟ وهل لعبت "المقتطف" دوراً مهما في إثراء حياتنا الأدبية المُعاصرة؟**

-مجلة "المقتطف" التي صدرت أصلا في بيروت في عام ١٨٧٦م، ثم نقلت إلى القاهرة بعد ذلك سبقت في الصدور جريدة "المقطم" التي بدأ نشرها في القاهرة عام ١٨٨٨م بثلاثة عشرعاما. وكانت الأولى مجلة شهرية تعنى في المقام الأول بـــالعلوم والصناعة في حين كانت الثانية جريدة يومية مســائية جامعــة، تعــنى بالسياســة والاقتصاد والاجتماع والأدب، وكل ما تنشغل به جريـــدة سيارة من أمور الحيـــاة اليومية وأحداثها في الداخل والخارج.

وكانت المجلة والجريدة يصدران عن "دار المقتطـــف والمقطـــم" لأصحابهـــا الدكتور فارس نمر باشا والدكتور يعقوب صروف وشاهين مكـــاريوس. وعندمـــا عملت في هذه الدار في أول مارس ١٩٤٥م ـــ بعدما قضيت ثلاث سنين في جريدة "الأهرام" موظفا إداريا على رغبتي الشديدة في التحول إلى أقسام التحرير ـــ وجدت في الدار شيوخا أجلاء اكتسبوا خبرة عريضة في فنون الصحافة وميادينها، فـــهناك الدكتور فارس نمر باشا الباقي على قيد الحياة من مؤسسي الدار، وهناك خليل ثابت بك المدير العام للدار، وهناك الدكتور فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة "المقتطـــف"، وهناك كريم ثابت باشا رئيس تحرير "المقطم": هؤلاء الأعلام كانوا مدرسة حقيقية، وكل من عمل معهم استطاع أن يحصل من المعارف والتجـــارب وخـــبرة العمـــر الطويـــل مالا يستطيع تحصيله في سنوات مديدة، وكان أربعتهم يؤمنون بتواصـــل الأجيال، فكانو يحرصون دائما على نقل كل ما يعرفونه إلى مســـاعديهم، وذلـــك بتوجيههم الدائم، وتصويب أخطائهم، وتقديمهم إلى المسؤولين في الدولـــة لكـــي ييسروا لهم عملهم، و لم يكونوا يضنون عليهم بما يكسبهم القـــدرة علـــى تـــولي المســـؤوليات بأنفسهم متى اكتملت لهم أدواهم. كما كان لهؤلاء الشيوخ إشراف فعلي على كل صغيرة وكبيرة في الجريدة. بل إن خليل ثابت بك كان يقوم بنفســـه بتصحيح الإعلانات المبوبة والخطب الرسمية لكي يطمئن إلى خلوها مـــن أي خطـــأ

لغوي. فرسالة الصحافة عندهم كانت رسالة أمانة يتوخون بها تثقيف القارئ، وتهذيب ذوقه، وتعويده على سلامة اللغة، وتبصيره بالحقائق المجردة من الهوى.

وكانت جريدة "المقطم" هي الثانية من حيث طول العمر بعد جريدة "الأهرام"، ولما سألت الدكتور فارس نمر باشا لماذا أطلق على جريدته اسم جبل "المقطم" قال إنه أراد ان يوحي للقراء بأن جريدته هي الأصل، لأن الحجارة التي شُيدت بها أهرام الجيزة اقتطعت من جبل المقطم، ولم تكن بين الجريدتين منافسة؛ لأن "الأهرام" تصدر في الصباح، في حين أن "المقطم" تصدر بعد الظهر، ولكل منهما سوقها، وإن تكن سوقا واحدة تتمثل في موظفي الحكومة الذين يشترون "الأهرام" وهم ذاهبون إلى مكاتبهم في الصباح، ويشترون "المقطم" وهم منصرفون من مكاتبهم في الساعة الثانية بعد الظهر. وفي حين كان الاهتمام الأول "للأهرام" منصبا على الأخبار، فإن "المقطم" كانت تركز على شرح هذه الأخبار في مقالات الصدر الضافية التي كان يكتبها خليل تابت يوميا، وتظهر على الصفحة الأولى، وتُنشر ذيولها في الصفحات الداخلية.

أما مجلة "المقتطف" فكانت مجلة علمية في بدايتها، ولم تلبث أن صارت تُعالج جميع الموضوعات الفكرية، وتتسع للشعر وللقصص ونقد الكتب الأدبية، وتحاول إرضاء أذواق المثقفين أيا كانت اهتماماتهم، واجتذبت المجلة في تاريخها الطويل جميع أقلام الباحثين من أنحاء العالم العربي والمهاجر، وفهارسها المنشورة في ثلاثة مجلدات ضخمة تشهد على أن كل الأعلام في عمرها الذي امتد إلى ٧٧ عاما قد نشروا فيها نفثات أقلامهم.

وكانت صحافة تلك الأيام تُنضَّد إما بحروف منفصلة يتم جمعها من صندوق للحروف يضم المئات منها، وإما من آلات "اللينوتيب" التي أدخلت في مصر للمرة الأولى والتي كان لصاحب "الأهرام" جبرائيل تقلا باشا فضل إقناع شركات المطابع الألمانية بصنعها، بحيث تعمل من اليمين إلى اليسار لا العكس، وكان قد أعد نماذج

للحروف العربية لتقوم المصانع الألمانية بإحلالها محل الحروف الأفرنجية. اما المطابع نفسها فكانت سرعتها بالمقارنة بسرعة المطابع الحالية بطيئة. وانفردت مطبعة "المقطم" بإخراج الجريدة مطوية إلى ما يُعادل ربع الطية الآلية لمعظم الصحف، أي في مقاس كتاب سهل الحمل، وكانت لكل جريدة شخصيتها الخاصة، كما كان لكل كاتب أسلوبه الذي يتميز به؛ بحيث يستطيع القارئ أن يُميِّز أسلوب خليل ثابت عن أسلوب أنطون الجميل، وأسلوب عبدالقادر حمزة وأسلوب الدكتور محمد حسين هيكل باشا، في حين انتشر اليوم ما يمكن تسميته "بالأسلوب الصحفي" الذي يتعاطاه جميع الصحفيين، فتصعب التفرقة بين كاتب وكاتب.

والمؤكد أن الصحافة تقدمت اليوم في المجالات الفنية والطباعة، وفي سرعة انتقال الأخبار والاستعانة بالأقمار الصناعية في إعداد طبعات دولية وإقليمية، وهو ما لم تعرفه صحافة الأربعينيات والخمسينيات، فصارت الصحف اليوم امبراطوريات بالمقارنة بالصحف في النصف الأول من هذا القرن. أما التحدي الأكبر الذي يواجه الصحافة اليوم فهو أن تكون صحافة مستقلة لاصحافة تابعة، وأن تُدرك أننا في عالم مكشوف لاتخفى فيه خافية، وأن تتوافر أساسا على خدمة القارئ ورعاية مصالحه، وتمكينه من رفع صوته تعبيرا عن رأي ارتآه، أو شكوى من جور لحق به.

وفيما يتعلق بمجلة "المقتطف" التي يسمونها "بشيخة المجلات" فقد حملت راية العلم والعرفان سبعة وسبعين عاما، وكان البعض يصفها "بالمجلة الأستاذ" لأنها وسعت جميع علوم العصر، ولم تضق بفن من الفنون، وإن حرصت على اجتناب كل ما يتناول العقائد وكل ما يتنافى مع الأخلاق، حتى رفض أصحاب "المقتطف والمقطم" نشر الإعلانات "المجزية ماديا" عن الخمور، حرصا منهم على مكارم الأخلاق، كما أن "المقتطف" لم تحاول أبدا الترخص في الموضوعات التي تعالجها، فقد تكتب عن السينما باعتبارها صناعةً وتطوراً تكنولوجيا، ولكنها لا تعنى بالمشتغلين بالسينما من ممثلين وممثلات بالغة ما بلغت شهرتهم، كما أنها قد تُعرِّف

بالمذاهب السياسية ـــ ولكنها لاتُروّج لأي منها ـــ وتوضح مزايا وعيـــوب كـــل مذهب.

لقد كانت المجلة سجلا أمينا للعصر بعلومه وفنونه ومكتشفاته وآرائه وأعلامه وفلسفته. ولعل هذه الجدية الصارمة هي التي قضت على المجلة في ديســمبر ١٩٥٣م بعدما زحفت التيارات السوقية فأطاحت معـــها بمجـــلات "الرســـالة" للزيـــات، و"الكاتب المصري" لطه حسين، و"الكتاب" لعادل الغضبان، و"الثقافة" لأحمد أمين، و"مجلة علم النفس" ليوسف مراد، وبئست هذه السوقية!

***بعد عودتك مؤخرا للكتابة كيف وجدت صدى كتاباتك؟**

-يُفهم من هذا السؤال أنني كنت محتجبا عن الكتابة وأنـــني عـــدتُ إليـــها مؤخرا. وواقع الأمر أنني لم أحتجب عن الكتابة يوما واحدا منذ ما حملت القلم وإلى يوم الناس هذا. وإذا كنت أملك أن اكتب في الوقت الذي أرتئيه، فـــإنني لاأملـــك وسائل النشر لأنها في أيدي أقوام آخرين. وهـــؤلاء يتحكمـــون في النشـــر وفقـــا لاعتبارات لاأملك من أمرها شيئا، فقد يُرجئون النشر شهورا بـــل أعوامـــا، وقـــد يرفضون النشر بعذر "دبلوماسي" أو بدون عذر، كما أنهم يقيسون قامة الكتـــاب بمقاييسهم هم، ورأيهم هو الأمر النافذ، وإذا كنت ممن يدينون بقول الشاعر:

عَرضنا أنفساً عزَّتْ علينـــا   عليكم ، فاستخفَّ بها الهَوانُ

ولوْ أنَّا حفِظْناها لعَـــزَّتْ   ولكـــنْ كلُّ معروضٍ مُهـــانُ

ولعل "العودة" التي يُشير إليها السائل هي اســـتئنافي لكتابـــة "الأحـــاديث المستطردة" عن الأعلام الذين عرفتهم، والتي بدأتها في مجلة "الأديب" اللبنانية منـــذ خمسة وعشرين عاما، والتي صارت تُنشر في جريدة "الحياة" اليومية التي تصـــدر في لندن، وقد استأنفت كتابتها نزولا على رغبة هذه الجريدة المحترمة وترحيبا بـــالحيز العريض في صفحاتها الذي أتاحتـــه لي، وليس من باب التفاخر أن أذكر أن أستاذنا

العلامة الكبير الدكتور صلاح الدين المنجد، منشئ معهد المخطوطات في الجامعة العربية قد أخبرني بأنه يحتفظ بملف يضم هذه الأحاديث المستطردة، وهي شهادة تفوق عندي كل نياشين الدنيا وجوائزها.

ولعل العودة التي يعنيها السائل هي صدور كتابين لي في الأوان الأخير، أحدهما طبعة ثالثة من كتابي القديم "قضايا الفكر في الأدب المعاصر" وقد نشرتها دار الجديد في لبنان، والثاني كتاب "مختارات من الشعر العربي المعاصر وكلام في الشعر"، وقد نشرته لي دار "الأهرام" عن مركزها للترجمة والنشر، والكتابان حصيلة مطالعات كثيرة في الأدب المعاصر ظلت حبيسة في الصدر إلى أن أُتيحت لها فرصة الظهور بمبادرة كريمة من الدارين الناشرتين، ولولا هذه المبادرة لظلت هذه الحصيلة حبيسة مع سواها مما لم تتح له أسباب النشر.

ومما يُؤسف له أن معظم الناشرين قد انحسر نشاطهم في النشر لاعتبارات شتى، منها ارتفاع تكاليف النشر، وما يُصاحب ذلك من ارتفاع أسعار الكتب فيتعذر على طالبيها شراؤها، ومنها العقبات التي تعترض تسويق الكتب في البلاد العربية؛ ومنها الرسوم والضرائب المفروضة على عمليات تجهيز الكتب ومستلزماتها. ولو أنك طفت بكتاب تريد نشره على دور النشر المختلفة لقوبلت بالصدِّ حتى دون معرفة موضوع الكتاب، حتى لقد شكا لي أدباء كبار مثل محمد عبدالغني حسن وعلي أدهم وحسن كامل الصيرفي ــ رحمهم الله ــ بأنهم لايجدون لكتبهم ناشرا.

***ماذا عن كتاب "مختارات من الشعر العربي المعاصر وكلام في الشعر"؟**

-في محاولة من مركز الأهرام للترجمة والنشر لتحقيق التواصل والألفة بين الأدباء العرب، أصدر من نحو عامين كتابا يضم مختارات من القصص كتبها أدباء من جميع البلدان العربية، وقدم لها أستاذنا الدكتور الطاهر أحمد مكي، وإزاء نجاح هذه التجربة ارتأى المركز إصدار كتاب يضم مختارات من الشعر المُعاصر من جميع الأقطار العربية، وأُسندت إليّ مهمة إعداده، فانصرفت إلى مراجعة بضع مئات من

دواوين الشعر لعدد كبير من شعراء البلدان العربية لانتقاء القصائد الملائمة، وإني راعيت فيها عدة اعتبارات هي: تنوع الأغراض، وتباين الشعراء من حيث انتماءاتهم، وتمثيل جميع البلدان العربية — إن كان هذا مُستطاعا —. وبعد اختيار القصائد ترجمت لكل شاعر ترجمة موجزة، ثم علقت على كل قصيدة مُنتقاة وفقا لذوقي الخاص، ثم أعددت للكتاب مقدمة تبين رأيي في الشعر، وهو رأي يرفض كل ما خرج على نواميس الخليل تحت أي أسماء أو مسميات؛ فإذا أنت أردت أن تلعب كرة القدم — مثلا — فللكرة قواعد لابد من احترامها، وإلا أُخرجت من ساحة اللعب. فلماذا تستباح إذن قواعد الشعر بدعوى التجديد أو الحداثة أو الإبداع؟

ولإعطاء فكرة عن الكتاب، أورد بعض الأرقام المتعلقة به: فهو يقع في ٤٠٠ صفحة، وفيه نماذج شعرية لخمسة وثلاثين شاعرا من ١٩ بلدا عربيا، ويضم النص الكامل لمئة واثنتي عشرة ١١٢ قصيدة، مع تعليق على كل منها.

ومع أنني عرفت شخصيا عددا غير قليل من شعراء المملكة العربية السعودية فقد وقع اختياري على الشاعر أحمد سالم باعطب لأنه يمثل صوتا جديدا متميزا، وإن لم أعرفه شخصيا.

***ماالفرق بين الترجمة والتعريب؟ وهل تعتقد أن الترجمة تراجعت في الوقت الحاضر؟**

-الترجمة هي نقل نص من لغة إلى لغة أخرى بحرفيته.أما التعريب فهو في الألفاظ، يعني إسباغ ثوب عربي على لفظة أجنبية، كتعريب لفظة "ستالايت" وتعني القمر الصناعي إلى "سواتل".

والتعريب في النصوص هو أن آخذ مسرحية أجنبية مثلا وأستبدل بشخوصها الأجانب شخوصا عربية وأغير أسماء المواقع والمدن إلى أسماء عربية، وأصوغ الحوار صياغة عربية لايشترط فيها أن تطابق النص الإفرنجي، والمسرحيات التي يقال عنها

مقتبسة" هي في حقيقة الأمر مُعرَّبة، أي أسبغ عليها طابع عربي بعد تجريدها من كل ما يدل على أصلها الإفرنجي.

ولا ريب في أن الترجمة تُعاني من ردة الآن بعد أن كانت مزدهرة في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن. وقد يُقال إن سبب انحسار الترجمة هو أن كثرة من القراء باتت تُجيد اللغات الأجنبية، وآثرت بالتالي قراءة النصوص الإفرنجية عن النصوص المنقولة إلى اللغة العربية. وهذا القول ليس صحيحا على إطلاقه، لأن الكثرة الكاثرة من القراء تعتمد أساسا على الكتاب العربي لا الإفرنجي الذي ارتفع سعره ارتفاعا شاهقا، وكانت سوقه تقتصر على طلاب الجامعات وأساتذها لاسيما في فروع الطب والعلوم وغيرهما من المواد التي مازالت تدرس باللغة الإنجليزية. وقد مرَّ علينا وقت كان فيه أساتذة وقفوا كل عمرهم على الترجمة، مثل محمد بدران في مصر، وعادل زعيتر في فلسطين، ومنير البعلبكي في لبنان، وكانت هناك مؤسسات متخصصة في ترجمة الكتب مثل مؤسسة فرنكلين، ومشروع "الألف كتاب" في إصداره الأول، وكان هناك مترجمون أفذاذ يُقبلون على الترجمة باعتبارها رسالة حيوية مثل: فؤاد صروف، وزكي نجيب محمود، وعلي أدهم، وإبراهيم زكي خورشيد، ودريني خشبة، وفؤاد أندراوس، ومحمد عوض محمد .. وغيرهم. ولكن هذه الطبقة الراقية انقرضت وتركت فراغا ضخما في دُنيا الترجمة.

وقد جد اعتبار جديد أسهم في انحسار حركة الترجمة الأدبية والعلمية، وهو انفتاح الأبواب على كل مصاريعها للترجمات التجارية أو الوثائقية أو القانونية الخاصة بالمُعاملات في دنيا المال والأعمال، وقضايا التحكيم وما إليها، فاجتذبت هذه الأعمال بما فيها منظمات الأمم المتحدة جملة كبيرة من الذين يُجيدون الترجمة، ووجدوا في جزائها المادي المعجل مالا يُقارن بأي جزاء يتقاضونه من ترجمة

شكسبير، فحدث بسبب ذلك تفريغ للطاقة المترجمة التي كان يمكن حشدها في نقل الكتب الأدبية والعلمية.

وهناك اعتقاد خاطئ أن من يعرف لغتين يستطيع الترجمة من لغة إلى الأخرى، ذلك لأن الترجمة ليست عملا آليا يجتهد في أدائه كل صاحب لسانين، بل إن الترجمة علم وفن له قواعده وأصوله وله بالتالي خبراؤه الذين تمرسوا فيه طويلا على أيـــدي مشرفين وأساتذة كبار حتى استقامت لهم أدواتهم. أقول هذا من واقع التجربة؛ فقد طلب إلي ذات مرة أن أراجع نصا طبيا ترجمه طبيب متخصــص يجيــد اللغتــين الإنجليزية والعربية، فألفيته معيبا أشد العيب، واضطررت إلى صياغته من جديد بعد إبقاء المصطلحات الطبية دون تغيير.

وإذا عرفنا أن الكتب الجديدة التي تصدر في فروع المعرفة باللغات المختلفـــة تصل إلى عشرات الآلاف في كل سنة، عرفنا مدى ضخامة المهمة التي يتعين النهوض بها إذا ما أريدت ملاحقة هذا الحجم الهائل من ثمرات المطابع.

(٢)

***ما رأيك في الرسائل الأدبية؟**

-الرسائل — سواء أكانت أدبية أم غير أدبية — هي "مكاتيب" يتبادلها الناس لغاية معينة؛ فالرسالة التي يوجهها أب إلى ابنه الغائب تمثل لهفة هذا الأب على أخبار ابنه، ونصائحه له، وتشتمل على أخبار الأسرة وزملائه. والرسالة التي يوجهها رجل أعمال إلى شركة أو مصرف هي رسالة تقضى بها المصالح، وبعضـــها يــترجم إلى الملايين من الدولارات، والرسالة التي يوجهها حبيب إلى حبيبته هي وعاء للتعبير عن مشاعره تجاه صاحبته، يبثها فيها كل لواعج قلبه، والرسائل التي يتبادلها الأدبـــاء — وهم بشر كأصحاب الرسائل التي تقدمت الإشارة إليهم — يراد بها التعـــارف، أو تبادل الرأي في قضايا الأدب، أو نقل الأخبار الأدبية، أو استيضاح أمر، أو طلـــب المشورة في إعداد بحث، وهلم جرا.

ولا تخلو هذه الرسائل ـــ طبعا ـــ من أمور شخصية، تتوقف درجة المُصارحة فيها على مـــدى مابين الطرفين من وُثقى الصلات. والرسائل الأدبية ـــ شأنها شأن الرسائل الأخرى ـــ تُرتجل ارتجالا، فهي ليست مقالا معدا للنشر يتعين على كاتبه أن يُراجعه مرة واثنتين وربما أكثر تداركُا لأي عيب أو نقص فيه، وإنمـــا هـــي كـــلام مُرسل، ومفروض ألا يخرج عن دائرة صاحبيه (المُرسل والمستقبِل).

ولا ريب في أن للرسائل بجميع أنواعها خصوصية مطلقة، بحيـــث لا يصـــح التلصص عليها، أو الاطلاع على فحواهـــا، إلا إذا سمحت بذلك طبيعتها. ولا تخلو الرسائل الأدبية من هذه الخصوصية التي يتحتم معها إبقاؤها في الدائرة المحصورة بين صاحبيها ولاسيما لأن ذيوعها قد يسيء إلى طرفيها أو إلى الأشخاص الذيـــن تـــرد أسماؤهم في هذه الرسائل.

ولهذا كله كنت ومازلت أعتقد أن من الأصوب إبقاء هذه الرسائل الأدبية ـــ إن وُجدت ـــ طي الكتمان، فلا يُؤذن بنشرها بدعوى خدمة الأدب، أو للاستعانة بها في تفسير أو تعليل بعض الظواهر الأدبية. وعندما نشر صديقي الشيخ محمود أبو ريّة "رسائل الرافعي" في طبعتها الأولى، اضطـــر إلى استبعاد بعض الرســـائل، وإلى إخفـــاء بعض الأسماء التي وردت في سياقها، حتى لا يتأذى من نشرها مـــن وردت أسماؤهم فيها. وعندما حان موعد نشر الطبعة الثانية كانت دواعي الحرج قد زالت، فنشر أبو ريّة كل ما لديه من رسائل، حتى ما كان استبعده أصلا، ثم وضع الأسمـــاء في مواضعها دون حذف. وهو مايؤكد أن أبا ريّة استشعر حرجا شديداً وهو ينشر هذه الرسائل، وإن كان انتهى قراره إلى نشرها ناقصة ثم كاملة.

وفي اعتقادي أن قيمة الرسائل الأدبية ـــ إن كانت لها قيمة ـــ هـــي قيمـــة ثانوية جدا، بحيث يصعب استخلاص نتائج منها تُفيد الأدب أو تاريخـــه، أو تلقـــي أضـــواء جديدة على شخصيات كتابها. والرســـائل تختلـــف عـــن المذكـــرات أو

اليوميـــات التي يكتبها صاحبها، فهذه يجوز نشرها إن كانت ذات قيمة حقيقيــــة، وإن لم يكن فيها ما يسيء إلى أشخاص أحياء.

وصفوة القول إنني مافتئت أرى أن تدفن رسائل الأدباء بإكرام، وألا يعتبر ما نشر منها وثيقة أدبية أو تاريخية يعول عليها.

***احتفل مجمع اللغة العربية بدمشق ــ وأنت عضو مراسل به ــ بيوبيلــــه الماسي في أواخر شهر نوفمبر الماضي (١٩٩٥م)، فهل لك أن تحدثنا عن هـــــذه المناسبة؟**

-اليوبيل الماسي هو انقضاء ٧٥ عاما على إنشاء هذا المجمع الموقر على يدي العلامة محمد كرد علي في عام ١٩١٩م، وهذه مناسبة لاتتكرر في حياة الأفراد وإن كان يرجى أن تتكرر في حياة المجامع. ومجمع دمشق يلقب "بأبي المجامع العربية"، لأنه سبـــق إلى الوجود جميع المجامع الغربية الأخرى في مصر والعراق والأردن وتونـــس والمغرب والسودان وفلسطين.

وقد ارتأى مجمع دمشق برئاسة الدكتور شاكر الفحام أن يحتفل بهذا العيــــد الماسي احتفالا أكاديميا وشعبيا أيضا يليق بهذه المناسبة الفريدة، فدعـــا إلى احتفـــال حظي بالرعاية السامية للرئيس حافظ الأســـد، وشارك فيه ممثلون من معظم البلدان العربية، ولوحظ تخلف ممثلي العـــراق والأردن ربما لأسباب غير مجمعيـــة، وعقـــد المجمع في عيده جلسات صباحية ومسائية تعاقب فيها المحدثون حول المحاور الرئيسية التي تم تحديدها سلفا، وكلها تعنى بالأوضـــــاع المجمعيـــة في المـــاضي والحـــاضر والمستقبل، والتحديات التي تواجه المجامع في القرن المقبل.

وأقيمت هذه الندوات في القاعة الكبرى بمكتبة الأسد، وكانت الدعوة إليـــها عامة، فشارك فيها جمهور غفير من عشاق الثقافة من الجنسين إسباغا للطابع الشعبي فضلا عن الأكاديمي على هذه المناسبة الفريدة.

ولوحظ في الأحاديث الجانبية التي دارت بين وفود المشاركين أن هناك بلدانا عربية لم تزل تفتقر إلى قيام مجامع فيها، على الرغم من أن لديها قاعدة كبيرة من رجال العلم والأدب يستطاع بحشدهم تكوين نواة لمشروع مجمعي، وقد أبديت للزملاء في هذه الأحاديث الجانبية دهشتي لأن السعودية مثلا قد تأخر قيام مجمع لغوي فيها على الرغم من أن فيها كوكبة كبيرة من قادة الفكر، مثل: حمد الجاسر، وعبدالله بلخير، وعبدالله عبد الجبار، ومحمد حسن فقي، وعبدالعزيز الخويطر، وأحمد الضبيب، وعبدالله حمد الحقيل، وحسن عبدالله القرشي، وعلي عبدالله الدفاع، ومحمود عارف، وعبدالله بن إدريس، وعبده يماني، وغازي القصيبي، وفؤاد عبدالسلام فارسي، وعبدالله بن خميس، وعزيز ضياء، وعبدالله العثيمين، وعبد العزيز التويجري، وعبدالمقصود خوجة. ولاريب في أن قيام مجمع سعودي على أكتاف هؤلاء العلماء يمثل خطوة واسعة في سبيل النهوض بلغة الضاد ومشاركة المجامع اللغوية الأخرى في أعمالها الرامية إلى سك المصطلحات العلمية وتوحيدها، ومعالجة قضايا اللغة العربية، وتحقيق كتب التراث، وغير ذلك من الأنشطة المجمعية.

***هل بقي شيء عن العقاد ــ بعد انقضاء ثلاثين عاما على وفاته ــ مازال مجهولا للناس؟**

-كثيرون تناولوا العقاد بعد وفاته ممن كانوا على اتصال وثيق به؛ فظهرت كتب وفصول لمحمد خليفة التونسي، وطاهر الجبلاوي، والعوضي الوكيل، وعامر العقاد، وأنيس منصور، عدا المسلسل التليفزيوني الذي أساء إلى العقاد أعظم إساءة. وكأنما كان هناك سباق بين حواريي العقاد على ظهور كل منهم بمظهر الأقرب للعقاد من سواه والأكثر وقوفا على أسراره وحياته الشخصية من جميع الذين عرفوه.

والعقاد الذي كان يوصف بالكاتب الجبار والعملاق، هو إنسان يسري عليه ما يسري على أي إنسان آخر من حب وبغض، وفرح وحزن، ونجاح وفشل، وصحة ومرض، وهلم جرا.

وليس من الصواب أن يركز كاتب على ناحية من نواحي العقاد ليرسم لـــــه صورة، هي بالتأكيد صورة شائهة، في أذهان القراء. فالتركيز مثلا على "غراميـــات العقـــاد" فيه ظلم شديد لهذا الكاتب العبقري الذي أخرج من نفائس الكتب أكثر من عدد سني عمره. فلسنا ننكـــر أن في حياة العقاد "غراميات"، ولعل عددا مـــن الذين كتبوا عنه كانت لهم بدورهم "غراميات". ولكن الإلحاح في هـــذا الجـــانب، والتوسع في إيراد أسماء النســـاء اللائي عرفهن العقاد، هـــو في اعتقـــادي ابتـــذال لايصح، مهما قيل من أن الحياة الشخصية للأدباء هي حياة عامة مباحـــة أســـرارها للكافة.

فإن كان هناك شيء مازال خافيا في حياة العقاد ولا يعرفه الناس عنه، فـــإنني أوثر بقاء هذا الشيء مطويا حتى لايساء إلى هذا العملاق بأكثر مما أسيء إليه. فلنقل لعارفي الأسرار الحقيقيين أو المزيفين: اتقوا الله في الحديث عن أعلامنا، واتركوا الناس يستشفون صورهم من كتاباتهم وآثارهم المنشورة، أو فلنقل لهم: من كان بيته مـــن زجاج فلا يرمي التاس بالحجارة!

واليوم يتعرض بيت العقاد للهدم، والقضايا تتداول في المحاكم لإخلاء البيـــت من ساكنيه بعد وفاة عامر العقاد وزوجته، وإقامة ناطحة سحاب في مكانـــه. أمـــا مشروعات تحويل البيت — بعد ترميمه — إلى متحف للعقاد، فـــهي مشروعـــات يسمع عنها ولا يرى منها شيء عملي.

وإن الباقين على قيد الحياة من أصدقاء العقاد — وهم قلـــة — ليأســـون لأن الرجل العظيم لايكاد يكون مذكورا في حياتنا اليومية باستثناء ذلك الشارع العريض الذي أطلق عليه اسم العقاد في مدينة نصر، وانتشرت فيه المتاجر الضخمة فطغـــت شهرتها على شهرة العقاد. ولو سئل الناس اليوم عما يعرفونه عن العقاد لقالوا إنـــه الشارع الذي يقع فيه متجر كذا، أو مطعم كذا، أومحل أحذية كذا.

***في الذكرى السنوية الثانية لرحيل الأديب عبد العزيز الرفاعي، ماذكرياتك عنه؟**

-كنت في السبعينيات أنشر سلسلة من المقالات في مجلة "الأديب" اللبنانية عن "الأدب والأحذية"، وهي سلسلة امتدت ست سنين تقريبا، وكنت في أثنائها أنبش في دواوين الشعراء وكتب النثر عن نوادر تدور حول الأحذية أو إشارات إليها على ألسنة الشعراء. وكنت وقتها أتلقى تعليقات كثيرة من أدباء أعرفهم أو أجهلهم، وكل منهم يرفدني بما وقع عليه من سير الأحذية في الكتب، وكان مما تلقيته نسخة من كتاب "فارس مدينة القنطرة" لصديقي القاص السوري الكبير عبدالسلام العجيلي مهداة لا منه بل من عبدالعزيز الرفاعي مع تنبيه بمراجعة أقصوصة عنوانها "مذاق النعل"، فكانت تلك بادرة أولى من الرفاعي توالت بعدها هداياه من سلسلة "المكتبة الصغيرة" ومطبوعات دار الرفاعي. وكان طبيعيا أن أتجاوب مع هذا .. يحي بالرسائل المنتظمة التي وقفت منها على سعة اطلاعه وعلى ما اتصف ..لاق كأخلاق النبلاء.

أما اللقاء الأول معه فكان من ترتيب المصادفات الجميلة إذ دخلت مكتبة في القاهرة لانتقاء بعض الكتب، فصادفت فيها الشيخ عبدالقدوس الأنصاري والأستاذ أحمد الملائكة، وكنت أعرفهما فتبادلت التحية معهما، أما الشخص الثالث الذي كان يرافقهما فلم أعرف هويته. فبادر الأنصاري بتقديمه إلي، وكان عبدالعزيز الرفاعي. فتعانقنا ثم تبادلنا حديثا موجزا وذلك لارتباط كل منا بمواعيد، وحدث بعد ذلك أن الأديب عزيز ضياء قرأ مقالا لي في مجلة "عالم الكتب" السعودية فعلق عليه في جريدة "عكاظ"، وتساءل في بدايته عما إذا كنت فلسطينيا كما يوحي اسمي بذلك، وبادر الرفاعي بالرد عليه بكلمة كريمة في نفس الجريدة عنوانها: "وديع فلسطين ليس فلسطينيا"، روى فيها قصة هذا اللقاء الأول معه ومع الأنصاري والملائكة.

وتواصل البريد بيننا دون توقف حتى وهو يصطاف في أسبانيا أو هو يعالج في الولايات المتحدة، بل لقد هاتفني من أسبانيا للاطمئنان على أحوالي أثر الزلزال المدمر الذي أصاب مصر، كما تفضل بكتابة كلمة أخرى عني في مجلة "الفيصل" أجترئ فيها موازنة بيني وبين الدكتور زكي مبارك على ما بيننا من بون شاسع.*

وكان من دواعي سروري أن أعلم بأنه اختير عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لأن من شأن هذا أن يتيح لنا فرصا سنوية للقاء بمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي للمجمع الذي يشهده الأعضاء المراسلون، ولكن العمر لم يسمح له إلا بحضور مؤتمر وحيد قبل عامين تماما، وأصر يومها على أن أزوره في الفندق حيث جمعتنا جلسة جميلة مع أستاذنا الدكتور بدوي طبانة والصديقين العزيزين الدكتور يوسف عزالدين والدكتور إبراهيم السامرائي. ولما هممت بالانصراف أصر الرفاعي على أن يكمل الجلسة في مطعم الفندق، فأكلنا معا "عيشا ولحما" كما نقول في لغتنا اليومية تأكيدا لأواصر الأخوة والصداقة بين "الآكلين".

وإذا كنت قد ألمعت إلى مكرمات فاضت بها أريحية الرفاعي تجاهي، فقد أبديت له دهشتي من أنه يحرم نفسه من مكرماته، بل يظلمها ظلما شديدا، فقد كان ضنينا بنشر كتبه مؤثرا عليها كتب سواه، وكان يتواضع في الحديث عن كتبه فيسميها "محاولات". أما وقد آلت دارالرفاعي إلى نجليه علاء وعمار، فلعلهما يبادران بإخراج المخطوط من آثار الرفاعي ويحرصان على التقاليد الطيبة التي وضعها في انتقاء الكتب ونشرها، فالسمعة الطيبة التي كان الرفاعي يتمتع بها على الصعيد العربي كله هي تراث يحسن بالنجلين الكريمين أن يحافظا عليه وفاء لأبيهما وتشبها به.

وأعرف من مبرات الرفاعي ما أوثر كتمان خبره، فقد كان جوادا يذكرنا بحاتم الطائي، وإن كان جوده قد ترامى إلى ماوراء البحار.

ولا أظنني مغاليا إذا قلت إن عبدالعزيز الرفاعي كان بشخصه مؤسسة أدبيـــة خيرية بلا حدود، وقد بكينا بفقده كثيرا من الفضائل التي اجتمعت لديه وحببته لمن عرفوه عن قرب ولمن لم يعرفوه، وكذا يكون الرجال العظام.

وديع فلسطين في عيون الشعراء

ما أكثر الشعراء من أعلام عصرنا الذين كتبوا أشعاراً مهداة إلى سفير الأدباء وديع فلسطين. لقد عرفوا سجاياه الخلقية العالية، وأخلاقه الرفيعة، وأسلوبه الأدبي الرصين فكتبوا إليه القصائد ذاكرين أيامهم الجميلة معه، وواصفين مايلاقيه في حياته من تجاهل وتصامم.

وإذا قلّبنا مجلدات "الأديب"، أو "الضاد"، أو "الإخاء" فسنجد عشرات القصائد المكتوبة عنه، وله. ومن الذين أهدوا قصائدهم له: **جورج صيدح، وزكي قنصل، ومحمد عبدالغني حسن، ونعمه الحاج، وزكي المحاسني** ... غيرهم.

وقد كتب الشاعر المهجري الكبير الراحل **جورج صيدح** (١٨٩٣ ـــ ١٩٧٨م) قصيدة سمّاها **"القصيدة العسجدية"**، نشرتها مجلة "الأديب" ، بيروت ، مايو/ يونيو ١٩٨٠م، ص٨،٩ . وهي "القصيدة التي ودع بها الأديب **جورج صيدح** الحياة ، واختارلها عنوان: "صلوات على مسمع الإخوان الأبرار في مختلف الأقطار"، ويقول في مطلعها:

زودتُ أقلامي بحبرٍ عسجدي ... وعزمتُ أكتبُ ما يليقُ بسيدي
هـذا (الوديعُ) أعزُّني بمودةٍ ... هي ثروةٌ شغلتْ عقولَ الحُسَّدِ
قدسْتها ،وأخذتُ أحلفُ باسمها ... أنّي لها مادام أمْري في يدي
منها تعلّمْتُ القناعة والرضا ... بمدائحٍ مهموسةٍ في المشهدِ
جافيتُ أضداداً كوتْهُمْ نارُهُ ... لم أجْفُ نقّاداً براء المقصدِ
هذا (المقفّعُ) عالمٌ مترفّعٌ ... إن تقرب الأضواءُ منهُ يبعُدِ
عينُ (الرقابة) لاحقتْه فقصَّرَتْ ... كالسلحفاةِ وراء ظبْيٍ أغْيَدِ

وقد شبه أسلوبه في رصانته بأسلوب **ابن المقفع**، كما أشار إلى الرقابة الـتي كان **وديع فلسطين** يشكو منها حين كتب **جورج صيدح** هذه القصيدة.

ويتحدث عن أسلوب **وديع** الرصين الذي يدبج به مقالاتـه، الـتي يحـاول المقلدون أن يكتبوا مثلها فلا يستطيعون:

والأقدمون يقلدون بيـانهُ شتَّـانِ بيت مجـدد ومُقلِّـدِ
أعطى سعيداً كلما أعطى سُدى منًّا وسلوى في الصعيدِ الأجردِ
واستمطرَ الأدبَ الرفيعَ جواهِراً يـزدانُ أطرفُها بمجْـد الأتلدِ
ما عاقه ما عاقني من حَمْلـةٍ هدامةٍ فضحَتْ حقوقَ الجحَّدِ
شُلت يدُ الجاني عليَّ فما دنـا حق المحقِ وانهـارَ لو لم يُسندِ

ويشكو **جورج صيدح** مايعانيه من جحود، لعله يخفف عن الوديـع بعـض أحزانه، فكلاهما غريبان في هذه الحياة الأدبية الجاحدة.

يا وارد النيل النبيـل ألا ترى شَبَحَ الرَّدى في موقفِ المُترصِّدِ
هيْـهات يمهلني وقد بلغَ الزُّبى سُقمي، وخـارت عزمةُ المتجلِّدِ
لوْ كان جسمي مثل خصمي جلمداً
لخلدتُ ، لكنّـي عدو الجلمدِ
مازلـتُ في غسقِ الحياةِ مُسمِّراً عينيَّ في الشَّـفقِ البعيدِ الأمـردِ

وعلى الرغم من أنهما يشتركان في المعاناة، فهو يذكر مواساة الوديـع لـه، وتخفيفه عن أحزانه يوم التقاه في القاهرة،ويرى أنهما مازالا في عنفوان العطاء، وأنهما قادران على الإبداع المتجدد، لأنهما أصيلان، وغير مدَّعيْن:

يومَ التقيْنا بُرهةً في رُدْهَـةٍ ثم افترقْنا أصيَداً عنْ أصيَـدِ
فإذا الغريبُ إلى الغريبِ مُقرَّبٌ وإذا المُراسِلُ بالمُراسِلِ يقتـدي
إنْ جاءهُ بوحي رذاذاً ، جاءني بالغيْـثِ مدراراً على مستوْقدي

لا فرقَ بين ربيعِهِ وشتائــــهِ فصْـــلُ النتاجِ لديْهِ شبهُ مُؤبَّدِ
أشواقُنا عبر السنـــينِ تكللتْ بغــد البراعمِ بالقطــافِ الأجودِ
نحنُ الغصون يبسةٌ أوراقُنــا لكـــنَّ في أعوادِنا اللبَّ النَّدي

وقد كتب الشاعر المهجري **زكي قنصــل** (١٩١٦ ـــ ١٩٩٤م) ـــ شـــاعر غلواء ـــ قصيدة بعنوان: "ياهزار الوادي"،نشرتها بمجلــــة "الوطـــن"(الأرجنتـــين)، الأربعاء١٧ آب١٩٨٣ ، أهداها "إلى الكاتب الواسع الآفاق الأستاذ **وديع فلسطين**، تذكيراً بفضله، وتقديراً لإيمانه برسالة القلم"، يقول فيها مخاطبـــاً صديقـــه **وديـــع فلسطين**:

ارفق بنفســـك يا أديبَ الضّاد كمْ ذا تُعاني في الهوى وتُعادي
ما أنتَ إلا فرحَــــةٌ في مأتمٍ أو مأتمٌ في فرحَـــــةِ الميلاد
ماذا يُفيدُكَ أنَّ شدْوَكَ مُرْقِصٌ لايُطربُ الجمْــعُ الأصمُّ لشاد
تقتاتُ بالأحلامِ وهي سفاسِفٌ خيْـــرٌ من الأحلامِ كسرةُ زاد
وتشوقُكَ الآمالُ وهْيَ يوابِسٌ هل تنقعُ الآمـــــالُ غلّةَ صاد ؟
هذا زمانُ الرّاكبينَ رؤوسَهُمْ في ملـــعبِ الشهواتِ والأحقاد
الساخِرينَ من الفضيلةِ والنّدى والعابثينَ بحُـــــرْمةِ الأجداد !
لاشأنَ إلاّ للفلوسِ ، فإنْ تكنْ عبدَ الفلوسِ فأنتَ في الأسياد

ويبين أن مكان **الوديع** محفوظٌ ومعروف في الحياة الأدبية، وأن الحياة الحقـــة سوف تصون للأشراف مكانتهم، هؤلاء الذين يحفظون للكلمة عفافها وطُهرها، ولا يبيعون كلماتهم لمن يدفعُ أكثر، فهل تتحققُ هذه الأمنية في حياتنا الأدبية المُزيَّفة؟

لك سُدَّةَ الوادي إذا حام الورى متـــهيبينَ على حواشي النادي
لنْ يسألوا ماذا مكانُكَ في العُلا أولستَ في الميدان خيْـــرَ جواد
لن يسألوا كيف اغتنيْتَ فليس في قاموسِهم: هذي فُلوسُ فساد

ماتتْ معاني الخيرِ بيْن ضلوعِهِمْ   مــا أفقرَ المُثري بغيْـــرِ فؤادِ !
يارب لا تجعلْ مقامي بينهـــمْ   شتّـــان بيْــن مُرادِهِمْ ومُرادِي
أكرمتُ عن زادِ الرذيلةِ لقمتي   وصرفْتُ للأدبِ النَّقيِّ جهــادي
إني إذا استبقَ الجــرادُ فإنَّ لي   قدميْــنِ غارقتينِ في الأصــفادِ
دعني بعيداً عنهمــو بكرامتي   إنْ تنطفئْ نــاري شعلتُ رمَادي
مالي إليهمْ حاجةٌ ...فليحبسوا   أمطــارَهمْ عنِّي ، وعنْ أولادي
مادُمتُ لا أُغْرَى بسيَّاراتِــهِمْ   هيهات لن تطأَ الهمومُ وســادي
إن السعادةَ فكرةٌ فإذا انتفتْ   لم تستــطعْ ثرواتُهم إسْــعــادي
النارُ والفردوسُ في نفسي فلا   تتعبْ يــدُ الجلاَّدِ والجـــوَّادِ

وإذا كان الأديب **وديع فلسطين** قد هجر مصر في أواخر الستينيات إلى ليبيا، ثم عاد منها بذكريات مرة سيكتبُها ذات يوم، فإنه اشترك ـــ مع **زكي قنصل** ـــ في الهجرة، التي يتمنى **زكي قنصل** أن يؤوب منها إلى أرض الوطن الحبيب:

غِبنا من الوادي فهلْ منْ عودةٍ   طـــالَ التغرُّبُ ياهِزارَ الوادي
لا ياصديقي لنْ أخونَ ذمامَــهُ   أنا والشَّـــذى فيهِ على ميعادِ !

وقد سجَّل بعض الشعراء حزنهم لما كان يُعاني منه **وديع فلسطين** من تصنت وملاحقة ـــ في فترة من الفترات ـــ وكأنه أعتى المجرمين المطلوبين، ومـــن هــؤلاء صاحب هذا الكتاب الذي كتب له رباعية عام ١٩٧٦ بعنوان "**وديع**"، نشــرت في مجلة "الثقافة الأسبوعية" الدمشقية عدد ١٩٧٧/١/١.ونشرت في ديــوان "حدائــق الصوت"، دار الأرقم ، الزفازيق ١٩٩٣. يقول فيها:

يا وديعَ النفسِ في دُنيا الذئابْ   أنت تحيـــا في حــياةٍ قاتِلهْ
فاستعِرْ ظفراً ومنقــاراً ونابْ   ثمَّ دُسْ بالنَّعْلِ هــذي القافلهْ

وأحياناً يهدي شاعرٌ إلى الوديع كتاباً أو قلماً، فتصحب قصيدةٌ الهديَّةَ، ومن ذلك قصيدة "إلى **وديع فلسطين**" للشاعر المعروف **محمد عبدالغني حسن**.التي نشرها في مجلة "الأديب"، بيروت ، مايو ١٩٧٠.

فقد "أهدى الأستاذ **محمد عبد الغني حسن** صديقه الأستاذ وديع فلسطين نسخة من كتابه الجديد "**ابن سعيد المغربي** : المؤرخ ، الرحالة ، الأديب" ، مُصدَّراً بهذه الأبيات":

لصاحبي المغترب المسفِر المُنَقَّبِ
إلى متى ياصاحبي طرْفُكَ في تَقَلُّبِ
هل لقمةُ العيشِ تُساوي ما ترى منْ تعبِ
يا صنْوَ نفسي إنني مثْلُكَ في تَغَرُّبِ
في غُربةِ الرُّوحِ التي تفردُني عنْ موْكِبِ
مُؤتنساً بوحْدتي في عالَمٍ مُضطربِ
ويا شبيهاً بفراخي النَّازحينَ الغُيَّبِ
هلْ يا تُرى ستلْتقي أبصارُنا عنْ كَثَبِ ؟
وهلْ تعودُ وصْلَةٌ لشمْلِنا المُنْشَعِبِ ؟

* * *

أهْدي إليْكَ يا أخي نابغةً في الأدبِ
مثْلُكَ في اغترابِهِ عن الحِمى المُحبَّبِ
عايشْتُهُ فلمْ أجِدْ غيرَ كريمِ المَنْكِبِ
كفاهُ فضْلا أنَّهُ ابنُ سعيدِ المغربِ

وقد بعث الشاعر المهجري **نعمه الحاج** (١٨٨٩ — ١٩٧٨) إلى صديقه **وديع فلسطين** بهدية في العام الجديد قوامها كتاب، ورسم للشاعر، وقلم يحمل اسمه،

ومعها الأبيات التالية، التي نشرتها مجلة "الإخاء"- **طهران - ٢٦ فبراير ١٩٧٢م.** وقد أرسلها من غرينفيل، بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي إهدائه الوديع قلماً معنى من معاني التقدير والوفاء لهذا القلم المقتدر:

سكنْتَ في الطرسِ روحي ... صوْناً لها منْ ضياعِ
فذابَ بالجَهْدِ جسْمي ... وحانَ يوْمُ الوداعِ
لمْ يبْقَ مايستجدُّ الـ ... ـتذكارَ غيْرُ اليَراعِ
يُدْني إذا حِيلَ دونَ الـ ... ـمرْأى ودونَ السَّماعِ
إليْكَ أُهْديهِ رمْزَ الـ ... ـوفاءِ والإشْعاعِ
خَيْرَ أداةِ اتصالِ الـ ... أرواحِ بعْدَ انقِطاعِ
يحكي الخطابُ ذراعاً ... مُدَّتْ لِهَزِّ الذراعِ
وشاسِعُ البُعدِ يُمْسي ... منّا على قيْدِ باعِ
هديَّةٌ أعْربتْ عَنْ ... ولاءِ قَلْبِ الدّاعي

ولقد "كان السفير الشاعر المرحوم **عباس الخليلي** في أواخر حياته يتشوق لزيارة بلاد النيل وأهلها الطيبين، وقد تجلت هذه الأمنية في الأبيات التالية بعنوان "الحي الوديع" التي نظمها قبيل وفاته لصديقه الأديب **وديع فلسطين** ، ولكن يد القدر حالت دون بلوغ الأرب، و لم يبق سوى الكلمة الطيبة وروح الأخوة الصادقة"، وقد نشرتها مجلة "الإخاء" (طهران)،في ١٩٧٢/٢/٢٦م، ويقول فيها:

هل لي إلى مصرٍ سبيلْ ... أم ذاك أمْرٌ مستحيلْ ؟
لأرى وديعاً مَرَّةً ... فليسمح الدهْرُ البخيلْ
فأفوزُ منهُ بنظْرةٍ ... يشفي الغليلَ بهاالعليلْ
عزَّتْ عليَّ وإنَّما ... لجنابهِ عزَّ الرَّحيلْ
تشتاقُهُ عيْني وإنْ ... أخفقْتُ فالصبرُ الجميلْ

مصـــرُ وديـــعٌ حبُّهـا ... وحيـاتُهُ للفضْـلِ نيـلْ

عاش الكثيرُ بهـا ، ومنْ ... جـرَّ النبـوغَ لها قليـلْ

وهُـو العـزيزُ بفضْلِـهِ ... وبفضْـلِ خلتـهِ النبيـلْ

والنيلُ يقْصرُ عنْــه إنْ ... حَـدثتُ فالبحرُ الطـويلْ

حَدِّث ولا عجـب فمـا ... في البحْـرِ إلا السلسبيلْ

إنْ نابني خطْـبٌ فمـا ... جارٌ عَـزيزٌ أوْ كفيـلْ

نفسُ الخليليِّ الفِـدا ... لك إنمـا أنت الخليـلْ

وحينما عاد وديع فلسطين من مهجره الليبي كتب الشاعر السوري زكـي المحاسني في مجلة "الأديب"، ديسمبر ١٩٧٠. يقول إنه كتب هذه القصيدة "بمناسبة عودة أخي الكبير وديع فلسطين إلى القاهرة"، يقول فيها:

عاد الهزارُ إلى مرابِعِـهِ ... فقل السـلامُ على سواجعِهِ

قد كنتُ شطَّ النيلِ أُنشدُهُ ... شعْـري وأمرحُ في أجارعِهِ

لي في رُبا الأهرامِ فيْضُ هوى ... قـد راحَ يُغريـني بنابعِـهِ

ليس السياسةُ في مِزَاجِ دمي ... لكنَّـهُ أدَبٌ برائعِـهِ

سلْ جامِعاتِ الفكْرِ عنْ خَبَري ... والمجمعيَّ بيـومِ سامعِـهِ

وأخا الوئامِ "وديع" في قلمٍ ... ذوْبُ البيانِ على ودائعِـهِ

لَمَّا انثنى يجتاحُ غربتَـهُ ... بسبيلِ عيْشٍ في شـوافِعِهِ

ناديتُهُ فأجابَ عنْهُ صَـدَى ... محزونة يحنـو بدامِعِـهِ

يا "باسلاً" فابسلْ بعودتِـهِ ... و"هنـاءة" تهنأ براجِعِـهِ

أما العروس فجددتْ شَغَفاً ... "كيتي" ومنهـا سرُّ طالِعِهِ

وقد أهدى إليه الأستاذ الدكتور إبراهيم الســامرَّائي قصيــدة بعنــوان "لا تُراعـــي"، نشرها له مجلة "الضاد" الحلبية"، العدد (٥)، ايـــار ١٩٨٧، ص ٣٣.

ويقول فيها شاكياً ما يلا قيه:

لاتُـــراعي إنْ هَـدَّني وجَلُ   فغدُ مسرعُ الخُطا عَجِـلُ
وغدٌ مُـــرْزمٌ وذو دجــنٍ   شامخٌ من خطـــوبهِ جبلُ
آذنتْني بقـــــربهِ غِيَـــرٌ   غامَ فوقي منْ هــوْلِها ظللُ
ضاق ذرعي ولستُ في سعةٍ   إن تــراءت هيَّـابةٌ جللُ
ليْتَ أني غنيـــتُ من زمنٍ   قدتَمَــطَّى في طيبــهِ دَغَلُ
وهو يــلوي وكيفَ أدفعُها   وبلاءُ الزَّمانِ متَّصِــــــلُ
فالليـــالي تُحيلُنـــا عرَضاً   وشخوصاً أودى بها شَـلَلُ
وكــأنَّــا وقدْ أُريــــد لنا   أن نُــداري سوآتنا ،هَمَلُ
هــو همٌّ صليتُ وقْـــدتَهُ   تتخــفَّى طـــوْراً وتشتعِلُ
وهو جُرحٌ نكأْتُهُ بيـــدي   عمرُكَ اللهُ كيفَ يندمــــلُ؟

***

لا تُراعي إنْ ضاقَ بي زمَنٌ   أوْ تهاوتْ في دربيَ الحِيَــلُ
فعذيـــري أنّي تَهَضَّـــمَني   طارقٌ مُسرع الخُطــا وذلُ
ليتهُ أخطأ السبيـــلَ وقَـــدْ   عاقَهُ منْ بلائهِ فَشَــــــلُ
وطِماحي ما إن نشِطْتُ لهُ   بإبائي إلا عَـــــرَتْ عِلَلُ
أتحــرّى إلى السَّنا سُبُلا   فإذا لاحُ قصَّـــرتْ سبُلُ
ضلَّ سعْيي وزادَ منْ ألَمي   أنَّ سهْمي في القوْمِ مُنْخذِلُ
وأمانيَّ قدْ شَقِيــتُ بهـــا   ولكمْ يُلهِــبُ الأسى شُغُلُ

***

لاتُـــراعي إن اقشعرَّ بنا   كلُّ نضْرٍ ، وأوحشتْ حِلَلُ
وأديلتْ منَّـــا منـــوَّرةٌ   والليـــالي في عسفِـــنا دُوَلُ
وكأني منهـــا على نبـــأٍ   يتراءى في شجْوِه أجَـــــلُ
إن تريْني أسرفتُ في حزَنٍ   فالرَّزايـــا طـــوالعٌ رتَــــلُ
أوْ تريْني ألهـــبْتُ قافيَتي   فدليـــلي إلى الهـــوى شُعَلُ

***

لا تراعي إن أرزَمتْ دِيَمٌ   بالذي حشرجتْ بهِ هُـــطُلُ
أنـــا منها بما سيُعقِبُهـــا   مستَفِـــزٌّ مـــن شرِّها وَهِـــلُ
أتَّقيهـــــا ببعضِ قافيةٍ   ورويٌّ قـــدْ ضامَـــهُ وشَـــلُ
قدْ تأبَى وكانَ من نَـــسبي   وهـــو طوْعي إنْ رُحتُ أرتجلُ
وهو مني وبَعضُ ذي رَحِمي   وهو نفسي لا المُبعَدُ الوَغِـــلُ
لســـتُ إلاَّ بهِ أنالُ رضًى   وهو زادي إن اخْـــلَفَ النُّزُلُ

***

لاتُـــراعي إن رحتُ في ألمي   أتقي فِتنـــــــةً وأبتهـــلُ
أوْ تريْني قدْ شفَّني كَلِـــمٌ   بـــارعٌ، مُلحَمَ السُّدَى خَمَـــلُ
فـــوريفٌ مُفـــوَّفٌ أنِقٌ   ورفـــــيفٌ مُهـــدَّلٌ رفِـــلُ
حـــافِلٌ بالرُّؤى وقـــدْ   يُلـــهبُ منها مستـــوسقٌ رَسِلُ
هو في الأرضِ والحمى شَجَنٌ   وربوعٌ فـــيها الأسى أهِـــلُ

***

لاتُـــراعي إنْ أوجعَ النَّغَمُ   واستُثـــيرتْ مسعـــورةٌ جُمَلُ
لاتُـــــراعي أنِّي تضيَّفَني   حشـــــدُ هَـــوْلٍ يكادُ يقتَتِلُ
أأداجـــــي بهِ وأنخَذِلُ   أمْ أُصـــــادي بهِ وأنفعِـــــلُ

أيكونُ المِـــراحُ والجَـــذَلُ ودبـــــارُ الكـــــرامِ تُختَزَلُ
فربوعٌ في "القُدْسِ" منهبَةٌ ورِحابٌ "بالفُــرْسِ" تُؤتَكَـــــلُ
خُضِبَتْ أرضُنا الطُّهورُ دمًا فسفــــوحٌ تُزهى به القُــــلَلُ

***

إنْ تريْني غُررتُ في أمــلٍ فـــلكمْ غــابَ في الدُّجى أَمَلُ
أوْ تريْني قدْ صانني أدَبــي عنْ فضــــولٍ قذائفها خَطَلُ
أو أكُـــن لمْ أنَلْ سماحتَهُ فخُلـــوِّي عن حلْيِـــــهِ عَطَلُ

***

لهْفَ نفسي لَهفاً يضيقُ بهِ ذو مِـــراحٍ ألوى بهِ ملـــلُ
يتعـــزَّى بالشعرِ في جَلَلِ أين منـــــه مُحَبَّرٌ حُلـــلُ
أأسيـــغُ الأسى فأمْلُـــهُ وهو مِـــلْحٌ يشقى بهِ عَلَلُ !
لا تُراعي إنْ أوحشَتْ نغَماً كلماتٌ فمطْـــــلبٌ خَجِلُ
ليتَ أني أقِـــيلُ عثرتَها بقشيبٍ بـــاهى بهِ غَـــزِلُ
أنا بيني وبين مـــوْعِدِهِ خُطْـــواتٌ تدنـــو فتنْفَصِلُ
ليتَ منْ ودَّعوا وقدْ رَحَلوا أفديهــــمْ بالرُّوحِ لوْ وَصلوا

ويقول الشاعر **محمود أبوالوفا** في قصيدة بعنوان "الخُلق الرفيع" (نُشـــرت في كتاب "محمود أبو الوفا: دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه، الهيئـــة المصريـــة العامة للكتاب ١٩٧٧، ص٣١٣، ٣١٤، وهي قد كُتبت كما يقول الشاعر في ٢٩ أكتوبر ١٩٦٢، ونشرت بمجلة "الأديب البيروتية في ديسمبر ١٩٦٢، وهي ــ كما يقول الشاعرــ "تحية وفاء وُجِّهت إلى الأديب الكبير الأستاذ **وديع فلسطين** تأكيداً لما بينه وبين الشاعر من صداقة ومودّة إنسانية عميقة جدا"):

وديعٌ صِرتَ أسمى منْ وديعِ فأين تكونُ ؟ قل لي يا وديعُ

أأنتَ إلى المسيحِ تكونُ حقًّا وإلاّ فيكَ يشتركُ الجميعُ ؟
صِفاتُكَ لايُحاكيها صِفاتُ ولكنْ قَدْ يُحاكيهـا الرّبيعُ
بوصْفِكَ يُزْهِرُ الأدبُ المُصفّى وبـاسْمِكَ أيْنعَ الخُلُقُ الرفيعُ
تعيشُ مُبرَّأً مـن كلِّ عَيْبٍ لفضْلكَ كلُّ مأثَرةٍ تـذيعُ
لأنتَ أحقُّ موصوفٍ بحَـقٍّ ولكنْ منْ لوصفِكَ يستطيعُ؟

ويقول **محمود أبوالوفا** أيضاً في قصيدة عن الأخوين وديع ولويس فلسطين (المصدر السابق، ص٣١٥، وقد كتبها في ٢٠/١١/١٩٧١، ولويس فلسطين كان فناناً):

وديعٌ فلسطينٌ صديقٌ مُصَدَّقٌ وفيٌّ، أبيٌّ، مُخلصٌ ووَديعُ
ولكنّهُ فيما لهُ من تَوّاضُعٍ مثالٌ لأشرافِ الرِّجالِ رفيعُ

* * *

لويسُ فلسطينٌ لهُ نفسُ سيِّدٍ رفيعُ السَّجايا في اتّزانٍ خَلاقِ
ولكنْ لهُ في الفَنِّ ريشةُ مُبدِعٍ وإبداعُ فنّانٍ ، وإعجازُ خَلاّقِ

وفي قصيدة عنوانها **"وديع فلسطين"** ــ منشورة في عدد فبراير ١٩٧٦م من مجلة "الأديب" ص٥٥ ــ يقول الشاعر **محمد جاد الرب**:

ناشئٌ في البيانِ منذُ الشبيبَـةْ مثلهُ الماءُ رقةً وعذوبـةْ
قائلٌ مُعجبُ وقولٌ عجيـبٌ في ضروبٍ من الفنون عجيبةْ
زرتُهُ حينَ شاقني قولُهُ الجزْلُ فألكَـرْتُ قولَهُ وقطوبَهْ
طلّقَ الكتْبَ والـيرَاعَ ثلاثاً وهو محبوبُها، وهـنَّ الحبيبة
قلتُ: كيفَ الطلاقُ والحبُّ طاغٍ منْ قـديمٍ، وما هُنـالك ريبَهْ
قالَ: عيشُ الغنيِّ أصبحَ ضنْكاً كيفَ منْ أخلتِ الحياةُ جيوبَهْ؟
أدركتني من بعد ذلك حرقة الآ دابِ فازدادتِ الحياةُ صعوبَهْ!

داهمتْ "هيئةُ الضرائبِ" داري إن ألفاً وبعضُـــــها مطْلوبَهْ!
أأدبٌ وأملكُ الألفِ؟ .. هذا حسنُ ظنٍّ أم هذه أُلعـــــوبَهْ؟
قدَّروهـــا كما أرادوا أصدْقاً وهْو "عينُ المُحالِ" أم أكذوبَهْ؟
لا أسانيدَ عندهمْ .. لستُ أدري كيف كانتْ مكتوبةً محسوبَهْ؟
عادَ حَمْلُ الأقلامِ في الناسِ ذنْباً عاقبوا أهلَها بأقْـــسى العقوبَهْ
وعلى الكتْبِ واليَراعِ سلامي عنْ عيـــوني وعنْ يدي محجوبَهْ

***

يا وديعاً عـــــلى سموِّ مكانٍ كلُّ ذي همَّةٍ ســـيلْقى نصيبَهْ
فارقُبِ الحقَّ أبلجَ الوجْهِ، وارقبْ من رقيبِ الحقوقِ أسْمى مثوبَهْ
وتمتَّعْ من الحِســـانَ، وأمتِعْ كلَّ حسناءَ في الورى مخْطوبهْ
فالقـــــوافي مهورُهنَّ غوالٍ علَّ أيَّامَ وصْلِهنَّ قريبـــــةْ!

***

حسبنا نحْسنا فلا تتْبعــوهُ بمزيدٍ من شؤمِ تلكَ الضَّريبَهْ
"والليالي من الزمانِ حبالى مثقـــلاتٌ يلدْنَ كلَّ عجيبَهْ

الفصل السابع

شهـــــــادات

* * *

١-وديع فلسطين [٢٠]

أحمد زكي أبو شادي

شهد القرن الحاضر نهضة أدبية عظيمة في مصر قوامها الثقافة الغربية، وعلى الأخص الأمريكية منها، وقد تناولت جميع مرافق الأمة. ولست في هذا المقام متناولا إلا الجانب الأدبي وحده ،كما أني سأكتفي بشخصية واحدة من الشخصيات القبطية اللامعة. لقد اشتهر الأقباط بالتفوق في التجارة والحساب، وكان العرب يركنون إليهم إثر الفتح الإسلامي لضبط حساب الدواوين كما ذكر المؤرخون. ولكن اهتمامهم بالأدب لم يظهر إلا في العهد الأخير، إذ بديهي أنهم كانوا ينفرون في بداية الفتح الإسلامي من الفاتحين ولغتهم، إلى أن أسلم العديدون منهم فتألفت منهم ومن الفاتحين مصر المسلمة.

وفي مستهل هذا القرن ظهر العلامة القبطي وهبي بك الذي تعلم العربية، وتبحر فيها حقبة بالأزهر الشريف فكان المنارة الأولى للأدباء الأقباط في مصر، وكان الرائد لإصلاح التعليم في مدارس الأقباط. ثم ظهر أدباء وكتاب وشعراء

---

[٢٠] – نشرت في جريدة "الهدى" (نيويورك) ، السنة (٥٣) ، العدد (١٤٤)، في ١٩٥٠/٩/١٨. في سلسلة أحاديث كان يزمع أبو شادي كتابتها عن "الأدباء الأقباط" (وقد كتب منها ثلاث حلقات فحسب عن وديع فلسطين، ومكرم عبيد باشا، وسلامة موسى ... ثم عاجله الموت). وهذه هي الحلقة الأولى، ونشرت في الجريدة تحت عنوان " الأدباء الأقباط : ١– وديع فلسطين" .

وصحفيون ومحامون وأطباء وعلماء ضليعون واجب علينا أن نعنى بكل منهم لـــو أنا في مقام التأريخ ، ومن ذا الذي ينسى كتاب جريدتي ''الوطـــن''، و''مصـــر'' و''الصحـــافي العجوز'':توفيق حبيب، ووهيب دوس، وتوفيق دوس، ومكرم عبيد، ومرقص سميكة مثلا بين الشخصيات القبطية الأدبية ؟

وقد كان لسعد زغلول أثر حميد بجهاده القومي الخالص في إظـــهار الأدبـــاء الأقباط تحت راية الهلال والصليب التي غفل المصريون عن الاحتفاظ بها لقوميتـــهم الجديدة في ظل الاستقلال فصدفوا عنها مأمورين إلى علم لايوحـــي مثـــل معناهـــا الجليل.

والآن يتميز الأقباط بالآقتدار في نواح أدبية متعددة، وبينهم فئة متفوقة مـــن الرائدين الذين يشار إليهم بالبنان، لا لألمعيتهم فحسب بل لنزاهتهم المطلقة أيضـــا. ونحن في الشرق أشد ما نكون احتياجا إلى ذوي الخلق المتين الذين يمكن أن ينهضوا بالجموع، لا إلى المنشئين المتفننين بالصناعة فحسب، فربما كان ضرر هـــؤلاء أكثر من نفعهم. ومن الإجرام في حق الشبيبة أن ينوه بهؤلاء المنشئين المذبذبـــين الذيـــن أساءوا ويسيئون وطنيا وخلقيا للأمة ويغفل أبناؤها البررةالمجيدون، وبين الأخـــيرين صفوة من الأعلام الأقباط الأحرار.

وفي طليعة هؤلاء في التفكيرالحر وفي الإصلاح الاجتماعي سلامة موسى، وفي الخطابة الوطنية والقانونية مكرم عبيد، وفي النقـــد الأدبي والنفساني واالشعر رمزي مفتاح، وفي فقه اللغة العـــربية وعلومها حبيب عوض الفيومي، وفي فن الصحافـــة والإنشاء الأدبي وديع فلسطين، وفي الإخراج الصحفي المبدع صادق سلامة.

وسأقصر كلمتي الأولى على وديع فلسطين، أستاذ فن صياغة الأنباء بقســـم الصحافة بالجامعة الأمريكية في القاهرة، ولعله أصغر أســـاتذتها سنا، وإن كان مـــن أنضجهم رجولة وخلقا ومعرفة.. فهذا المصري القح الذي أنجبته مدينة أخميم بصعيد مصر، وتهافتت عليه صحف ومجلات عربية شتى، في طليعتها "الأهرام بزنس" إلا أن

قسم الأنباء الخارجية بجريدة "المقطم" (احتذبه)، ويتحفها يوميا بتعليقاته المشهورة عن "السياسة الدولية"، وبمقاله المعنون "عجلة الحوادث"، وهما يستوعبان منها صفحة كاملة يوميا. وهذان المقالان كان يحررهما خليل ثابت بك حتى تخلى منذ عامين عن التحرير في "المقطم"، وقد فاز الأستاذ وديع في العام الماضي بجائزة فاروق الأول للصحافة الشرقية لأحسن مقالات نُشرت في عام ١٩٤٩ في الصحف الشرقية عن السياسة الخارجية، ولا عجب فقد نُشرت ترجمات كثيرة لمقالاته في صحف عالمية، كما تنقل وكالات الأنباء خلاصات منها، وكذلك يترجمها مكتب الأمم للاستعلامات في مصر ودُورُ السلك الدبلوماسي الأجنبي، وقد فاز مرتين بجوائز أدبية من "محطة الشرق الأدنى" للإذاعة العربية.

ومعظم ما يكتبه الأستاذ وديع يدور حول ما يلي: إما ترجمة لفصول باللغة الإنكليزية (وأحياناً بالفرنسية)، وإما تحليل لشخصيات عرفها، وإما نقد لكتب ممتازة، وإما تعليقات سياسية حصيفة، وإما بحوث قيمة على هامش علم النفس، وإما أقاصيص راقية أصيلة.

ومن أمثلة حسن اختياره في الاقتباس الأدبي مقال "الجيل المجرم"، وهو ذلك المقال الذي دبجته يراعة الأستاذ سلوم مكرزل، فقد اهتم به الأستاذ وديع فلسطين اهتماما خاصا، وأعاد نشره في جريدة "المقطم" ممهدا له بكلمة وجيهة من قلمه حتى يتنبّه الرأي العام إلى مغزاه.

وأهم ما يعنيني من كتاباته مقالاته الوطنية الصريحة العظيمة التي تظهر بجريدة "الإنذار" بالمنيا — كبرى الصحف في صعيد مصر — ومقالاته الأدبية الشائقة التي تظهر في مجلتي "المقتطف" بالقاهرة، و"الأديب" في بيروت، ففيها تتجلى روائع قلمه الرشيق، وفكره الحر، ونفسه السمحة، وروحه الأبية، ونفسيته العالية.

ولأديبنا النابغة من المترجمات والمؤلفات :

(١)مسرحية "الأب"، للكاتب السويدي سترندبرج.

(٢)مسرحية "دعوى قذف"، مسرحية مترجمة عن الكاتب الإنجليزي وول.

(٣) كتابه المسمى "قطوف من الشرق والغرب"، وهو مجموعة أقاصيص ممتازة مابين مترجم ومـــؤلف.

(٤)كتابه المسمى "فصول"، وهو مجموعة بحوث قيمـــة نشرهـــا في مجلـــتي "المقتطف" و"الأديب" في الســـنين الســـبع الماضيـــة في السياســـة والأدب والأجتماع والاقتصاد والفلسفة.

(٥) كتاب "الصحافة الحديثة" وهو يتحدث عن الصحافة في كل ناحية من نواحيها مستندا إلى مراجع عامة معظمها أمريكي وانجليزي.

(٦) كتاب "سوانح" ، وفيه نحو ثلثمائة مقال توجيهي مطبوع بطابع التحرر، وقـــد نشرت قبلا بجريدة "الإنذار" المصـــرية. وربما كانت هناك مؤلفات أخـــرى لهـــذا الأديب الموهوب لاعلم لي بهـــا، ولا أعرف إن كان يقرض الشعر، ولكنه على بصر ...

وصفوة القول إن هذا الأديب القبطي الإنساني النابه من مفاخر الجيل الحاضر في مصر، وهو جوهرة شريفة متألقة في تاج الأدب العربي الحديث ".

نيويورك في ١٠ أيلول ١٩٥٠

٢-قضايا الفكر في الأدب المعاصر

تأليف الأستاذ: وديع فلسطين ـ. ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط ـــ المكتب الفني للنشر بالقاهرة

د. زكي المحاسني[٢١]

تسائلني نفسي حين أريد لأكتب عن أديب أعرفه، كيف لا أصفـــه لقرائـــي وأكتفي بعرض أثره وتحليله ونقده، وأجيب نفسي على استغرالها إجابـــة العـــارف بخطئه، إذ أكون كمن إذا شاء أن يكتب عن حلاوة تفاحة فيذكـــر طعمـــها، ولا يصف شكلها.

ويطالبني بعض قرائي أن أخرج من نفسي حين أكتب عن أصدقـــائي، وأنـــا الذي أوثر تكرير قولة كنت أقولها، وهي: كيف نستطيع أن نخرج من أنفســـنا؟ إن أنفسنا عصافير حبيسة بأقفاصها، ومتى خرجت منها فقد لا تعود إليها.

وأعجب. ما تلقيت في هذه الفترة، رسالة من كاتب صديق حميم بلبنان، يقول لي فيها إنه سيكتب عني فصلا، ويخشى أن يخسر ـــ إذا كتب ـــ صداقتي، فأنا أعالنه على مشهد من الناس، أنني سأزداد له صداقة وودا، وما كان النقد عندي إلا نـــارا توهج السبائك.

واليوم أكتب عن صديقي الناقد المرهف "وديع فلسطين" لأقدم كتابه "قضايا الفكر في الأدب المعاصر" إلى قراء "المجلة"، وكم رحت أتفرس الأسماء كيف يلبسها أصحابها، فوجدت بعضها كالثياب الفضفاضة السابغة على نفر منهم، وكـــالأبراد الضيقة على آخرين، ووجدت أناسا فصلت أسماؤهم على قدود أنفسهم وسجاياهم،

---

[٢١] -نشر في مجلة "المجلة"، السنة الرابعة، العدد (٣٨)، شعبان ١٣٧٩هـ-فبراير ١٩٦٠م، ص ص١٠٠-١٠٢.

ومن هؤلاء الأستاذ وديع فلسطين الذي تحلى بوداعة رسولية، ووافق اسمه بلادا فقدها العرب، وباتوا إليها لاهفين ينتظرون العودة، وأفئدتهم تغلي كالمراجل حماسة من أجلها، وتشوقا إليها، مدرعين بمآثر العروبة، ومن مآثرها ما أجده عند هذا الكاتب فيما يتجلى في رأيه وأدبه من دفاع عن العروبة ومآثرها، ومن بناء لمجدها الأصيل.

***

يبدأ كتابه بفصل خطير عن العامية والفصحى فيثير في نفسي كوامن شجون، تصعد إلى نظري، فإذا بي أنظر شزرا إلى أولئك الغلاة الذين يظن الناس أن بأيديهم أقلاما، ولعمري ما تقبض أكفهم إلا على فؤوس ومعاول يهدمون بها العروبة، ويثلون مجدها الأثيل، أولئك هم الدعاة إلى العامية، وقد ذوب الكاتب أقنعة الشمس عن وجوههم، فبدت على حالها الشائهة ومياسم أصحابها المقيتة.

إن الدعوة إلى العامية في عصرنا مثل قنابل تصنع بأيدي أعدائنا لهدم الجمهورية. وما أرى من بأس يمنع أولى الأمر — وهم الحازمون — في إصدار تشريع يجبر مدرسي المدارس على التكلم بالفصحى، ولا يبيح كتابة العامية في الصحف والكتب: لأن اللهجات العربية المعاصرة، مختلفة شتيتة. وهي سليلة التفكك العربي المتحدر من عصور الانحلال حتى يومنا هذا، وإذا شئنا الوحدة العربية الكبرى وجب علينا نسف ما يقف في سبيلها من اللغة العامية واللهجات المحلية. وما تبني وحدتنا بأس متين مثل العربية الفصحى، وقد جعل علماء الاجتماع وحدة اللغة الباب الأول في تآلف الشعوب التي تنطق تلك اللغة لتكوين أمة كبرى.

ولا أكاد أجد في كتاب الأستاذ وديع فلسطين موضوعا لم يكن محطا لحركة النهضة الفكرية في أدبنا الحديث، فقد استصفى المشكلات والحوائل، وبحث العثرات والمعاطب التي تعتري أدبنا الحاضر ووجد في بهرة الحلقة فتنة حديثة بدأت تسري كما يسري الوباء، فهب، وهببنا ونحن مع فريق من حراس التراث العربي الرصين

أمام الموجة الدافقة الجديدة التي يسمونها الشعر المرسل أو الشعر المنثور. وما أجد آثارها إلا نثرا بغير شعر، إذ هي تنفصل عن روح الشعر ــ كما يقول المؤلف ــ ببعدها عن اللحون، وما كان الشعر إلا نغما موسيقيا سائغا جميلا. وقد علل الكاتب أسباب ولادة هذا الضرب من الكلام ببعد أصحابه عن أسرار العربية، فقد آثروا التخلص من سلطان قواعد اللغة، ونفروا من معاناة المعاجم، واصطنعوا لأنفسهم ألفاظا مبهمة، وأساليب مشكلات، وعمدوا إلى الرموز لإخفاء الإبانة، ولم يصب بعض التوفيق منهم سوى القليل.

ويظن أولئك الغلاة أصحاب هذه الفتنة الجديدة أنهم إنما يجددون في الأدب العربي الحديث، وما وجدنا تجديدهم إلا تعتيقا وتكميدا، وسبب مضيهم في هذا الأمر، سكوت شيوخ الأدب الذين أحيوا في هذا العصر تراث الشعر ووصلوا حاضر العروبة بماضيها، فما بالهم ساكتين تلقاء هذه النزعة الهوجاء في الشعر الحديث.

كل ذلك يعاينه القارئ في تفنيد **وديع فلسطين** لهذا المذهب الفني فيحس بالتجاوب معه، والتقابل في الفكر والشعور.

وقد عرض الكاتب هذه المعضلات في صورة معارك يخوضها أدب العصر، معارك في الفكر، وفي المذاهب الأدبية، لا يسقط فيها قتيل ولا يقع فيها جريح، ولكنها تضمد الجراح، وتحيي الموات، وتكون الأدب الحق. وهي عندي أمصال ..ة لتبديل دم الأدب الفاسد، وربما اشتدت وطأتها فكانت كالحمى حتى يخرج بعدها المرضى وقد اكتسبوا المناعة والمقاومة، فيردني الكاتب إلى تصور معارك عرفها هذا العصر في فاتحة عهده الأدبي بين أنصار القديم ودعاة الحديث، وكانت معركة كحرب البسوس، من أبطالها الدكتور **طه حسين والعقاد ومصطفى صادق الرافعي وإسماعيل مظهر والمازني**، وكان مع كل فريقه، وكان فيها السلاح غير كليل على ترادف السنين، ومات بعض أبطالها، ممن نذكرهم كما نذكر المحاربين الغابرين.

وكتاب الأستاذ **وديع فلسطين** سيرة معارك فكرية ووقائع ثقافية، وهو كتاب سيكون من مصادر البحث للأجيال الآتية التي ستقع عليه، حين تلوب على حركات التصادم بين الأفكار في أدب العصر الذي تعيش فيه.

وتكلم المؤلف على مشكلة الطباعة الحديثة وتيسير الكتابة العربية وما كان من أمر الحروف وإعجامها، والحروف اللاتينية التي كاد يعج أوارها، ثم انطفأ إلى غير معاد.

ومارس المؤلف عرض الالتزام في الأدب، وأجد هذا الموضوع مشبها لغواية النساء في اللبوس الراهن أو في تصفيف الشعر، فأرى كلمة الالتزام في الأدب يدعو إليها جماعة لا يعرفون المقصود بها على وجه الصواب. ومنذا الذي أصر على الأدب أن يلتزم حالة واحدة لايريم عنها، فيبتغي حبس الأدب، وتكبيل الأديب. وما عاش أدب أمة إلا حين تنسم أريج الحرية، فإن صح الالتزام في نوع واحد، كل يوم، من الطعام، وفي شكل مفرد من اللباس، فقد صح إذن في الأدب.

وقد رحت أتقرى هذا الكتاب، وقد حوى كل ضرب من ضروب أدبنا المعاصر كان موضعا للأخذ والرد وسبيلا للمشكلات، ومثيرا للرضاء أو الامتعاض، حتى وجدت كلامه على الأدب السوقي، إن صح أن يكون للسوقية أدب على رخصها وكسادها. ومن أعجب ما اتصف به أدب هذه الفترة من أدبنا رواج هذا الأدب الذي انبث في حياة المراهقة كالمخدر، دون أن يجد مقاومة أو أن تقف تلقاءه السدود. وقد شبه المؤلف رواج هذه السلعة التي قصدت بها التجارة وموفور المال، بالعملة الرديئة الزائفة تطرد من التداول العملة الجيدة. وقد بدت هذه الكتب الرديئة التي سميت كتب الإثارة الجنسية، مقاتلة للكتب الجيدة التي تبني حياة الشعوب، وقد عرفنا الكتاب الفاضل من قبل، فكيف بنا، وقد نعمنا بالاستقلال والوحدة، وشهدنا الانبعاث العربي العظيم، لا نقاوم وسائل الانحلال لنحمي أدبنا التالد والطريف،

ومجدنا اليعربي العريق. فما قضي على أثينا القديمة ولا عفى الدهر على روما الرومان إلا عندما شاع فيهما الأدب الجنسي.

وقد عرف المؤلف هذه الأدواء الفنية كمعرفة النطاسي الطب، وقلب وجوه الرأي في استنباط الدواء.

واختتم الأستاذ **وديع فلسطين** كتابه في كلامه على الفكر بين الأرستقراطية والغوغائية، وكلاهما كان وبالا؛ فإن الأرستقراطية كانت تطل من أبراجها العاجية فترى المارة في حجوم صغيرة، وترى الغوغاء في حمأة سحيقة. وقد عاد بنا المؤلف إلى عهد **أفلاطون** فأرانا كيف كانت جمهوريته تبحث عن المدينة الفاضلة وتبتغي وجودها، وكان **أفلاطون** يعلي أقدار الفلاسفة والمفكرين، ويعدهم سادة العالم، لكن أفلاطون نفسه الذي حبس الفلاسفة في الأبراج الأرستقراطية، لم يعبأ بالغوغائية التافهة، فلم يجد لها منزلة في الجمهورية — كما يقول المؤلف الفاضل — وها هنا يصحح الأستاذ وديع فلسطين ما اعترى معنى الأدب الشعبي من التشويه، فليس أدب الشعب فيضا من كلام الشارع، ولا هو تفكير الجالسين على أرض الرصفات، وهنا ذهب خاطري، خلال إطراقة، إلى ظلال الأقواس الحجرية العراض تحت قناطر الجسور على نهر السين بباريس، حيث يرقد فقراء ومعدمون، يقضون لياليهم وبعض أنهرهم وهم يتداولون أدبا رفيعا، فإن جمعهم كان لا يخلو من عباقرة ألح عليهم الجوع فتوسدوا الثرى، أما أدباء الشارع في بعض البلاد العربية، فلا يقتعدون غوارب الر صفات ، ولا تلتصق أجسامهم بالحجارة، وإنما قد يسكنون القصور، ويجلسون على الوثير وينامون على الحرير، ولكن أدهم ينوب عنهم في الجلوس على تلك الرصفات الحجرية.

إني لأجد كتاب "قضايا الفكر في الأدب المعاصر" من كتب الساعة التي تدق دقات عنيفة من أجل يقظة كبرى. وإنه لكتاب يعبر عن خواطر الكثير من المفكرين

الذين أقلقهم ما يرون من عبث الأفكار، وخطل الأقلام، ومن الجميل أن الأستاذ **وديع فلسطين** لم يقتصر على تشخيص الداء، وإنما كان إلى ذلك يصف الدواء، ولكنه دواء لا وجود له عند الصيدلاني، والمأمول أن تصنعه مصانع الشفاء، ليتصل أدبنا العربي التالد بالأدب الطارف الذي يبتغي البقاء.

٣-قضايا الفكر في الأدب المعاصر[٢٢]

محمد سعيد العامودي

(١)

في هذا الكتاب الوجيز يناقش مؤلفه الأديب الباحث المعروف الأستاذ وديع فلسطين ما يمكن أن نعتبره بحق أهم قضايا الفكر في الأدب العربي الحديث!

فما اكثر ما شغلت الأذهان قضية العامية والفصحى من أوائل هذا القرن العشرين! و لم يكن خافيا منذ نبتت الدعوة إلى استعمال العامية في الأدب أن أعظم ما ترمي إليه من هدف هو القضاء على لغة القرآن.

وقضية الشعر الحر والشعر المنثور إحدى هذه القضايا الفكرية! إنها قضية ما زالت تختلف حولها الآراء .. وإن كان الرأي الراجح قد اتضح في أكثر من مناسبة أنه في جانب الشعر الموزون!

وهناك قضايا الالتزام في الأدب .. والأدب الواقعي.. والإبانة والرمز .. وقد ناقشها جميعا مؤلف هذا الكتاب الأستاذ وديع فلسطين .. لقد ناقش هذه القضايا جميعها من أعلام الفكر، وأعلام النقد أكثر من كاتب ومؤلف .. ولكني أستطيع أن أقرر هنا أن كتاب "قضايا الفكر في الأدب المعاصر" ـــ على صغر حجمه ـــ أحسن ما قرأته في هذا الموضوع!

---

[٢٢] -نشرت في مجلة "المنهل"، السنة (٢٦)،في عددي المحرم، صفر ١٣٨٠، يوليو، أغسطس ١٩٦٠.وقد نشر المقال الأول بعنوان: "قضايا الفكر"،ص ص ٣١-٣٣، ونشر المقال الثاني بعنوان: "مطالعات في كتاب: قضايا الفكر في الأدب المعاصر"، ص ١٤٩،١٥٠.

وفي الحق ليس غريبا أن يكون أبرز ما تتسم به بحوث الأستاذ وديع فلسطين .. الكاتب العربي الواسع الاطلاع، والأديب الباحث المفكر .. ليس غريبا أن يكون أبرز ما تتسم به بحوثه: الأصالة والموضوعية!

وإنك لتقرأ بحثه عن "العامية والفصحى: مثلا ..فـــلا تـــتردد في أن تســـأل نفسك: ماذا يمكن أن يقوله دعاة العامية بعد الذي كتبه وديع فلسطين؟!

لقد دافع أقوى دفاع عن الفصحى .. وهو لايكتفي بأن يثبـــت أفضليتـــها وعبقريتها، بل يعجب كل العجب من أن نقرن العامية بالفصحى "كأنهما على مرتبة واحدة من مراتب العلم"، إنه يقول:" .. شتان بين لهجات متهالكة غير ذات نسب ـــ يقصد اللهجات العامية طبعا ـــ ولغة عريقة هي بنت تراث مجيد خـــالد علـــى الدهر، ولكن لاحيلة لنا في هذه المقارنة ـــ لماذا؟ مـــادام هنـــاك دعـــاة للعاميـــة يستأسدون ويستنسرون .. ويطالبون لها بالسيادة والغلبة على الفصحى إلخ".

ولنقرأ بعد ذلك قوله: " .. وعجيب أن تتلقف الآذان نبأ هذه الدعـــوة إلى العامية في وقت ذاع فيه العلم، وانتشر فيه التعليم، وقـــامت جامعـــات كـــبرى في المعمور العربي لترسل إشعاع الثقافة إلى كل طرف ناء وركن خبيء، فـــهذه دعـــوة الهزامية تنطوي على اعتراف بالقصور ونكوص عن مناهج العلم ومناهل الثقافة إلى مهاوي الجهل ومراتع الغفلة، وفي الأثر: "إن من البيان لسحرا"، فأين ذلك الســـحر من العي الذي بلي به دعاة العامية، والغي الذي رزئ به الأدب العربي؟!".

وعلى هذا الغرار يمضي الكاتب القدير في دفاعه الواعي عن اللغة الأم، ويقرر أن الدعوة إلى العامية دعوة إلى امتهان اللغة العربية، وامتهان التفكير العربي عموما، وهي ردة في التفكير لا تصدر إلا عن قوم عاجزين".

"وكل دعوة إلى العامية هي دعوة إلى خراب. وإذا كان أهل السياسة يعرفون مذاهب هدامة تهدد الجماعة بخطرها الوبيل فإن أهل الأدب لايميزون في الدعوة إلى

العامية إلا أنها مذهب من هذه المذاهب الهدامة التي يتعين مكافحتها قبل أن تفشو فتفسد علينا أدبنا وتفكيرنا ومنهاجنا الثقافي السليم".

ثم يتساءل: "فهل كسدت الضاد حتى صار "العباقرة" في زماننا يدعون إلى هجرها إلى العامية؟

وفي ختام البحث يؤكد: "إن اللغة الوحيدة التي يعتد بها في كل شأن من شؤون الحياة الفكرية العربية هي لغة الضاد الفصيحة، إنها لغة التعبير في الكتابة والخطابة والمحاضرة والمحادثة والتمثيل والتعليم، وهي لغة الأدب ولغة العلم ولغة الفلسفة ولغة الاقتصاد، ولغة الحياة الفكرية جميعا!".

***

وعندما يبحث قضية "الشعر الحر والشعر الموزون لايتردد في أن يقف إلى جانب الرأي الذي ينادي به أنصار الوزن والقافية، وهو إذ يستشهد بآراء غيره من الكاتبين في هذا الصدد فإنما ليزيدك اقتناعا بأن هذه القضية تكاد تكون مفروغا منها!

وما ألطف هذا التشبيه عندما يقول الأستاذ وديع: "تجريد الشعر من قافيته ووزنه كتجريد المصباح من سلكه المضيء، أو كتغيير دقة الساعة فلا تدق دقا رتيبا، بل تدق حسب الهوى، وللمرء أن يتصور مصباحا خلوا من سلك مضيء، أو ساعة بلا ضابط، أو صورة نثرت عليها الألوان نثرا، أو كتابا غير منسق الصفحات! .. فهل الرتابة في الشعر التي تجيء في تضاعيف الأوزان والقوافي هي سر إعجاز الشعر .. بل هي سر العبقرية الخالدة على الأجيال".

"وإذا قيل إن الشعر شعور قلنا إنه شعور مشاع في الأوزان والقوافي، وإذا قيل إن الشعر عاطفة دافقة قلنا إن القلوب تهتز بالنغم أكثر مما تهتز بالنشاز، وإذا قيل إن الشاعر يحلق في سماواته فينبذ المقاييس التي جرى عليها السالفون، قلنا إن السالفين حلقوا بدورهم دون أن يمسوا تلك المقاييس بسوء!".

"وأخيراً: هذا الكلام الحر المرسل .. هل يسمى شعرا أو يسمى شيئا آخــــر؟ فإن سمي شعرا أنكره الأدب العربي بقديمه وحديثه .. وعده ناكصـــا ناقصـــا، وإن سمي نثرا مشعورا فعندئذ تفتح له الضاد صدرها رحبا، ولا سيما إن اتسم بالجودة، واتصف بحسن الأداء".

* * *

ويبحث الأستاذ وديع قضية " الالتزام في الأدب" على نحو ما رأيناه في بحثــه عن العامية والفصحى، والشعر الحر والشعر الموزون.

وما هو الالتزام في الأدب؟ إنه التزام الأديب بمعالجة قضايا المجتمـــع، وكمـــا يصفه بذلك الأستاذ وديع، وهو إذ لا يرى الاعتراض علــــى أن يعـــالج الأديـــب مشكلات الجماعة من الزاوية التي تروق له، لكنه يقرر "أن محاولة قصر الأدب على معالجة مشكلات المجتمع إنما هي محاولة لإفراغ الأدباء جميعا في قالب واحد لا يشذ عنه أحد؛ فالشعراء جميعا جرياعلى هذا القول يجب أن لا يتغنوا بـــالحب والعشـــق والفتنة، بل عليهم أن يعالجوا مشكلات التشرد والفقر، وانتشار الكلاب، واكتظاظ المدن بالسكان، وكثرة حوادث المرور، ومشكلة إضراب الباعة الجائلين".

وواضح أن هذا الذي يشيرإليه المؤلف الفاضل هو ما يعنيه دعـــــاة الالـــتزام بالضبط، .. ولكني أسأل هنا: ألا يكفي أن يشارك الأديب مشاركة وجدانية واعية في بحث المشاكل الاجتماعية من وجهة نظره الخاصة ليؤدي بذلك واجبه كـــأديب؟ وماذا بعد ذلك لو أنه تغنى بالحب أو بأية عاطفة من العواطف الإنسانية؟

مامن شك في أن الحرية من أعظم متلزمات الأديب، فإذا كان الالتزام في نظر دعاة الالتزام هو إلزام الأديب بأفكار معينة وموضوعات معينة دون أن نـــترك لـــه حريته في التفكير وحريته في التعبير ـــ كما هو الواقع المشهود ـــ فالالتزام إذن أبعد ما يكون عن فن الأدب في أي معنى من المعاني .. أو شكل من الأشكال!

(٢)

ويعرف المؤلف الفاضل الأدب الواقعي بأنه أدب يفترض فيه أن يعرض الحياة اليومية بأسلوب خلو من الخيال والافتعال! ولكنه يأخذ على الواقعية من حيث هي.. ميلهـا — كما يقرر — إلى تجاوز الواقعية تجاوزا مفرطا، حتى تنأى الصورة عن الواقع بمراحل، ثم يشير إلى قصص موسومة بالواقعية نشرها أصحابها وراجت رواجا كبيرا، بأنها قصص بعيدة عن الحياة، بادية الافتعال والصنعة .. ليست مواقفها ممـا نعرفه ونعهده في الحياة اليومية، اللهم إلا إذا أريد لقراء هذه القصص أن يُحاكوهـا هم، وعندئذ فقط يصدق على هذه القصص أنها "واقعية"!

ومن مآخذ المؤلف على الواقعية — أيضا — ما يبدو في أكثر إنتاجها المعاصر من تحريض واضح على تخطي الحواجز الاجتماعية المتعارف عليـها، لأنهـا تزيـن الشذوذ للقراء تزيينا يلقي في روعهم أنه تمام السوء؛ فإن دارت القصة على حيـاة شخص منحرف ظن القارئ أن الناس جميعا منحرفون على هذه الشاكلة، فالحياة في عرف أهل الواقعية بجميع صنوف الهوس الوضيع، وأغلبه هـوس حـول النزعـات والغرائز..

ثم يضيف قائلا: وحين يتصدى الكتاب الواقعيون لمعالجة مشكلة اجتماعية ما فإنهم لايستهدفون حل هذه المشكلة على أي وجه، بل يتعمدون تعقيدها وتكثيفـها قائلين: إن مشكلات الحياة غير ذات حل، فلابد أن تنتهي كل قصة واقعية بمأسـاة غير واقعية، كأن تقول فتاة متعلمة: "أنا حرة"، وتعيش بغير عقد مع من تحب .. إلخ إلخ.

وأنت ستلحظ من خلال الفصل الذي عقده المؤلف حول هذا الموضوع أنـه لا يعارض الواقعية كمذهب، وإنما يرى أنهـا تفقد مذهبيتها حين يقصرها الكتاب على حالات فردية في المجتمع لا تتكرر إلا في النـادر، ولا تسـتكمل خصـائص وجودها إلا بما يضيفه إليها الكاتب من اختلاق وافتعال.

وليس المذهب الواقعي فحسب هو الذي يجب أن يعبر عن حياة الواقع في نطاقها الشامل، بل أحرى أن تراعي ذلك المذاهب الأدبية الأخرى، وهذا ما يؤكده المؤلف حين يقول: "فالمذاهب الأدبية جميعا ينبغي عند نقلها من مجالها النظري إلى مجالها العملي أن يراعى فيها اعتبار الشمول، لااعتبار الاستثناء والندرة ... إلخ".

ثم ماذا؟

ماذا من مآخذ أخرى لهذه الواقعية يتحدث عنها المؤلف الناقد الحصيف؟

"إن للواقعية فظاظتها من حيث إنها تغفل قواعد المجاملة والذوق والكياسة،مؤثرة عليها المصارحة بالواقع الفج الغليظ. فكل معنى يمكن التعبير عنه بقالبين: قالب عف اللفظ والعبارة، وقالب فاضح ينبو عنه الذوق، وينفر منه الإدراك السليم. والواقعيون عموما يؤثرون استخدام القالب الثاني ظنا منهم أنه أدعى إلى الواقعية، وأقرب إلى الحقيقة من القالب اللبق العف. ومن ثم جاءت مؤلفات الواقعيين بؤرة للتشبيب المكشوف في غيرما استعارة أو تلميح، و لم يعد الأديب يتعب نفسه في البحث عن عبارات رقيقة غير خادشة للحياء، بل صار يرمي الكلام رميا، ويردد عبارة الشارع في غير تحرز أو تأب...

أليس هذا هو الواقع الذي تنادي به هذه المدرسة الجديدة؟. أو ليس من صميم الحياة ذلك السباب والكلام البعيد عن التهذيب الذي تلوكه ألسنة رواد الأزقة والأحياء الوضيعة؟

وعلى هذا النحو المركز المستفيض في تشريح ما يتخلل الواقعية المعاصرة — أو أكثر ما يصدر باسمها إن أردنا الإنصاف — من مثالب وعيوب.

[ثم] يمضي بنا المؤلف القدير إلى نهاية بحثه الرائع القوي في هذا الصدد، دون أن يفوته أن يقف — قبل نهاية البحث — متسائلا: "إذا كان الواقعيون حريصين على تسجيل واقع الحياة على حقيقته دون تزيد أو نقص، فلم لا تتناول أقلامهم إلا

الصور الكالحة من صورتي المجتمع؟ ففي كل مجتمع ما هو حسن وما هو رديء، ولكن مابال الجانب الرديء هو الذي يستهوي الكتاب الواقعيين دون غيره؟

ونحن بدورنا ما أحرانا أن نسأل مع الأستاذ وديع فلسطين هذا السؤال!

٤-مع وديع فلسطين في محيط أدبه[٢٣]

جميلة العلايلي

الدارس لتاريخ الأديب الموهوب الأستاذ وديع فلسطين يدرك تماماً أن كل خاطرة أو كل فكرة من خواطره وفكراته لم تكن وليدة الساعة التي ظهرت فيها و لم تصدر في التو كتصوير لانعكاسات طارئة، ولكن الذي لانزاع فيه أن جميع أفكاره وخواطره وُلدت في أعماقه منذ كان صبيا ودون وعي منه، امتدت جذورها في جنبات نفسه وراحت تنمو مع نموه، وتتهيأ للازدهار مع ازدهار تفكيره، ونضوج عقله، ورحابة مشاعره.

ويُخطئ القارئ إذا ظن أن كل ما جاء في تراجمه أو مؤلفاته انعكاس للتطور الفكري الحديث، بل لكل كتاب مترجم أو مؤلف بذرة غرسها الواقع الذي عاش فيه منذ بدأ يتلقى العلم، حتى نضج واستوى وكشف ذهنه عن أشجار مواهبه المورقة المثمرة ...

فلولا اصطدام وديع بطريقة تدريس اللغة العربية العقيمة في مستهل حياة التلمذة الأولى لما أدرك تماماً سر انصراف الطلبة عن النطق باللغة العربية فأساتذة العربية الذين نفّروه من العربية والبلاغة والنحو والصرف مازال لهم أخوة في هذا العصر. والذي حدث له يحدث لغيره الآن، والحظ الذي ساعده وأتاح له فرصة التغلُّب على كراهية اللغة العربية والتأثر بمحاضرات أساتذة يُجيدون تحبيب الطلبة إليهم ويُلقّحون محاضرتهم بمصل التشويق والتبسيط كالأساتذة السباعي بيومي والسيد شحاته اللذين كان لمحاضراتهما الفضل الأول في اكتساح كراهيته للعربية بما

---

[٢٣] -نشر في مجلة "العلوم"،اللبنانية، السنة السادسة، عدد ديسمبر ١٩٦١م، ص١٥، ١٦، ٦٧، ٦٨.

تتسم به هذه المحاضرات من تشويق وقوة وسحر يملك الألباب، وسرعان ما تحوَّل وديع إلى هاوٍ راغب في التزوّد من معين اللغة ليستفيد ويُفيد. ولعل وديع فلسطين نفسه لايدري أن اتجاهه الصحفي والأدبي بدأ من هذه النقطة؛ نقطة التحوُّل من كراهية اللغة العربية إلى حبها كما أنه لايدري أن أفكاره بدأت حلقاتها من هذه الحلقة. فلولا اصطدامه بطريقة تدريس اللسان العربي العقيمة لما أدرك أسباب انصراف دعاة اللغة العامية عن العربية، وإيثار جماعة للشعر الحر مثلا.

ولكي نعرف على وجه التحقيق تطور وديع الفكري، يجب أن نتمشّى مع استعداده وتفكيره منذ بدأ يدرس الصحافة في الجامعة الأمريكية، فقد أنشأ نفسه ليكون صحفيا فدرس الصحافة علماً وعملاً، وزاولها زمناً غير قصير، واشتغل بتدريسها فترة طويلة، وألِفَ فيها، وقد تأثّر في حياته الصحفية بأستاذين جليلين يُكنُّ لهما كل تقدير هما فؤاد صرُّوف وخليل تابت لأنهما من أعظم رجال الصحافة في الشرق بل في العالم كله، طبقاً لأي مقياس من مقاييس التقدير الصحفي.

وقد تعرّف على كثير من أعلام الأدب والفكر مثل خليل مطران وأحمد زكي أبو شادي وإبراهيم ناجي وسلامة موسى وإلياس أنطون إلياس ونقولا الحدّاد، وقد دفعه تأثره بهؤلاء إلى تنمية هواية الأدب ومتابعة تطوُّر الفكر ليكون جديراً بمجالستهم ومحادثتهم ومبادلتهم الرأي والنقاش. وقد اقتضاه هذا إرهاقا ذهنيًّا شديداً، وصبراً وأناةً وبحثاً ليُلمَّ في زمنٍ يسيرٍ بالمؤلفات الأدبية التي فاته الاطلاع عليها منذ كان صغيراً. وليكون فوق ذلك مُعاصِراً لأولئك القادة والروّاد، ومتابعاً لما يطرأ من جديد على دنيا الأدب؛ وكان من الطبيعي أن يدعوه إبراهيم ناجي وخليل جرحس خليل لمعاونتهما في تدعيم "رابطة الأدباء"، وتقديراً لمواهبه ونشاطه انتخب نائباً للرئيس ناجي سنة ١٩٤٥، وهنا بدأت صلته بالأدباء والصحفيين تزداد وتقوى ويندفع في التيار الصحفي دون توقف كأنه مسوق بتأثير خفي لاإرادة له فيه.

وبدأت الصحف تدعوه وفي مقدمتها "الإنـــذار" و"المقطـــم" و"المقتطـــف" و"الأهرام" و"الأديب" البيروتية، وقد أتاحت له هذه الصحف فرصة التعارف بأعلام الصحافة والآداب والعلوم، واستطاع بأخلاقه الكريمة ومواهبـــه الفـــذة أن ينـــال تقديرهم وإعـــزازهم، ويحظى بتشجيعهم تشجيعا حفزه لتسجيل خواطره وآرائه في تراجم ومـــؤلفات بعد أن لمس في نفوس محبيه وعشاق قلمه مايغريه علـــى نشـــر أفكاره الـــتي تتسم بالصدق والصراحة والخبرة ـــ والتي تعكس صور التطور الذهني في جميع مراحله ـــ فكتب؛ ليتسنى لكل من يعوزه التزود من معين الأدب والنقـــد والتوجيه أن ينال حظه.

وفي الواقع أن كل ما أخرجه من تراجم ومؤلفات يعتبر مغامرة وتضحيـــة في هذا العصر الـــذي تتسابق فيه الأفكار وتتشاحن القوى لتركيز خلاصة الأفكار التي تســـير بالإنسانية نحو غايتها المثلى. وإذا كان الأدب لم يزل هواية حتى اليوم فـــإن عمله يفرض عليه مطالبا أخرى لاتمت للأدب بصلة، ولهذا كان حتما عليه أن يجتزئ في مطالعاته بما يتصل بالأدب المعاصر على صعيد عربي جامع بحيث يكاد يقرأ كـــل يكتب في الأدب العربي المعاصر وعنه من كل بلد عربي بل في المهاجر المتراميـــة. إلا أن طبيعته الأدبيةالأصيلة الكامنة في نفسه ترغمه على أن يجمع بين عمله وهوايته فلا يقنع بالمظهر الذي يرتضيه الصحفي المرتبط بعجلة الزمن السريعة الخاطفة بل يجنـــح رغم أنفه إلى الفحص والتزود ليستخلص الجوهر من وراء هذا المظهر ليثبت لنـــا أن الهواية مع الاستعداد والممارسة خير سبيل لإمداد الإنسانية بوقود الكمال المنشود في كل نواحي الحياة؛ فالأديب الباحث الهاوي يستطيع أن يفحص عجلة القيادة الأدبية كما يبحث عجلة القيادة العلمية، لمدهما (بأسباب الحياة التي) تتعطل بالإهمال وسوء التكوين.

ويمتاز وديع في كتاباته بأسلوب سلس، عميق الأثر، معبر، قادر على أن يرسم بالكلمات صور المرئيات التي تمر بالذهن خيالا، وتتجسم أمام العين حقائق واضحة

ملموسة، فيشعر القارئ أن الكاتب يصوِّر كلَّ ما يجيش بصدره، ويرسم ما جـــال بخاطره، فإذا هو يُساير المؤلف ويُشاركه ويتجاوب معه، فخوراً بتلك العبقرية الـــتي تجسَّمت في كاتب عربي أخلص لأدبه، وأخلص لفنه، وأخلص لرسالته، وأخلـــص لتفكيره بقدر ما وهبه الله من عبقرية.

وفي كتاب "قضايا الفكر" نلمس ارتطام قوى وديع الحقة بانفعالاته الفـــوّارة التي استلت في نفسه حماسة الغيرة على لغة وطنه، فحطّم أصفاد الأفكار الخاطئـــة، وأقام حاجزا من يقين الأفكار الصائبة بين كل فريقين متنازعين، لينتصر الحق غير آبه بتهاويل الجموع. ثائر في غير غرور أو جنون على ماضي التفكير المعوج الســـقيم، يُساند كل فكر متطور سليم، غير متردد لمساندة كل عمل إيجابي يحفظ للغة العربية مكانتها المرموقة، ويصدُّ عنها عاديات الأهوال والأضاليل.

والواقع أن كتابه "قضايا الفكر" يَعدُّ ثورة طوّحت بأضاليل الأسلوب العـــربي الرخيص — إذا جاز ما يُكتب بالعامية أو العربية المنحرفة أدباً — إلى ما وراء العدم، ليُثبت صحة الأدب العربي وسلامته وقوته.

ويمتاز وديع فلسطين بقدرته على ضبط مقاييس الأدب الذي رسمه في هذا الكتـــاب مترفعاً بأسلوبه لينفذ إلى القلوب كي يبلغ غاية ما يرمي إليه دون أن يعمد إلى الجدل المملّ، حريصاً على أن يصل بالقارئ إلى الهدف المنشود.

وطريقة بسط قضاياه منهجية؛ يصوِّر المشكلة في صراحة، ثم يُعالجها، ثم يحدد معالمها ويتجول بقارئه في كل نواحي الحياة ليطلعه على ما يريد وما لايريد سعيداً بأن يهب غيره من زاد فكره ما يشبع نهم الفكر المحروم من الزاد، وجرأته في مواجهة الواقـــع تشهد له بالشجاعة الأدبية النادرة، فلا يقف كما وقف غيره ليتأمل موكب عشاق العامية وهم يسيرون في غير خجل بجانب عشاق العربية، بل يُمعن في تنوير العقول وتنبيهها إلى النفور من العامية، وعدم استعمالها كلغة قومية جديرة بالاعتبار، حانقاً على أولئك الذين يسيرون في ركب الحضارة والتقدم ويتخاطبون بالعامية، متشبثـــاً

بضرورة التمسك بالفصحى التي تجمع بين أبناء العروبة. وقد وضع حدا للصراع القائم حين صور لهجات العامية التي لا ضابط لها ولا صلة بينها، وهي بغير ماض أدبي عريق، والتفاهم بالعامية بين أقطار العروبة؛ وذلك لأن اللهجة المغربية تختلف عن اللهجة الصعيدية المصرية، وتلك تختلف عن اللهجة من دلتا النيل، واللهجة المصرية تختلف عن اللهجة السورية، كما تختلف هذه اللهجات عن اللهجة العراقية، أو السعودية، أو السودانية، أو الأردنية.

"هل كسدت الضاد حتى صار العباقرة في زماننا يدعون إلى هجرها؟ إن الضاد كما قال الشاعرالقروي رشيد سليم الخوري، هي لغة العروبة، اللغة الخصبة الخلاقة المطواع، لغة أهل الجنة التي اتسعت لرسالة الرحمن، اللغة التي ملكت فصحاها ألسنة أفذاذ الأدب العربي، وألفت بين قلوبهم من كل قطر سحيق، والتي يتناشد ألحانها بلابل الشعر من الخليج العربي إلى المغرب الأقصى إلى كل مغترب قذيف، فتجاوب قلوبهم أصداءها، وتعلو على كل صوت شعوبي نكير. بها التفاهم، وبها الألفة، وبها الوحدة. فيها القوة فالهيبة فالسلم المقيم، كل عادل إلى العامية عنها مبشر بها دونها إنما هو كافر بها وبكم أيها العرب، دساس عليها وعليكم، كائد لها ولكم، عامل على قتلها وقتلكم".

ويأبى أن يتهاون مع المتهاونين تاركين أبناء الشعر الحر يتطاولون على أبناء الشعر الموزون آنا، أو يتعرضون لهجومهم أحيانا، تاركا للقارئ حرية الأخذ بالرأي الذي يتمشى مع مزاجه واستعداده، مصورا له ملامح وجه كل منهما، وله أن يكتفي بمن يحب. فهو يقول إن: "تجريد الشعر من قافيته ووزنه كتجريد المصباح من سلكه المضيء، أو كتغيير دقة الساعة فلا تدق دقا رتيبا بل تدق حسب الهوى؛ وللمرء أن يتصور مصباحا خلوا من سلك مضيء أو ساعة بلا ضابط. فهذه الرتابة في الشعر التي تجيء في تضاعيف الأوزان هي سر إعجاز الشعر، بل هي سر العبقرية الخالدة على الأجيال والقلوب التي لاتهتز إلا بالنغم ذي الوحدة ولا تتأثر بالنشاز. إن

الشعر بلا قاعدة بدعة من الشعر، فالكلام الحر المرسل لا يخرج عن نطاق النثر مهما جمع بين موسيقا الشعر وجودة الأداء".

ويعطي وديع مثلا لتأثير البيئة العلمية التي عاش فيها منذ التحـــق "بـــالمقطم" و"المقتطف" فبرز في تحرير هاتين الصحيفتين، وكان من أنبغ أبناء مدرستهما، بـــل استطاع أن يعكس أضواء تعاليم مدرسة"المقتطف" التي حملت رسالة العلم والفكـــر والأدب خلال ثمانين عاماً فيما أنتج ونشر من مقالات ومؤلفات لذلك لم يقف قلمه عند النقد والتوجيه الأدبي بل جال في ميدان العلم والصناعة، وراح يربط بين الأدب والعلم، ويدعو لرفع المستوى اللغوي في جميع مهام الحياة، واســـتغلال الترجمـــة إذا اقتضى الأمر.

"لا ريب أن اللغة العربية على غناها في حصيلة الأدب والشريعة والاجتمـــاع والفلسفة لاتزال فقيرة في حصيلة العلوم الحية ولا سيما العلوم الحديثة كعلوم طبقات الأرض، والطبيعة، والأحياء، والنبات، والعلوم النووية والهندسية ... إلخ. وللكثيرين من العلماء المتقدمين والمعاصرين فضل في تغّذية اللغة العربية بالمصطلحات العلميـــة. والذي نراه أن الأولوية في المصطلحات ينبغي أن تكون للترجمة؛ فإن جازت ترجمـــة مصطلح إلى اللغة العربية ترجمة سهلة تُودي المعنى أداءً تامًّا وجب تبنِّي الترجمـــــة، فإذا تعذّرت الترجمة لسبب ما فليلجأ إلى التعريب، والأصوب إحياء الاصطلاحـــات العربية القديمة التي استعملتها العرب. فإن أُغلقت جميع المســـالك وسُـــدَّت جميـــع أساليب المصطلحات فلامناص من إبقاء اللفظ اللاتيني على ماهو عليـــه، علـــى أن الزمن كفيل بحل قضايا المصطلحات العلمية وكفيل بإقرارهـــا، لأن المصطلحـــات كالعملة التي يتداولها الناس، الجيد لايقف في سبيل تداولهـــا شيء، ويُثبـــتُ ذلـــك استعمال العلماء اليوم لفظة "الذرة" بدلا من لفظ "الجوهر الفرد"، مع أن "الجوهـــر الفرد" أصح من الذرة تعبيراً وأدقّ معنى من ناحية اللغة، ولكنـــهم رجّحـــوا الأولى لسهولة مأتاها، ولجريانها سريعاً على الألسنة".

ويلفت الكاتب نظر أساتذة كليات العلوم في الجامعات إلى ضرورة لفت نظر الطلاب إلى ما وضع بالعربية من مصطلحات تقابل نظيراتها الأعجمية، وبهذا نبقـــي على صلاتنا بتطور العلوم الحديثة، ونحاول أن نزيد لغتنا العربية ثروة في المصطلحات الجديدة. ولا ينسى وديع أن يعالج مشكلة قواعد اللغة العربية التي واجهته في مستهل صباه في براعة حريصا على التمسك بها ، متلطفا بأساتذة الجامعة الـــذين يفاخرون باللغة العامية، وكان أحرى به أن يقسو عليهم فإن الترفق لا يشحذ قواهـــم وهـــم المصباح الذي يهتدي بهديه أبناء هذا الجيل! ولعل همساته في أذن الإذاعة تفيــــد ..

وإمعانا في خدمة اللغة يعالج أزمة الهجاء فيدعو المشتغلين بالكتابة إلى ضرورة معرفة كتابة الألفاظ والكلمات معرفة تامة وعلى من لا يجيد الكتابة الانصراف إلى عمـــل آخر.

وهكذا طاف بأبناء العروبة ــ القراء والكتاب ــ في جميع مراحل الأدب .. على القارئ أن يعرف أزمة الطباعة ليرحم الكاتب وعلى الكاتب أن يتخير أنجـــح الوسائل وأبرز الحروف كي يتسنى للقارئ أن يستمتع ويستفيد راسما منهجا لتوحيد كلمات الطباعة وتشكيلها.

ورأيه في المعركة التي قامت منذ زمن بين الحروف اللاتينية والحروف العربيـــة رأي سديد يجب أن يؤخذ به وهو التمسك بتعلم قواعد اللغة كي تهـــون القـــراءة السليمة، كما عالج في براعة معركة الالتزام الأدبي وضرورة تجنيد الأدباء والشعـــراء لعلاج مشاكل المجتمع على مختلف ألوانه وبيئاته.

ولا أحسب كاتبا استطاع أن يصور الأدب الواقعي وما يتصـــل بـــه مـــن مسميات أخرى كما صوره وديع فلسطين ورغبته الصادقة في تطهير الأدب من تأثير الانفعالات التي تبلبل الأذهان ةتحرض المراهقين على الإســـفاف، وغربلـــة الأدب الجدير بالاعتبار من شوائب جنوح الغرائز الطائشة. واتزان تفكيره واعتدال حكمه أقاما ميزانا للحكم بين مدارس الأدب المختلفة، غير متأثر بنقد فريـــق دون فريـــق،

فكشف الستر عن خبايا كل مدرسة وما ينطوي تحتها من صحيح أو قبيح، ويكفي الكتاب والقراء أن يقرأوا رأيه في "الإبانة والرمز" ليقف كل منهم عند الحدّ اللائـــق بالأدب السليم.

و لم تقف ثورته الفكرية عند هذا الحد، بل شملت أسلوب الإثـــارة والمنـــهج العلمي، وكاتب الأمس وكاتب اليوم، وانحراف رسالة النقد، ومكـــان المســـرحية خالٍ، والترجمة إلى الضاد، وأزمة الكتاب العربي، وأهناك محنة أدبية؟، والفكر بـــين الأرستقراطية والغوغائية؛ وفي كل باب من هذه الأبواب دراسة وافية شاملة، وهو لا يعرض المشكلة فحسب، بل يرسم خطوطها منذ نشأت حتى اســـتقرَّتْ، مقدِّمـــا اعوجاجها داعياً لإصلاحها بالوسيلة والأسلوب اللذين يتفقان مع تحقيق الهـــدف الذي يرتجيه والذي يجب أن يكون. وهو بهذا الكتاب كما قلنا وضع أقوى دســـتور وأسلم منهج للأدب العربي المتطوِّر والفكر المتوثب للطفرة في شجاعة لاتهاب النقد، لأن حماسته الصادقة وعقيدته الراسخة ودعوته الصارخة لإرساء قواعد اللغة العربية وتعبيد طريقها حتى يتسنّى لأبناء العروبة التزوُّد من ثروتها الزاخرة والمباهاة بتراثـــها العزيز الغالي، وهو في كل مترجم أو مؤلف خرج به علينا فتح أمامنا أُفقاً من آفـــاق الوعي والإدراك والحس واليقين ... فالتمسك باللغة العربية من مقومات العروبـــة الأصيلة والتغلب على أهواء النفس المتطلعة إلى التأثر بالأدب الرخيص يجب أن ينبثق من أعماق كل عربي يعتز بلغته وكيانه وإنسانيته. ويقيناً ان مابذله الكاتب الموهوب الأستاذ وديع فلسطين من جهد لتدعيم الفكر العربي الحر والدعوة إلى التمسك باللغة العربية واتخاذها أداة لتنشيط قُوى المجتمع العربي ليزداد ثراءً روحيا ومتعة معنوية تفتح أمامه أبواب الخير والطمأنينة، وهذا الكفاح الدَّائب في سبيل إعـــلاء شـــأن الأدب العربي حبَّبه إلى كل قلب حتى يُخيَّل إليَّ أن كل من يتعرف عليه حديثا أن تقديـــر الناس له مرجعه إلى خُلُقه وصفاء قلبه، فإذا تعرَّف عليه وقرأ له عـــرف أن خُلُقـــه

يتمشّى مع أدبه رغم أنه بحكم عمله يستوعب معصم وقته بعيداً عن ميدان الأدب في الظاهر وإن كان في الواقع يعيش بفكره ومشاعره في دنيا الأدب لايبرحها أبداً.

وللحديث شجون:

٥-الجاحظ، وزكي مبارك، ووديع فلسطين[٢٤]

عبد العزيز الرفاعي

في أحاديثي هذه أتيت على ذكر الجاحظ، وزكي مبارك، علمين من أعـــلام أدبنا العربي أحدهما قديم، والآخر جديد. ضربتهما مثـــلا مـــن أمثلـــة الميـــل إلى الاستـــطراد، الاستطراد مع حلاوته وبراعته. وإن القارئ يتقبله قبولا حسنا، إن لم أقل يشتاقه، و لم ألحظ حينما أتيت على ذكر هذين العلمين أهما يلتقيان أكثر مـــن لقاء؛ فالجاحظ على بعد ما بيننا وبينه من زمن يظل جديدا أو يظل طازجا كأنما هو يكتب لأهل هذا العصر، ولقد كان مقروءا في كل عصر، محبوبا لدى أهل كل زمن.

أما زكي مبارك فنجد في أسلوبه ـــ على حلاوته وطلاوتـــه ـــ شيئـــا مـــن "العتاقة" هي نتيجة حتمية لتعلقه بالتراث.

ولو فعلنا بكتابات المبارك ما فعلناه بكتابات الجاحظ، ومررناها بالتجربة ذاتها .. أي لو عرضنا مؤلفات المبارك ومقالاته على الجماهير العربية القارئة عبر القـــرون التي سلفت من تاريخ الأدب العربي ، بدءا من القرن الرابع عشر الهجري .. رجوعا القهقرى حتى القرن الثالث الهجري لوجدنا المبارك مقروءا .. مقروءا بسهولة ويسر .. بل لوجدناه قريبا إلى قلوب الجماهير القارئة.

---

[٢٤] -نشر هذا المقال بعنوان: "وللحديث شجون"، مجلة "الفيصل"، العدد٨٨، شـــوال ١٤٠٤هـــ، ص٤٢،٤٣.

وقد يقول قائل إننا لو أخضعنا أدب الكثير من أعلام أدب القرن الرابع عشر لهذه التجربة لفازوا ولا أماري في ذلك ، وإن كنت أقول إنه ستختلف مقاعد الفوز من واحد لآخر.

ولكننا سنجد المبارك مقدما بصفة خاصة عند الجاحظيين؛ فهو في بعض كتبه جاد كل الجد، وهو في بعضها الآخر هازل كل الهزل. وهو في بعض أحايينه بين بين!

وكما خصص الدكاترة زكي مبارك بابا لأحاديثه المستطردة، ذات الشجون والشؤون، وافتتح فيها أبوابا كثيرة يلج في أحدها ليخرج من الآخر — ثم يدخل من حيث خرج ويخرج من حيث دخل — فقد فعل ذلك أديب آخر، فكان له أحاديثه المستطردة، بل لقد أسمى بابه الأدبي بشيء يقرب من هذا: "حديث مستطرد"، ونشر هذا الباب في مجلة "الأديب" البيروتية.

هذا الكاتب هو الأديب وديع فلسطين.

وجيل "الرسالة" (أعني مجلة "الرسالة" الزياتية) وعشاقها يعرفون من هو وديع فلسطين، فقد كان أحدْ فرسانها، كما هو فارس من فرسان مجلة "الأديب" البيروتية العتيدة.

والوديع كاتب عملاق، واسع الثقافة، رحب الاطلاع، قلّما يصدر كتاب ذو بال في اللغة العربية أو الإنجليزية إلا ولديه عنه علم، أو له به اطلاع، أو عليه فيه نقد أو تعريف.

والوديع لايزال وثيق الصلة بمجلة "الأديب" لصاحبها الأديب الشاعر اللبناني ألبير أديب، وإن كانت هي الآن ليست وثيقة الصلة بالصدور؛ فقد أثّرت عليها أحداث لبنان الدامية فيما أثرت من ذلك الكيان الحضاري الباذخ في لبنان، ولكنها ما تنفك تجاهد وتكافح وتناضل من أجل الصدور .. وكل ما آمل أن لا ينفك عنها أصدقاؤها من الذين عهدوا فيها ثباتها على الثقافة الأصيلة.

الوديع إذن أحد كتاب "الأديب" ولا يزال، فهو أحد أوفيائها القلائل، ولقد كان له فيها ذلك الباب الذي أشرت إليه عن الحديث المستطرد، وكان بابا طريفا، ينطلق فيه قلم الوديع حرا، فيجول هنا ويصول هناك، وكان مظهرا من مظاهر رحابة ثقافة صاحبه، وسعة اطلاعه، وحسن تصرفه ومعالجاته.

ولست بسبيل أن أعدد من المستطردين أدباء وكتابا فهذا حديث غير متخصص، وهو بالتالي غير محجور.

ولقد جرني الحديث إلى ذكر صاحب مجلة "الأديب" الأستاذ ألبير أديب، فذكرت عنه ما ذكرت من فضائله وكفاحه من أجل المداومة على إصدار مجلته الراقية الصامدة حوالي نصف قرن من الزمن.

إن قصة "الأديب" وصاحبها أديب، قصة رائعة حقها أن تكتب، وأن تكتب بإسهاب، وأن يتولى التأريخ لها قلم ذو اطلاع .. يعرف من تفاصيل حياتهما ما لا أعرف، فلست أعرف عنهما إلا القليل، ولهذا فإنني غير مرشح للقيام بمهمة جليلة كهذه. ولكن يكفي أن أذكر عن هذه المجلة شيئا مما أعرف ,, أو مما تسعف به الذاكرة، ولكني أحسب أن نفس القول في هذا الشأن سيطول .. وهو جدير بأن يخصص له فصل خاص من هذه الفصول فإلى حديث قادم إن شاء الله.

٦-قضايا الفكر في الأدب المعاصر([25])

حسني سيد لبيب

رغم أن المفكر وديع فلسطين كاتب مقل، عزوف عن ارتياد مجتمعات الأدب ومنتدياته، زاهد في انتشار اسمه بصحف الأدب ودورياته، إلا أنه كاتب مستنير، لايكاد أديب لايعرفه، سواء من جيل الشيوخ أو الشباب، فصلاته متينة بالجميع، و لم يعقه كبر السن عن مجاراة الأحداث الأدبية، والتواصل الثقافي.

يتضمن الكتاب مجموعة من المقالات في مختلف قضايا اللغة والأدب والصحافة والفكر والترجمة. والكاتب لايستأثر برأيه، وإنما عمد إلى طرح آراء كوكبة من الأدباء والمفكرين، ثم خلص في النهاية إلى خلاصة تتضمن رأيه.

وموضوعات الكتاب تكشف عن تجارب الوديع في ميادين الصحافة والأدب والترجمة. فهو صحفي كان يكتب في "المقتطف" و"المقطم" في أربعينيات هذا القرن، كما أنه أديب يدبِّج الدراسات في شتى قضايا الأدب، وهو مترجم للعديد من الكتب منها: ترجمته لمسرحية "الأب" للأديب السويدي أوجست ستريندبرج عام ١٩٤٥، وكتاب "استقاء الأنباء فن".

حول قضية "العامية والفصحى" يقول: "والدعوة إلى العامية دعوة امتهان للغة العربية، وامتهان التفكير عموماً". ويقول: "إن اللغة التي يُعتد بها في شأن من شؤون الحياة الفكرية العربية هي لغة الضاد الفصيحة. فهي لغة التعبير في الكتابة والخطابة

[25] - نشرت هذه المقالة في مجلة "الفيصل"، العدد (١٠٣)، محرم ١٤٠٩ ــ أكتوبر ١٩٨٥ــ ص ١٤٢، ١٤٣.

والمحاضرة والمحادثة والتمثيل والتعليم، وهي لغة الأدب ولغة العلم ولغة الفلسفة ولغة الاقتصاد ولغة الحياة الفكرية جميعاً".

وحول "الشعر الحر والشعر الموزون" لايرضى بأنصاف الحلول، وحَسَمَ القضية لصالح الشعر الموزون، الذي عرفته العربية عبر الأعصر والقرون، لأن "الشعر إذا فقد خصائصه الأصيلة لم يعُد شعراً بل يُصبح شيئا آخر للمرء أن يُسميه نثراً مشعوراً، أو شعراً منثوراً أو مرسلا، ولكنه لن يكون شعراً بالمعنى الذي عرفته اللغة العربية، والأدب العربي في تالد مجدهما".

ويُؤيد هذا لرأي بقوله: "فانفلات الشعراء المحدثين من قيود الوزن والقافية، وتخلُّصهم قبل ذلك من سلطان قواعد اللغة، ونفورهم من المعاجم، واصطناعهم ألفاظاً وأساليب مبهمة، وتعلقهم بالرمز ... كل هذا يُبعد بينهم وبين المألوف المعهود من الشعر فجاء نتاجهم على درجة كبيرة من الشذوذ، وكان وقْعُهُ على الأُذن غليظاً، غير باعث على الطَّرب". وهو لايُنكر الشعر الحر، ولكن يختلف في التسمية، فلا يصح أن ننسب الكتابة البعيدة عن مقومات الشعر إلى الشعر. وعلينا أن نضع لها اسماً آخر تندرج تحتها، وتكون لوناً من ألوان الأدب.

ويكتب مدافِعاً عن حرية الأديب ضد أي التزام يُفرضُ عليه، ويشحذ قلمه منتقداً الأدب الواقعي، بما يعنيه من عرض الحياة العادية بأسلوب خالٍ من الخيال، وأصحاب هذا المذهب جنحوا إلى كل ما هو شاذ في الحياة، والنزول إلى أسلوب الدَّهماء، وتصوير المنحرفين، ومخاطبة الغرائز، والترخص في عرض القيم الإنسانية.

وفي "الإبانة والرمز" دبج يراعه فصلا رائعاً، استهله بالحديث عن المدارس الأدبية، وصور لنا مدى الضر إذا صنَّفْنا الأدباء وفق هذه المدارس؛ فالأديب قد يجمع بين مدرستين أدبيتين، أو تتبع كتاباته في فترة ما مدرسة معينة، وفي فترة أخرى مدرسة ثانية. وضرب مثلا بالشاعر إبراهيم ناجي.

ثم تطرق إلى الحديث عن الرمزية، وكيف صارت إيغالا في الغموض، مما يستغلق على الأفهام. وانبرى في الحديث عن الرمز كعنصر جمالي مطلوب في الأدب، فحدد الرمز بأنه رمز بسيط غير مركب ولا معقدالتركيب، وأن تكون معانيه دانية القطوف ... وربما لجأ الأديب إلى الرمز هربا من العواقب.

ويعلل تفشي السطحية بين الكتاب إلى أن كاتب اليوم قليل القراءة، كثير الإنتاج. كماتحدث عن انحراف رسالة النقد على أيدي فئة من النقاد يوزعون الاتهامات لكل من خالفهم في الرأي، بعيدين بذلك عن الموضوعية والحيدة، وبالتالي تباعدت المسافة بينهم وبين الأصالة فيما ينقدون.

وتطرق إلى التأليف المسرحي، وكيف أن الضاد لم تعط هذا الفن اهتمامها، وبذلك تقلصت النهضة المسرحية، وأرجع الكاتب قلة ذلك إلى عدم إقبال الناشرين على طبع المسرحيات.

وتطرق إلى الترجمة وبحكم ترجماته المتنوعة في الآداب والعلوم يصبح من الأهمية بمكان استيعاب آرائه. وقد عدد عيوب بعض الترجمات التي لاتلتزم بالأمانة، أو يضطرب فيها السياق، أو لايوفق المترحم في ترجمة المصطلحات مما يحدث خلخلة، وحدد أسباب هذه العيوب فيما يلي:

١ ـــ فقر في الخبرة في ميدان الترجمة، وعدم الإلمام باللغتين أو بإحداهما.

٢ ـــ افتقار المشرفين على الترجمة إلى ما أسماه "بالضمير الأدبي".

وطالب بأن يصير الاهتمام الأول في الترجمة إلى المصادر والمراجع، والتصدي لترجمة مالم يترجم قبلا، ودعا إلى التخصص.

وقد كتب مقدمة الكتاب الأستاذ محمد عبدالله السمان معرفا بالكاتب والكتاب.

٧-مقالتان عن سفير الأدباء

الدكتور حلمي محمد القاعود

١- حين يأتي التكريم من خارج الحدود[٢٦]

نشرت الصحف منذ أيام أن مجمع اللغة العربية في دمشق انتخب الأديب **وديع فلسطين** عضوا مراسلا للمجمع، تقديرا لمكانته العلمية والأدبية .

وقد أحسست بمزيج من المشاعر عند قراءة الخبر، وسعدت لأن أديبا كبيرا حقا كرمته هيئة علمية كبيرة في دولة شقيقة، وأسفت لأن هيئة علمية كبيرة أو صغيرة في مصر لم تلتفت إلى الرجل، أو تذكره بخير أو شر!.

ويبدو أن قدر بعض الأدباء أن يعيشوا حياتهم: يعملون في صمت ومثابرة وجد، ويخدمون الوطن بعيدا عن مهرجانات الإعلام والدعاية، ثم يذهبون في صمت أيضا دون أن ينالوا في حياتهم كلمة تقدير، أولفتة تكريم، وأحسب أن الصحافة الأدبية في بلادنا مسؤولة عن ذلك إلى حد كبير، فبعض الصفحات الأدبية لا تهتم إلا بمن يجري وراء محرريها، وبعضها لايعنيه ما يحدث على الساحة الأدبية ويترك المسألة للظروف، وفي هذا الوضع تختل الموازين، وتهدر القوى، ونرى كبارا يؤولون إلى الظل، وصغارا يلمعون تحت الأضواء.

ولو أننا سألنا بعض القائمين على الصفحات الأدبية: ماذا تعرفون عن **وديع فلسطين** ؟ لما أجاب بشيء، والأمر ينطبق تماما حين نسألهم مثلا عن **محمد رجب البيومي**، أو **جميلة العلايلي**، أو **حسين مجيب المصري**، أو **نجيب العقيقي**، أو **محمد عبدالله عنان**، أو **أنور الجندي**، أو **محمد عبدالحليم عبدالله**، أو **أمين يوسف غراب**،

---

[٢٦] -نشرت هذه المقالة في جريدة "الجمهورية" (القاهرة) _ ١٩٨٦/٤/٦. وأعيد نشرها في مجلة "الضاد"(حلب) ، عدد آيار ١٩٨٦ ، ص ص٢٦-٢٨.

أو **علي أحمد باكثير**، أو **محمد غنيمي هلال**، أو **محمد عوض محمد**، أو **أحمد زكي** .. أو .. أو ..

والقضية تحتاج في رأيي إلى تدعيم روح السماحة في الحياة الأدبية، وهو معنى أقرب إلى الديمقراطية، بحيث تتاح الفرصة لكل التيارات أن تظهر أمام الناس، وتبذل جهدها ونشاطها بصورة متكافئة في القنوات الإعلامية المختلفة. ولا أعتقد أن الدولة وحدها تستطيع أن تحل هذه المشكلة، والذي يستطيع أن يُسهم بدور فعـــال هـــم الأدباء أنفسهم الذين يملكون القنوات الإعلامية في الصحافة والإذاعة والتليفزيـــون، وعليهم أن يخففوا قليلا من منطق المصالح المتبادلة حتى يستطيع شعبنا أن يتعرف على أدبائه وعلمائه، ويحكم عليهم، ويُقارن بينهم، وحكمه دائماً هو الصحيح.

أعتقد أن هناك سؤالا يقول: من هو **وديع فلسطين** الذي تحدثنا عنه، وأقول إنه أديب مصري، وُلد في عام ١٩٢٣ بمركز "أخميم" محافظة سوهاج، وتخـــرج في الجامعة الأمريكية عام ١٩٤٢ كتب عنه مؤلف "من الأدب المقارن" أنـــه يشتـــهر بدماثة الخلق، وموضوعية البحث، ودقة الترجمة المتنوعة في المجالات الثقافية والقانونية والاقتصادية والسياسية، وفي كتاباته دافع عن العروبة واشترك في تحرير عـــدد مـــن الصحف السيارة من بينها: المقطم، والأهرام، وأخبار اليـــوم، والإنـــذار، والمجلـــة المصرية، والصباح، وصوت الشعب، ومنبرالشرق.

وقد كتب **وديع فلسطين** في عدد من المجلات المتخصصة، مثل: المقتطـــف، والأديب، والعلوم، والرسالة، وقافلة الزيت، والأقتصاد والمحاسبة، والعرفان ، والضاد ... كما راسل معهد الشؤون العربية الأمريكية في نيويورك، وكان هـــذا المعـــهد يهدف إلى تعريف الأمريكيين بالقضايا العربية، واختير أيضا عضو شرف في معـــهد آسيا بواشنطن.

وعندما تذكر رابطة الأدباء، فإنه يُذكر من مؤسسيها الشاعر **إبراهيم نـــاجي** و**وديع فلسطين**.

وللأستاذ **وديع** عدد من المؤلفات، أشهرها مســـرحية "الأب" لســـترندبرج، و"قضايا الفكر في الأدب المعاصر" ،و"استقاء الأنباء فن: صناعة الخبر"، و"فلســـطين في ضوء الحق والعدل"، ونشر مجموعة شعرية **لأحمد زكي أبو شادي**.

إن التكريم حين يأتي من خارج الحدود ينبغي أن ينبهنا إلى ضرورة البحث عن أعلامنا ومن ينتظر أن يكونوا أعلاماً في المجالات الجادة والمثمرة، وينبغي أل ننتظرهم في مكاتبنا يبحثون عنا لنكتب عنهم أو نشير إليهم. وتقدير الأعلام لا ينقص مـــــن كرامة المُقدِّر، بل يرفعها إلى عليين، لأنه أنصف من يستحق الإنصاف، وأكرِمْ بخلة الإنصاف من خلة في عالم السلوك والأخلاق والآداب ".

٢-وديع فلسطين .. سفير الأدباء([٢٧])

وديع فلسطين (ولد عام ١٩٢٣) أديب كبير يُقدِّره الأدباء العرب حق قدره، وإن لم تلتفت إليه الأجهزة الثقافية في مصر فتُعطيه بعض حقه عليها، كما تفعل مع أشباه الكتاب والأدباء.

ولعل السرَّ في ذلك أن الرجل يحترم نفسه، ويربأ بها أن تقف علــــى بـــاب مسؤول هنا أو هناك، ويدّخر جهده ووقته في العمل والإنتاج، فضلاً عن مســـاعدة الباحثين بالمادة العلمية والمراجع الأدبية في أي مكان كانوا، وأي زمان طلبوا.

وكان من الوفاء الجميل أن يقوم صديقي الشاعر الأديب الدكتور **حسين علي محمد** بإخراج كتاب تذكاري عن الرجل تقديراً لدوره وتعريفاً بمكانته بعنوان "سفير

---

[٢٧] -نشرت في "المساء الأسبوعية"، العدد (١٥٠٨٢)، الصادرة في ١٩٩٨/٨/١٥م، ص١٠.

الأدباء: وديع فلسطين"، وينشر هذا الكتاب على نفقته الخاصة ضمن سلسلة "أصوات مُعاصرة"، فيُقدِّم الرجل تقديماً جيداً من خلال كتاباته ومؤلفاته، ومن خلال ما كتبه عارفو فضله وأدبه في مصر والأقطار العربية والمهاجر الأجنبية.

والسفارة الأدبية لدى **وديع فلسطين** هي تواصل حميم بين عشاق الكلمة الصادقة وأصدقاء الحرف النقي في مصر أو خارجها، وقد قضى **وديع فلسطين** أكثر من نصف قرن سفيراً للأدباء، يُكاتبهم ويكتبون له، ويقرأ لهم ويكتب عنهم، ويُعرِّف بهم. وكان من أوائل الذين كتبوا عن **نجيب محفوظ**، وأوائل الذين ترجموا المسرح السويدي، ومازال أقدر المترجمين في بلادنا على الترجمة الأدبية الراقية، التي تفي بالمضمون الأصلي للنص مع صياغته صياغة أدبية جميلة. كتب عنه شاعر أبولُّو الكبير الدكتور **أحمد زكي أبو شادي**، فقال: "هذا الأديب القبطي الإنساني النابه من مفاخر الجيل الحاضر في مصر، وهو جوهرة شريفة متألقة في تاج الأدب العربي الحديث ". (جريدة الهدى، نيويورك، العدد ١٤٤، في ١٨/٩/١٩٥٠).

ويصفه الأستاذ **محمد سعيد العامودي** ــ الكاتب السعودي الكبير ــ "بالكاتب العربي الواسع الاطلاع، والأديب الباحث المفكر، ويرى أنه ليس غريباً أن يكون أبرز ما تتسم به بحوثه: الأصالة والموضوعية" (مجلة المنهل، جدة، أغسطس ١٩٦٠م).

لقد تخرّج **وديع فلسطين** في قسم الصحافة بالجامعة الأمريكية عام ١٩٤٢م، وكان من أوائل الذين حملوا شهادة البكالوريوس في الصحافة من مصر، وعقب تخرجه عمل بجريدة "الأهرام"، ثم انتقل عام ١٩٤٥م إلى جريدة "المقطم" في أواخر عهدها، حيث عمل محررا فرئيساً للقسم الخارجي، فمحرراً سياسياً ودبلوماسيا، وناقداً أدبيا، ومعلقا اقتصاديا، ورئيساً فعليا للتحرير دون أن يُكتب ذلك في "ترويسة" الصحيفة، بجانب مشاركته في تحرير "المُقتطف": المجلة العلمية الأدبية

المعروفة، وظل بالمقطم حتى توقفت عام ١٩٥٢م، فترك الصحافة وتفرّغ للكتابة الحرة وأعمال الترجمة.

والرجل من مدرسة أدبية جادة تؤمن بالصدق والإتقان مهما أنفقت من جهد ووقت ومال، يُتابع ويقرأ، ويسعى إلى المزيد من الاطلاع حتى يومنا هذا، بعد أن تجاوز الخامسة والسبعين. كل ذلك إلى جانب عمله الأصلي الان في مجال الترجمة، كما سبقت الإشارة.

وقد قدّم للمكتبة العربية عدداً كبيراً من الكتب المترجمة، منها "الأب" مسرحية **لأوجست ستريندبرج**، و"فلسطين في ضوء الحق والعدل" **لهنري كتن**، و"جعفر الخليلي والقصة العراقية الحديثة" **لتوماس هامل** (بالاشتراك)، و"أوليفر وندل هولمز القاضي الشاعر الأمريكي"، و"على درب الحرية" **لمارتن لوثر كنج**، و"استقاء الأخبار فن: صناعة الخبر"، و"العلاقات العامة فن"، و"تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط"، و"مقدمة إلى وسائل الاتصال".

ولقد كتب **وديع فلسطين** كثيراً من الفصول حول القضايا الأدبية، وتناول في سلاسل متعددة كثيراً من القضايا الثقافية التي تعني الأدباء والقراء عامة، ومنها سلسلة أحاديثه المستطردة التي بدأ كتابتها في مجلة "الأديب" اللبنانية، ويكتبها الآن في جريدة "الحياة" التي تصدر من لندن، ويُعرِّف في هذه الأحاديث بأعلام الأدباء المعاصرين الذين التقى بهم أو حاورهم، أو عرفهم من قرب. ومادة هذه الأحاديث مرجع مهم في ميدان البحث الأدبي والعلمي والثقافي.

ومن المفارقات أن مجلاتنا الأدبية العريقة في مصر والبلاد العربية اهتمت بالرجل فجأة عقب مقال كتبته **صافي ناز كاظم**، فراحت هذه المجلات تطلب منه أن يُوافيها بمقالاته لتنشرها، وتُلح في الطلب! ولا أدري هل تمتد هذه المفارقات إلى أن

تعهد هذه المؤسسات إليه بترجمة عمل أدبي كبير سواء في المشروع القومي للترجمة، أو الألف كتاب الثانية أو غير ذلك؟

أعلم أنه يتعفّف عن الطلب، أو إبداء الرغبة، لأنه ينصرف كلية إلى أعمالـــه الخاصة التي تُغنيه عن البشر (المسؤولين وغير المسؤولين). ولكن وطناً يُقدِّر أبنـــاءه لابد أن يلتفت إلى الرجل بطريقة أو أخرى.

إن **وديع فلسطين** من جيل عرك الحياة، واحترم القيم الرفيعة، بل اعتنقها حتى صارت جزءاً من سلوكه وفكره، ومن واجبنا أن نُقدِّمه للأجيال الجديدة التي لا ترى أمامها إلا نماذج الفهلوة والتسلل والنفاق والمصالح المتبادلة، وغاب عنها ــ أو غُيِّبت عنها ــ نماذج العمل والكفاح والأخلاق الرفيعة والمُثُل العُليا!

٨-حكاية بانوراما شعرية[٢٨]

محمد صالح

البانوراما يُقدِّمها مركز الأهرام للترجمة والنشر، متميزة بالابتكار والعمق، فهي دراسة عميقة عن الشعر العربي بالتركيز على إبداعات ٣٥ شاعراً معاصراً ينتمون إلى ١٩ بلداً عربيا، وبطل تلك البانوراما هو الأديب الكبير وديع فلسطين ذو الدراسات البالغة القيمة في الأدب العربي. إنه هو الذي اختار أسماء ١١٢ قصيدة لهم انتقاها من بين عشرات الدواوين ومئات القصائد مراعيا أن تكون ممثلة لكل فنون الشعر ومدارسه وأغراضه، وذلك لتعبر بصدق وأمانة عن واقع الشعر في عالمناالعربي المعاصر، وبذلك تتحقق المتعة لعشاق الشعر الجيد الأصيل، وأيضا تتاح الفرصة أمام من يودون دراسة الشعر.

مع الباقة الفريدة من القصائد للشعراء الذين اختارهم الأستاذ وديع فلسطين يتصدّر الكتاب دراسة شاملة تُحلل وتشخِّص حال الشعر إلى جانب تقييم القصائد التي يقدمها الكتاب كاملة. وهو في تقييمه وتحليله يبلغ القمة التي لا يصلها إلا الباحثون الذين يجمعون بين التعمق في الدراسة وامتلاك ناصية اللغة والتذوق الشعري معاً.

بين الذينن تلتقي بهم في البانوراما الشعرية الفريدة الصادرة عن الأهرام:

الأردني عبدالمنعم الرفاعي الذي كان يحرص على أن يكون من كبار الشعراء وفحولهم بفخامة النظم وموسيقيته وخصوبة المعاني، والتونسي

---

[٢٨] -مجلة "الضاد"، (حلب)، العدد (١٠)، تشرين أول ١٩٩٥.

أبوالقاسم الشابي الذي ذاع صيتُه ببيتين من الشعر يُكوِّنان النشيد الوطني لبلده:

إذا الشّعبُ يوْماً أرادَ الحياةْ   فلابُدَّ أنْ يَستجيبَ القدَرْ

ولابُدَّ للّيلِ أنْ ينْجلي   ولا بدَّ للقيْدِ أنْ ينكَسِرْ

والفلسطينية فدوى طوقان بشعرها الذي يُعتبرُ بعثاً واقعيًّا للحياة بلا افتعال أو زيف. واللبنانيان: إلياس أبوشبكة شاعرالهوى، وبشارة الخوري (أو الأخطل الصغير) صاحب أعذب الألحان الشعرية التي تتغنَّى بجمال حوَّاء، ولعلّنا نذكر له رائعته التي غناها عبدالوهّاب:

الصِّبا والجمالُ ملكُ يديْكِ   أيُّ تاجٍ أعَزُّ منْ تاجيْكِ ؟

ومن مصر العمالقة: إبراهيم ناجي، وأحمد رامي، ومحمود حسن إسماعيل، وتعرض البانوراما لكل منهم ٣ قصائد. ومحمود أبوالوفا وله ٥ قصائد. ومن سورية الشعراء: عمر أبوريشة، ونزار قبّاني، وعبدالله يوركي حلاّق.

إن مختارات الأهرام من الشعر العربي المعاصر متعة للعقل والوجدان معاً.

٩-وديع فلسطين: السهل الممتنع[٢٩]

صافي ناز كاظم

اليوم أول أكتوبر ١٩٩٧ يوافق — بحمد الله — عيد ميلاده الرابع والسبعين، ومع ذلك وعلى الرغم من مسيرته الطويلة في عالم الصحافة والأدب — ٥٤ سنة تقريبا — ورغم كوني واحدة من الذين كانت حياتهم على مدار ٤٢ سنة، في دائرة الصحافة، إلا إنني لم أعرفه و لم أقرأ له، بل و لم أسمع عنه، إلا منذ أربعة أعوام حين اشتركت في جريدة "الحياة" اللندنية وبدأت أقرأه بانتظام، بل لعلي أكون أكثر دقة لو قلت إنني عندما كنت أتصفح جريدة "الحياة" اللندنية وتلقف عيني زاويته "حديث مستطرد" أبتسم وأقول: "اليوم يستحق أن أنهض له". في البداية عندما كنت أقرأ اسمه "وديع فلسطين"، وأجد في الهامش تعريفا مستمرا له "كاتب مصري"، أتعجب وأقول: من أين ظهر هذا الكاتب المصري؟ وعلى أي أرض يعيش؟

ولا أكتم أنني في البداية كنت أقفز فوق زاويته ولا أقرأها خوفا من أن يكون من كتاب الأحجار والإسمنت، وأقول لنفسي: "حديث مستطرد؟ إحنا ناقصين؟!" حتى جذبني عنوان مقالة عن الشاعر البائس محمود أبو الوفا" المنشور بالجريدة (الجمعة ١٠ فبراير ١٩٩٥)، عندها تنمرت ، وعدت أقول لنفسي: ماذا يمكن أن يكون مكتوبا عن شاعر أحبه، صاحب أجمل الأشعار للأطفال؟.

بدأت أقرأ كعادتي بتوجس، متوقعة كتابة مملة بطيئة أو رثة مليئة بالشحوم والثرثرة، أو كتابة إسمنتية مليئة بالصياغات السابقة التجهيز التي تملأ الصفحات ولا تعرف من أين تقضمها من دون أن تكسر أسنانك، تشاؤمي هذا — الذي يصاحبني

[٢٩] – نشر في مجلة "الهلال"، عدد أكتوبر ١٩٩٧، ص ص ٤٨-٥٧.

قبل قراءة أي اسم غير مألوف لدي ــ سببه التجارب المريرة مع الكتابــات الــتي صارت للأسف تغرق معظم أوراق الصحف والمجلات والأبحاث والكتــب. ذلــك التشاؤم والتشاؤب ينقشع حالا حين أجدني مسحوبة إلى داخل الأسطر من دون أي كدمات تذكر، فكيف يكون أمري حين أجدني أكتشف مراعــي كتابــة مذهلــة الجمال والإحكام، ريانة كقلب الخسة، ومفيدة كغذاء ملكات النحل؟ أقول لكــم إجابتي بحق: إنني أفرح فرحا لا يساويه إلا فرحة تجسدت أمامي مرة ــ حين كنت معتقلة سياسية بسجن القناطر ــ تجسدت في امرأة كان محكوما عليــها بــالإعدام، وجاءها خبر حكم محكمة الاستئناف بالبراءة. يا إلهي! كم هي حلوة الحياة!

قرأت قطعة الأستاذ وديع فلســطين عــن "أبوالوفــا"، وتذكــرت أغنيــة عبدالوهاب: "وبكيت على الأيام اللي فاتت من عمري، وقلت م الفرحة يــــاريتني ..."، وغيرت بقية كلمات الأغنية إلى "قريت من بدري".

وقرأت له، وقرأت، و لم أنقطع، حتى أنني في لحظات الضيق أفتح ملفه الرابض على مكتبي وأعيد قراءة بعض ما قرأت من قبل فأستعيد نشاطي وإقبالي على الأيــام الرمادية.

* * *

في كتابته ذقت خفة الظل غير المتكلفة مع الوقار والجدية، وذقــت حــلاوة نادرة في صياغته المتينة وهو يرسم بقلمه في "حديث مستطرد" ملامح لشخصيات في الأدب والشعر والثقافة والصحافة والسياسة والفكر، شخصيات من كل الأقطـــار العربية ومن كل مهاجر الدنيا، عاصرها في شبابه منذ مطلع الأربعينيات وصـــاحب مسارها حتى توفاها الله. شخصيات قد لايعرف المثقف العربي من جيلي إلا أسماءها ــ بالكاد ــ وإذا بوديع فلسطين يبعثها نابضة بالحياة والحيوية، مبرزا أبعـــادها في مرحلتها وأهميتها في تاريخنا وضرورتها لتعيها ذاكرة الأجيال وراء الأجيال.

* * *

يعقد وديع فلسطين بيننا وبين الشخصية التي يكتب عنها علاقة إنسانية حميمة تجعلنا حين نتحدث نحن عنها ــ بدورنا ــ نبدو وكأننا قد سكنا وعشنا معها ردحا كافيا من الزمن. ومهما كانت الشخصية محسوبة على نسق في التفكير أو موقف في السياسة، نختلف معه أو نعاديه، نجد أننا نتقبلها على الرغم من الخلاف أو العداء، فوديع فلسطين قادر في كل الأحوال أن يجذبنا إليه بحنين إنساني يروض ــ بجلاله وأناقته ــ نفورنا الفكري أو السياسي فيكسر من حدته.

إذا قلت إن وديع فلسطين هو "ملك" فن كتابة رسم الملامح الشخصية الأدبية والثقافية، لا أكون مغالية أو مبالغة (وإن كنت على فكرة لاأتحرج مما يبدو مبالغة ومغالاة مني في التعبير عن حبي وإعجابي بفن الكتابة الفريد والفذ عند وديع فلسطين). يا سبحان الله! من يلوم الظمآن يفرح طروبا حين يعثر على عين مياه عذبة في صحراء، مياه لم تلوثها نفايات المصانع والمحاجر والمبيدات؟).

نتبادل أنا والكاتبة الصديقة فوزية مهران مكالمات تليفونية عقب قراءة كل مقال له. أبدأ بقولي: "شوفتي؟"، فتقول: "كنت سأكلمك.." تعترف لي أنها تقص زاويته "حديث مستطرد" وتجمعها وهذا إجراء لم تقم به مع كاتب آخر من قبل. هذا التقدير يأخذ صيغا مختلفة عند كل قارئ لهذا الكاتب "الجديد-القديم" فهو لم يكف أبدا عن الكتابة على طول مشوار حياته الأدبية والصحفية على الرغم من النوازل والمعوقات والعقبات والسدود والحواجز والحصار الذي عانى منه منذ ديسمبر ١٩٥٢، عندما أغلقت الدار الصحفية التي لمع على صفحات جريدتها المسائية اليومية "المقطم" ومجلتها الشهرية "المقتطف" ــ وهي الدار الثانية في أقدمية إنشائها بعد دار جريدة "الأهرام". وهكذا كان على وديع فلسطين، وهو في أوج شهرته ونبوغه الصحفي ــ وعمره ٢٩ سنة فقط ــ أن يواجه الاضطهادات والافتراءات ويحاول رغم كل الثلج وكور النار أن يسبح فوق الأمواج المعادية

والمتلاطمة شراعه وقاربه ومجدافه ورايته: قلمه الأصيل الجميل، وإخلاصه الشديد للغة العربية.

أقف أمام بعض مفرداته وأندهش لأنني لاأذكر أني قرأتها إلا في بعض آيات القرآن الكريم، ينتقيها بتذوق ويضعها — كالصائغ الماهر — في مكانها المناسب تماما، وحين تفاجئك كلمة مثل "ولا يؤوده" في توظيفها الجديد تبتسم للشجاعة والبراعة وللتألق، وتزداد الدهشة حين نسترجع أن هذا القادر على التملك الباهر الجذاب لناصية اللغة العربية، يشكلها بسلاسة وألفة وبشاشة — كان راسبا دائما في مادة اللغة العربية في كل شهاداته الدراسية!

* * *

مع إعجابي المتزايد بمقالات وديع فلسطين — (الذي ظنه الكثير لبنانيا أو فلسطينيا وهو المولود في أخميم، البلدة الصعيدية على الشط الآخر من سوهاج، من أب وأم قبطيين من مدينة قنا) — كان لابد أن أبحث عن وسيلة ما للاتصال به على الأقل، لأقول له: "أشكرك على كل هذا الجمال الذي تشيعه في كتابتك". لذلك حين ذكر في معرض إحدى مقالاته اسم الكاتب الصديق الكبير محمد عودة، وجدته الخيط المفيد الذي مكنني من معرفة أن وديع فلسطين من سكان مصر الجديدة. كان في دليل الهاتف أكثر من مشترك تحت اسم "وديع فلسطين"، لكنني حينما حصرت الاختيار في ساكني مصر الجديدة التقطت رقمه.

وصلني صوته عبر الهاتف طيبا، متعجبا لإطرائي، زاهدا فيه زهدا كاد يصل إلى حد الزجر! هذا الزهد وهذا التواضع عند وديع فلسطين فوق أنهما من سمات برجه الميزان — ربما يكون وراءهما حزن نبيل لواحد من الذين يمكن أن ينطبق عليهم المثل القائل: "كل نبي مغبون في وطنه". لكنني أقول: هكذا هي سنتنا، مصر المحروسة دائما في أحشائها الدر كامن، ولابد لنا أن نصبر صبر الصيادين، ونخترق الزبد لنصل إلى ما ينفع الناس، الماكث في الأرض. سبحان الله!

نجحت في أن أجلب لنفسي صداقة عظيمة معه، كان علي أن أكدح كدحا لنيلها عبر محادثات هاتفية ثقافية ثرية وشائقة عمقت هذه الصداقة على الرغم من أن لقاءاتنا لم تتعد عدد أصابع اليد الواحدة. غمرني بكرم عطاياه بكل ما طلبت من كتبه ومن مقالاته ودراساته، أجمعها في حيز وحدها بمكتبي من أهمها كتابه: "قضايا الفكر في الأدب المعاصر"، الطبعة الثانية التي أخرجتها دار الجديد ببيروت تحية له بمناسبة بلوغه السبعين عن الطبعة الأولى التي أصدرها بالقاهرة سنة ١٩٥٩م المكتب الفني للنشر، وعلى ظهر الغلاف نقرأ حكمته: "فليختلف الأدباء على المذاهب الأدبية المتباينة ، وليتناحروا على المعايير، وليتضاربوا ـــ إذا شاءوا ـــ على إمارة الشعر أو إمامة الأدب، ولكن حذار أن يضحوا بهذه القنية الغالية قنية الحرية الفكرية وهم يتلاحون ويتنابذون". ثم كتابه "مختارات من الشعر العربي المعاصر، وكلام في الشعر" الذي أصدره مركز الأهرام للترجمة والنشر عام ١٩٩٥م، وقلت له: "أحببت مقدمتك وتلذذت بقراءتها وإن اختلفت مع آرائها، أما المختارات فالسلام عليكم ورحمة الله". ضحك، واحترمنا "قنية الحرية الفكرية ولم نتلاح أو نتنابذ".

كل ما يعجبني "عنايته" بفن "الكتابة"، تلك العناية ـــ التي وإن كانت وسيلة لتوصيل قوله ـــ فقد صارت بذاتها غاية فنية، ونزهة إمتاع للقارئ.

* * *

من جملة من تحدث عنهم في "حديث مستطرد": "علي الغاياتي: المصري السويسري"، و"إبراهيم المصري: القصاص الذي ابتلعته الصحافة"، و"أبوعلي جورج خير الله"، و"الشاعر المهجري: جورج صيدح"، و"أشياء من سيرة بشر فارس رائد الرمزية المجهول في الشعر العربي الحديث"، و"عبدالله يوركي حلاق الحلبي"، و"علي أحمد باكثير: اليمني المتمصر"، و"خليل مطران وصديقه يوسف نحاس". غير أن لوحته الرائعة عن وداد سكاكيني التي لم تتعد ١٤ صفحة من مجلة "بناة

الأجيال" الدمشقيـــة، وتم نشرها في يناير ١٩٩٥ تحت عنوان "وداد ســـكاكيني في حياتها وآثارها"، تعد من الدراسات التي تعطيك بصفحاتها المحدودة متعة وثـــــراء كتاب ضخم. يستهل وديع فلسطين دراسته بقوله: "في الثالث من كانـــون الثـــاني (يناير) ١٩٩١م فاضت روح الأديبة العربية الكبيرة وداد سكاكيني بعدما أجزلـــت عطاءها للغة الضاد، وأكدت مترلتها الفريدة في أدبنا المعـــاصر، ولئن كتمت أحزاني الممضة على هذه الأديبة الماجدة، التي ارتبطت بها وبزوجهاالراحل الدكتور زكـــي المحاسني بمودات وثقى منذ أواسط الأربعينات، فعزائي في فقدها هـــو أن أحـــاول إنصافها في هذه الصفحات..".

وهكذا، فهو لايكتب إلا عن شخصيات عرفها ولامســـها سمعـــا وكلامـــا ومصاحبة، فلا عجب أن تحس منه نبضها الحي فكأنك صرت ـــ بدورك ـــ صديقا لها؛ يكتب في مجلة "الأديب" البيروتية عدد يناير ١٩٧٩م تحت عنـــوان "حديـــث مستطـــرد عن إبراهيم ناجي ورابطة الأدباء" ما نراه غضبا من الذيـــن يتصـــدون للكتابة عن المعاصرين "... لاحديث معرفة شخصية، بل حديث عنعنـــة، أي أنهـــا اقتصرت على السمـــاع وعلى النقل، أما الشاعر فلم تستقصها منه ـــ وهو قريب العهد بنا ـــ ولا من معاصريه ومخالطيه، بل روتها نقلا عن الذين وضعوا مؤلفات سابقة عن نـــاجي ... وأقول في غير تجن على أحد إن الكتب التي تناولت الشاعر ناجي إما أشارت إشارة سريعة إلى رابطة الأدباء التي كان له فيها دور ريـــادي نحو ثماني سنين وإما أغفلت الإشارة إليها إغفالا تاما، ولما كنت من الضالعين في رابطـــة الأدباء منذ إنشائها وإلى أن هجرتها ثم هجرها ناجي بعيدي فقد ارتأيت أن أرســـل الحديث عن هذه الرابطة وأن أتطرق إلى ما أعرف من أخبار ناجي وأموره في هـــذا الحديث المستطرد ...".

هو فنان شهادة أدبية على عصر أدبي وثقافي يأبى إلا أن ينقل إلينا أنفاسه التي لاتزال لديه ساخنة كأنه لم يبرحه. في موضوع ناجي سمعت منه عن الطعنـــة الـــتي

قتلت الشاعر الطبيب العملاق الرهيف ذلك عندما وجد اسمه ضمن قائمة "تطـــهير" من "الفساد" و"المنحرفين" بعد ١٩٥٢/٧/٢٣م، وكيف رأى ناجي يبكي ويمـــرض ويموت في مارس ١٩٥٣م، ويكتب هذه الواقعة في حديثه عن ناجي:

"ولكن داهية أكبر كانت تنتظر ناجي، وقد تمثلت هذه الداهية في قرار ظـــالم اتخذ بفصله من وظيفته كمدير للإدارة الطبية لوزارة الأوقاف متهما بعدم الإنتاج، وورد اسمه في صدر قائمة التطهير التي أعلنت، وكان لهذا القرار وقع نفسي صـــاعق على الـــدكتور ناجي الذي كان يعالج الفقراء ويمنحهم من جيبه ثمن الدواء. والذي كان ــ كما أخبرني بذلك نقولا الحداد العالم الشهير ــ متوافقا مع صيدلية الحـــداد أسفل عيادته في شبـــرا بأن تقدم الدواء للفقراء من مرضى الدكتور ناجي وتقيـــد ثمنه على حساب الدكتور المعالج! فهذا الطبيب العالم الإنسان قد وجـــب تطـــهيره وفصله من وظيفته دون أن تتاح له فرصة للدفاع عن نفسه، ودون أن يجـــرى أي تحقيق في هذه القرية الظلوم التي زهدت ناجي في الحياة، و لم تلبث أن صرعته صرعة الموت ... ولما سمع ناجي أن الحكومة الأسبانية قلدتـــني وســـاما رفيعـــا، زارني في "المقطم" ــ الجريدة ــ مهنئا، وكتب أبياتا في هذه المناسبـــة، ثم انفجر باكيا لاعلى وظيفة ضاعت منه، بل على وصمه بأنه أهل للتطهير وإيراد اسمـــه في أول قائمـــة المطهرين، وظل يجهش بالبكاء وأنا أواسيه إلى أن انصرف. وكنت بعـــد انصرافـــه أتوقع قراءة نعيه في الصحف كل يوم لأن حالته النفسية كانت في الحضيض، وقدرته على المقاومة قليلة بسبب هـــزاله المفرط، و لم يطل انتظاري، إذ قـــرأت نعيـــه في الخامس والعشرين من مارس ١٩٥٣م، فبكيته وقلت للمعزين ونحن نتبادل العـــزاء: "لقد مات ناجي لا اليوم بل في التطهير".

* * *

في مقاله بجريدة "الحياة" ١٩٩٥/١/١١م كتب وديع فلسطين مقـــالا مـــهما تحت عنوان: "حديث حـــول بدايات نجيب محفوظ عبد العزيز" اعتنى فيـــه بذكـــر

حقيقة أنه كان الثاني ـــ سابقا على سيد قطب ـــ في التنبيه والإشادة بعبقرية نجيب محفوظ، تلك الحقيـــقة التي يضايقه أن نجيب محفوظ لايذكرها أبدا في أي معـــرض لحديثه عن الذين نبهوا إليه في بداية مشواره الروائي. يقول وديع فلسطين ـــ في هذا ـــ عند حديثه عن تأسيس "لجنة النشر للجامعيين": "وافتتحت السلســـلة في شـــهر مايو ١٩٤٣م (كان وديع فلسطين لم يبلغ بعد العشرين) برواية "أحمس" لعبدالحميد جودة السحار، وتلتها رواية "رادوبيس" لنجيب محفوظ عبدالعزيز. ولعلـــه اختـــار هـــذا الاسم الثلاثي حتى لايخلط الناس بينه وبين الطبيب المصري ذي الشهرة العالمية الدكتور نجيب محفوظ باشا، وتوالى نشر الكتب في مطلع كل شهر، مما شجع شبانا آخرين على مؤازرة لجنة النشر للجامعيين، مثل: محمد عبدالحليم عبـــدالله ـــ وكان بدوره قد فاز بجائزة وزارة المعارف عن روايته "بعد الغـــروب"، ومثل صلاح ذهني، وأمين يوسف غراب، والشيخ الأزهري كامل محمد عجلان، وكاتب هذه السطور.

كما ارتفعت قامة اللجنة عندما قصدها أدباء كبـــار لنشر آثارهم مثل إبراهيم عبد القادر المازني، ومحمود تيمور، وكامل كيلاني، وإبراهيم المصري، ومحمـــود محمـــود (شقيق الدكتور زكي نجيب محمـــود)، والأديبة السورية وداد سكاكيني. ورحبـــت اللجنة بناقد الرسالة سيد قطب فنشرت له كتابه "طفل في القرية"، وبأشقائه فنشرت لمحمد قطب كتاب "سخريات صغيرة"، وللأخوة الأربعة سيد ومحمد وأمينة وحميدة قطب مجموعة أقاصيص "الأطياف الأربعة". استفادت اللجنة من انضمـــام هـــؤلاء الأدباء الكبار إليها، فكتب المـــازني يعرف ببعض آثارها، وعني سيد قطب بالكتابة عن عدد من مطبوعاتها في مجلة "الرسالة"، ثم جمع كتاباته بعد ذلك في مصنفه "كتب وشخصيات"، وذلك عندما كان سيـــد متفرغا للأدب والنقد. وكنت بدوري من الذين سبقوا إلى التعريف بآثار معظم الكاتبين في هذه السلسلة، وأثبت الدكتور علي شلش في كتابه "نجيب محفوظ: الطريق والصدى" أنني كنـــت الثـــاني في التعريـــف بنجيب محفوظ فسبقت بذلك قائمة طويلة من النقاد جاءوا بعدي في الترتيب الزمني.

بل إن علي شلش سجل ما يكاد يكون نبوءة لي بالمجد الذي ينتظر نجيب محفوظ، وذلك بقولي في ختام مقالي عن رواية "رادوبيس" ما نصه: "وفي اعتقادي أن هذه الرواية تستطيع أن تزاحم روايات الغرب إذا هي وجدت من يعنى بترجمتها إلى لغات الأعاجم ..." ونشرت لي هذه اللجنة مسرحية "الأب" التي ترجمتها عن الأديب السويدي سترندبرج وظهرت في أغسطس ١٩٤٥م. وعندما أعلن عن فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل سأله الصحفيون الذين غزوا داره عما إذا كان مطلعا على الأدب السويدي، فقال: طبعا، فقد قرأت آثار سترندبرج، واكتفى بهذه العبارة دون أن يشير إلى ناقل هذه الآثار الذي كان أول من قدم سترندبرج إلى اللغة العربية".

* * *

يعيش وديع فلسطين وديعا في بيته العريق ـــ من الباقي من بيوت شارع العروبة الجميلة بضاحية مصر الجديدة مع زوجته السيدة كاترين نجيب، له برنامجه المنتظم المنظم، يترل يوم الثلاثاء إلى جريدة الأهرام بعد مروره على "البوستة العمومية" (على حد لهجته في قوله الهاتفي لي) يرسل ويتلقى مراسلاته التي لاتزال تجوب أقطار الكرة الأرضية يلتقي بها مع أصدقائه وتلاميذه الموزعين في كل مكان، ومن بينهم ابنه باسل فلسطين المهاجر منذ تسع سنوات حيث يعمل في محطة التليفزيون الكندي ويمارس هوايته الموسيقية عزفا وتأليفا. وتسافر زوجته لابنه أحيانا ويبقى هو تؤنسه ابنته هناء المتزوجة والمتخصصة في علم النفس وأحفاده الأربعة: ولد واحد، وثلاث بنات. يذكر أحيانا عفو الخاطر كلمة عن أشقائه؛ فقد أنجب والده عشرة أبناء: نصفهم ذكور، والآخر إناث، لا أعرف ترتيبه بينهم، لكنني أذكر أسفا خفيفا يلمح به أحيانا يخص به شقيقه المثال لويس فلسطين، الذي عاش مغتربا في أسبانيا حتى وفاته عام ١٩٩٢م، ولعلنا نقرأ عنه في "حديث مستطرد" يبث فيه شجونه كلها، ولعله يخص به مجلتنا العريقة "الهلال" ذات يوم.

١٠-قراءة في كتاب:

"سفير الأدباء: وديع فلسطين"

عنتر مخيمر

هذا الكتاب ربما كان الأول من نوعه، فقد اعتمد مؤلفه على مختارات من آراء وكتابات **وديع فلسطين** المنشورة في الأدب والنقد، بالإضافة إلى رسائله الأدبية وثلاثة حوارات أجراها المؤلف معه، كما رجع لقصائد كبار الشعراء ومقالات الكتاب الذين كتبوا عنه.

وفي الحقيقة لقد أبدع المؤلف في رسم صورة صادقة **لوديع فلسطين** كأديب وناقد، ولنقلب صفحات الكتاب:

***في الفصل الأول يتحدث وديع فلسطين عن نفسه من خلال رسائله للمؤلف، فيقول عن ثقافته:**

"إن مطالعاتي في أول عهدي بالحياة كانت مطالعات باللغات الأجنبية، وكانت تتناول جميع فروع المعرفة، أدبا وعلما وعلم نفس واقتصادا وسياسة وتراجم ... وما إلى ذلك، أما قراءاتي العربية فكانت تسير على غير منهاج مقرر .. كما أن مطالعاتي كانت تتغير وفقا لاهتماماتي اليومية ... ولئن غلب علي الآن المطالعات الأدبية، فما زلت أجد متسعا من الوقت لقراءة الكتب العلمية وكتب الاقتصاد وعلم النفس والكتب التي تتناول الصحافة وعلومها وتاريخها وفنونها. وهكذا ترى يا أخي أنني سأموت وعلى صدري كتاب **كالجاحظ قديما و**سلامة موسى** حديثا".**

وعن نشأته الأدبية يقول: "تتلمذت في الجامعة على الدكتور **فؤاد صروف والسباعي بيومي والسيد شحاته وعبدالله حسين** (أحد أركان جريدة "الأهرام" في الأربعينيات)، ثم عملت في الحياة مع الدكتور **فارس باشا نمر**، و**خليل تابت باشا**،

وخليل مطران بك، وعلي الغاياتي، والدكتور نقولا الحداد، وإسماعيل مظهر، والدكتور بشر فارس... وغيرهم، فكان لامفر لي من الاشتغال بالأدب مهما حاولت أن أنصرف إلى الصحافة".

"إن اشتغالي بالأدب كان من ناحية تورطا، وكان من ناحية أخرى هربا من ألوان الكتابات الأخرى السياسية والاقتصادية".

وعن المدرسة التي ينتمي إليها في الأدب:

"لا أعرف مدرسة أنتمي إليها، أو أوصف أنني من تلاميذها".

ويرى وديع فلسطين أن الأدب الحقيقي يتوارى في صحافتنا الراهنة، حيث يقول: "العلاقة بين الصحافة والأدب علاقة قديمة وثيقة. ولكن الحيز المخصص للأدب في الصحف أخذ يتقلص حتى انعدم أو كاد. وفي الوقت الذي تخصص فيه الصحف أركانا يومية للرياضة ولفنون السينما والتليفزيون، لاتخص الأدب إلا بباب أسبوعي يلغى إذا طغت الإعلانات أو زاد طوفان أخبار السياسة. وحتى هذه الأبواب الأدبية فإنها قل أن تستكتب أديبا مرموقا".

ومواصفات الأدب الجيد عنده تتمثل في "أسلوب وفكرة. فلا أدب لا ينهض على أسلوب ناصع متميز متفرد. ولا أدب إن لم يكن محوره فكرة أصيلة بارعة. فهذا هو الأدب المشبع".

*وفي **الفصل الثاني** يقدم المؤلف من آراء **وديع فلسطين** ما يشكل رؤية أدبية تستحق على حد قوله التقديم والنقاش:

"فإن رأيتني كارها للشعر الجديد ، فلأنني وقد ألفت شعر القوافي لم أستطع "هضم" الشعر الجديد ــ حتى بعد قراءة **السياب والبياتي ونازك وفدوى والحيدري** وتلميذي السابق **معين بسيسو** ... وغيرهم، وإن رأيتني أمج أسلوب **يوسف إدريس**، فلأنني نشأت على قراءة أساليب **الزيات وفؤاد صروف وأحمد**

زكي ومحمود تيمور ووداد سكاكيني، وإن رأيتني عاجـــزا عن فهم **لطفي الخولي**، فلأنني عشت في صحافة الوضوح؛ صحافة **أنطون الجميل وخليل ثابت وعزيز مرزا وتوفيق دياب** وعباس **حافظ وسلامة موسى**".

تسألني عن واقع الأدب العربي ومستقبله، فأقول لك بـــالمختصر المفيـــد: لاواقع للأدب ولا مستقبل بغير الحريةالكاملة".

"فلما صارت الصحافة ألعوبة في يد الحاكم، وصار الصحفيون موظفـــين مهمتـــهم كتابة العرائض وترديد كلام الحاكم كالببغاوات، تركت الصحافـــة إلى الاقتصـــاد أولا، ثم تركت الاقتصاد بعد أن زحفت عليه الخزعبلات إلى الأدب. وحتى الأدب كدت أتركه غير مرة بعدما رأيت أسباب العبث تغشى ميادينه وتحـــاول إفســـاده بدعوى "الالتزام" أو باسم "الأدب الهادف". والمراد بهذه الألفاظ جعل الأدب موظفا في الدولة يلتزم بأوامرها ونواهيها ويستمد اتجاهاته منها.

ويرفض وديع فلسطين الشللية المقيتة التي تستشري في حياتنا الأدبية ويقول:

هناك نزعة احتكارية بادية معالمها في الجو الأدبي كله. فخمســـة أو ســـتة أو عشرة من الأدباء هم الذين آلت إليهم منابر الأدب جميعها؛ فهم في مجلس الفنـــون، وفي جمعية الأدباء، وفي نادي القصة، وفي اتحاد الكتاب، وفي مجـــلات الأدب، وفي أركاان الإذاعة، وفي "استوديوهات التليفزيون"، وفي منتديات الأدب ومؤتمراته".

"وهناك إحجام عن التعريف بالكتب الجيدة القليلة الصادرة، و"إســـهال" في التعريف بالكتب التي تشول في ميزان النقد. وهناك جنوح إلى الأخـــذ بأســـاليب "الموضة" في الأدب. و"الموضة" معناها قيام مناسبة ما، فيتسابق على التأليف فيـــها الأدباء والشعراء".

ومن آراء وديع فلسطين في الأدباء والشعراء:

يقول عن **أحمد زكي أبي شادي**:

"شعره تراث هائل ولو من حيث الكم، أما من حيث الكيف فالأمر متروك لأذواق الناس، وهم يختلفون، ولو قرأت قصيدته في رثاء **ناجي** لقلت إن هذا أعظم شعراء العربية".

ويقول عن **طه حسين** وعباس محمود العقاد:

"كرهت في **طه حسين** نفاقه وحبه للوجاهات، على نقيض **العقاد** الذي كان جريئا في قول الرأي بلا نفاق أو مداجاة، كما كان يفتح بابه وصدره لأمثالنا من البسطاء .. وكان **طه حسين** ظالما في أحكامه الأدبية لأغراض خاصة في نفسه، ولا هكذا **العقاد**".

ويقول عن **علي أحمد باكثير**:

"والحقيقة أن **باكثير** ظلم في مصر كثيرا في حياته .. كما ظلم بعد وفاته لأن ما نشر عنه من دراسات، بل ما أعيد نشره من كتب جرى خارج مصر، وعلى وجه التحديد في السعودية. وكانت لي في "الأهرام" مؤخرا كلمة عن "مظاليم الأدب"، ذكرت من جملتهم **باكثير** العظيم، رحمه الله".

ويقول عن **محمود محمد شاكر**:

"هذا العالم الفذ قد وقف كل عمره على الحفاظ على تراث الضاد ، وكأنه ديدبان شاكي السلاح يذب عن حياض الضاد كل متجهم أو متحرش أو متطاول".

ويقول عن **نجيب محفوظ**:

"اعتقادي ـــ من واقع مطالعاتي الأولى **لنجيب** ـــ أنه فنان عظيم، وأنه يستحق كل تكريم يناله، ولاسيما وأن له شخصية أصلب عودا من **توفيق الحكيم** الزئبقي الرجراج. **فنجيب محفوظ** لم ينغمس في التأييد الأعمى للإجراميات والإنكشاريات والإرهابيات التي عشناها ربع قرن كما فعل "فاقد الوعي" **توفيق**

الحكيم ، ومن ثم لم يعوزه الأمر إلى "صك غفران" يقدمه إلى الجمهور ليصفح عن خطيئته كما فعل **توفيق الحكيم** في "عودته إلى الوعي".

ويقول عن "أصداء السيرة الذاتية":

"الأصداء مزيج من الحكمة والهلوسة، وجرعة الهلوسة فيها أكبر. ولولا جائزة نوبل التي رفعت **نجيب محفوظ** إلى مرتبة آلهة الحكمة لما اهتم أحد بهذه الأصداء غير المترابطة".

*وفي **الفصل الثالث** ويضم ثلاثة حوارات حول الحياة الأدبية يقول وديع فلسطين:

-"أرى نفسي في أقصى مقعد خلفي من مقاعد المتفرجين على مواكب الحياة الأدبية، وهو مكان آثرته لنفسي بعدما "توظف" الأدب، وصار الأديب يعرف لا بإنتاجه بل بدرجته الوظيفية أو عضويته للجان والمجالس المختلفة".

-رأيت ظواهر أغلبها لاأرتاح إليه ، أذكر بعضها في تعميم لاتخصيص: فهناك نزعة احتكارية بادية معالمها في الجو الأدبي كله. فخمسة أو ستة أو عشرة من الأدباء هم الذين آلت إليهم منابر الأدب جميعها؛ فهم في مجلس الفنون ، وفي جمعية الأدباء، وفي نادي القصة ، وفي اتحاد الكتاب ، وفي مجلات الأدب ، وفي مؤتمراته. وهناك إحجام عن التعريف بالكتب الجيدة القليلة الصادرة، و"إسهال" في التعريف بالكتب التي تشول في ميزان النقد.

-وهكذا ترى أن مكاني ضائع بين الأجيال، وهي جميعا تكاد تنكرني، مما يجعلني أوثر الاستقلال على ادعاء الانتماء إلى هذا الجيل أو ذاك.

-فالأدب قد صارت تسري عليه نواميس التجارة، بل إن هذه النواميس هي وحدها التي تتحكم في الأدب أيا كانت قيمته.

-وصفوة القول: إن الأدب لن يزدهر إلا إذا تخلص من اعتبـــارات التجـــارة المفروضة عليه سواء من الناشرين أو من المجتمع نفسه.

-أمنيتي هي أن تتميز الحياة الفكرية بالجد لا بالهزل، وبالأصالة لابالهوائيـــــة، وبالصدق لا بالرياء، وبالشرف لا بالبهلوانيات، وبالحرية لا بنقيضها. فليكن الأدب خالصاً للأدب، بريئاً من الترهات العقائدية الفارغة حرًّا، حُرًّا، حُرًّا.

*وفي **الفصل الرابع** يُشير المؤلف إلى عشرات القصائد التي كَتَبـــها شعـــراء عصرنا مهداة إلى سفير الأدباء وديع فلسطين.

يقول الشاعر المهجري الكبير الراحل **جورج صيدح**:

زودتُ أقلامي بحبرٍ عسجدي وعزمتُ أكتبُ ما يليقُ بسيدي

هـــذا (الوديعُ) أعزَّني بمودّةٍ هـــي ثروةٌ شغلتْ عقولَ الحُسَّدِ

هـــذا (المقفّعُ) عالمٌ مترفّـــعٌ إن تقرب الأضـــــواءُ منهُ يبعُدِ

ويقول الشاعر المهجري **زكي قنصل**:

ارفق بنفسِك يا أديبَ الضَّادِ كمْ ذا تُعاني في الهوي وتُعادي

ما أنتَ إلا فرحَـــةٌ في مأتمٍ أو مأتمٌ في فرحَـــــــةِ الميلادِ

ويقول صاحب هذا الكتاب:

يا وديعَ النفسِ في دُنيا الذئابْ أنت تحيـــــا في حـــياة قاتِلةْ

فاسْـــتعِرْ ظفراً ومنقاراً ونابْ ثمّ دُسْ بالنَّعْـــلِ هـــذي القافلةْ

*أما الفصل الخامس والأخير فيضم تسع مقالات كتبها كبار الكتـــاب عـــن **وديع فلسطين** وردت فيها الشهادات الآتية:

-"وصفوة القول إن هذا الأديب القبطي الإنساني النابه من مفـــاخر الجيـــل الحاضر في مصر، وهو جوهرة شريفة متألقة في تاج الأدب العربي الحديث " (**أحمـــد زكي أبو شادي**).

-"والواقع أن كتابه "قضايا الفكر" يعد ثورة طوحت بأضاليل الأسلوب العربي الرخيص — إذا جاز ما يكتب بالعامية أو العربية المنحرفة أدبا — إلى ما وراء العدم، ليثبت صحة الأدب العربي وسلامته وقوته". (**جميلة العلايلي**)

-"وفي الحق ليس غريبا أن يكون أبرز ما تتسم به بحوث الأستاذ **وديع فلسطين** .. الكاتب العربي الواسع الاطلاع، والأديب الباحث المفكر .. ليس غريبا أن يكون أبرز ما تتسم به بحوثه: الأصالة والموضوعية!" (**محمد سعيد العامودي**)

-"وعندما تذكر رابطة الأدباء، فإنه يذكر من مؤسسيها الشاعر **إبراهيم ناجي ووديع فلسطين**". (**د. حلمي محمد القاعود**).

-إذا قلت إن **وديع فلسطين** هو "ملك" فن كتابة رسم الملامح الشخصية الأدبية والثقافية، لا أكون مغالية أو مبالغة ... يا سبحان الله! من يلوم الظمآن يفرح طروبا حين يعثر على عين مياه عذبة في صحراء، مياه لم تلوثها نفايات المصانع والمحاجر والمبيدات؟". (**صافي ناز كاظم**).

-"**والوديع** كاتب عملاق، واسع الثقافة، رحب الاطلاع، قلما يصدر كتاب ذو بال في اللغة العربية أو الإنجليزية إلا ولديه عنه علم، أو له به اطلاع، أو عليه فيه نقد أو تعريف". (**عبد العزيز الرفاعي**).

الفهرس

للمؤلف

أ-شعر:

١-**السقوط في الليل**، القاهرة-دمشق ١٩٧٧م.

٢-**حوار الأبعاد** (مشترك)، القاهرة ١٩٧٧م. ط٢، حلب ١٩٧٩م.

٣-**ثلاثة وجوه على حوائط المدينة**، القاهرة ١٩٧٩م.

٤-**شجرة الحلم**، القاهرة ١٩٨٠م.

٥-**الحلم والأسوار**، القاهرة ١٩٨٤م. ط٢، الزقازيق ١٩٩٦م.

٦-**الرحيل على جواد النار**، القاهرة ١٩٨٥م. ط٢، الزقازيق ١٩٩٦م.

٧-**حدائق الصوت**، الزقازيق ١٩٩٣م.

٨-**غناء الأشياء**، الزقازيق ١٩٩٧م.

ب-مسرحيات شعرية:

٩-**الرجل الذي قال**، الزقازيق ١٩٨٣م.

١٠-**الباحث عن النور**، القاهرة ١٩٨٥م، ط٢-الزقازيق ١٩٩٦م.

١١-**الفتى مهران ٩٩ أو رجل في المدينة**، الإسكندرية ١٩٩٩م.

ج-شعر قصصي للأطفال:

١٢-**الأميرة والثعبان**، القاهرة ١٩٧٧م.

١٣-**مذكرات فيل مغرور** (شعر قصصي للأطفال)، عمَّان ١٩٩٣م.

د-قصص قصيرة:

١٤-**الطريق الطويل**، الإسكندرية ١٩٩٩م.

د-دراسات أدبية:

١٥-**عوض قشطة: حياته وشعره**، المنصورة ١٩٧٦م.

١٦-**القرآن .. ونظرية الفن**، القاهرة ١٩٧٩م. ط٢، القاهرة ١٩٩٢م.

١٧-**دراسات معاصرة في المسرح الشعري**، القاهرة ١٩٨٠م.

١٨-**البطل في المسرح الشعري المعاصر**، القاهرة ١٩٩١م، ط٢-الزقازيق ١٩٩٦م، ط٣-الإسكندرية ١٩٩٩م.

١٩-**شعر محمد العلائي: جمعا ودراسة**، الزقازيق ١٩٩٣م، ط٢-الزقازيق ١٩٩٧م.

٢٠-**جماليات القصة القصيرة**، القاهرة ١٩٩٦م.

٢١-**التحرير الأدبي**، الرياض ١٩٩٦م.

٢٢-**سفير الأدباء: وديع فلسطين**، القاهرة ١٩٩٨م، ط٢- القاهرة ١٩٩٩م.

٢٣-**المسرح الشعري عند عدنان مردم بك**، القاهرة ١٩٩٨م.

٢٤-**كتب وقضايا في الأدب الإسلامي**، الإسكندرية ١٩٩٩م.

٢٥-**صورة البطل المطارد في روايات محمد جبريل**، الإسكندرية ١٩٩٩م.

٢٦-**من وحي المساء** (مقالات ومحاورات)، الإسكندرية ١٩٩٩م.

٢٧-**الأدب العربي الحديث: الرؤية والتشكيل** (بالاشتراك)، الإسكندرية ١٩٩٩م.

تحت الطبع:

١-**أربعة بحوث في الأدب الإسلامي**.

٢-**مقالات في الرواية العربية**.

٣-**محاكمة عنترة** (مسرحية شعرية).

٤-**الزلزال** (مسرحية شعرية).

٥-**بيت الأشباح** (مسرحية شعرية).